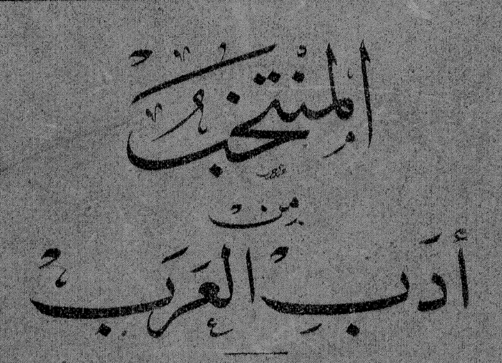
وزارة المعارف العمومية



جمعه وشرحه

طه حسين أحمد الاسكندرى أحمد أمين على الجارم

عبد العزيز البشرى أحمد ضيف

الجزء الأول

للسنة الثالثة الثانوية

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٥٠ هـ — ١٩٣١ م

وزارة المعارف العمومية



جمعه وشرحه

طه حسين　أحمد الاسكندرى　أحمد أمين　على الجارم

عبد العزيز البشرى　أحمد ضيف



للسنة الثالثة الثانوية

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٥٠ هـ — ١٩٣١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على نبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد، فقد جمعنا فى هذا الكتاب لطلاب المدارس الثانوية ما تقدّمت الينا وزارة المعارف فى جمعه لهم من النصوص الأدبية شعرا ونثرا ، فى مختلف الأغراض والفنون، وفى متباين الأزمان والعصور . وقد حرصنا أشدّ الحرص فيه على أمرين نرى أنلهما خطرا عظيما : (الأوّل) أن تكون النصوص التى نختارها لكل عصر من عصورالأدب العربى مرآة صافية ، وصورة صادقة واضحة ، للحياة الأدبية فى هذا العصر، على اختلاف فروعها، وافتراق نزعات الشعراء والكتّاب والأدباء فيها . بحيث يستطيع المعلم أن يعتمد عليه فى تصويره ما يدرّس للتعلمين من تاريخ الأدب، ويستطيع المتعلمون أن يجدوا فيه تصداق ما يسمعونه من الأساتذة، ويقرءون من الكتب، من حقائق هذا التاريخ . (الثانى) أن يكون ما اخترناه على صحة تمثيله للعصور الأدبية وصدق تصويره لشخصيات الأدباء ومذاهبهم فى الأدب فى جملته جميلا رائقا، وجزلا رائعا، خفيف الموقع من الأسماع، لطيف المسلك الى النفوس، يستطيع أن يبعث فى قلوب الشباب حب لغتهم وأدبها، ويرغبهم فى التزيد منهما والتفقه فيهما . وتوخينا الى ذلك كله أن يكون جل ما اخترناه من الشعر والنثر سهلا يسيرا يلائم حالة الشباب وطاقته .

وقد تألف هذا الكتاب من جزأين : الأول لطيف المختار قريب المتناول وخصصنا به السنة الثالثة ، والثانى جزيل المختار مفتن المعنى والغرض وخصصنا به السنتين الرابعة والخامسة .

ونحن نرجو أن نكون قد وفقنا من ذلك الى ما قصدنا ، والله وحده ولى التوفيق م ؟



العصـــر الجاهلى

الشـــعر

صفحة

١ ـــ امرؤ القيس ١

وصفه طول الليل ١ ، قوله فى الفخر ٢ ، قطعة من قصيدة "ألا انعم صباحا" ٢

٢ ـــ لبيـد بن ربيعة ٥

قطعة من معلقته ٥

٣ ـــ النابغة الذبيانى ٧

من قصيدة يمدح بها النعمان بن المنذر ويعتذر اليه ٧ ، قطعة يتنصل بها ويعتذر ١٠

٤ ـــ دريد بن الصمة ١١

قوله فى رثاء أخيه ١١

٥ ـــ علقمة بن عبدة التميمى ١٥

من قصيدة مطلعها "طحا بك" ١٥ ، من قصيدة له "والحمد لايشترى إلا له ثمن" ١٧

٦ ـــ طرفة بن العبـد ١٨

قطعة من معلقته ١٨

٧ ـــ سلامة بن جندل التميمى السعدى ٢٠

قطعة من قصيدته "أودى الشباب حميدا ذو التعاجيب" ٢٠

٨ ـــ عبد يغوث الحارثى ٢٣

قطعة من قصيدته "ألا لا تلومانى كفى اللوم ما بيا" ٢٣

صفحة

٩ — ذو الأصبع العدوانى... ... ... ٢٥

قطعة له مطلعها "لى ابن عم على ما كان من خلق" ٢٥

١٠ — عمرو بن كلثوم ٢٧

قطعة من معلقته ٢٧

١١ — الحارث بن حلزة اليشكرى ٢٨

قوله من قصيدة يفتخر ٢٨

١٢ — عبيد بن الأبرص ٢٩

قطعة من قصيدته "أقفر من أهله ملحوب" ٢٩

١٣ — الأفوه الأودى ٣٠

قطعة له "البيت لا يبتنى إلا له عمد" ٣٠

عصر صدر الاسلام وبنى أمية

آيات من القرآن الكريم ٣١

الشعر

١ — أمية بن أبى الصلت... ... ... ٣٥

من قصيدة يعتب على ابن له ٣٥

٢ — ضرار بن الخطاب بن مرداس ٣٦

قطعة من قصيدته "عجبت لفخر الأوس والحين دائر" ٣٦

٣ — كعب بن مالك... ... ... ٣٧

قطعة له "عجبت لأمر الله والله قادر" ٣٧

٤ — كعب بن زهير... ... ... ٣٨

قطعة من قصيدة "بانت سعاد" ٣٨

٥ — عاتكة بنت عبد المطلب... ... ... ٤٠

قصيدة "سائل بنا فى قومنا" ٤٠

صفحة

٦ — مالك بن الريب التميمى ٤١
من قصيدته "ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة" ٤١

٧ — الخنساء... ... ... ٤٣
قصيدة "أعينى جودا ولا تجمدا" ٤٣

٨ — حسان بن ثابت... ... ... ٤٤
من قصيدته يوم فتح مكة "عفت ذات الأصابع فالجواء" ٤٤

٩ — الحطيئة ٤٦
من قصيدته "وطاوى ثلاث عاصب البطن مرمل" ٤٦، من كلامه يمدح بغيض بن عامر وقومه — "يسوسون أحلاما بعيدا أناتها" ٤٨

١٠ — الأخطل ٤٩
قطعة من قصيدته "خف القطين" ٤٩، قطعة من نقيضته مع جرير "أن الذى سمك السماء" ٥٣، قوله فى وصف الذئب ٥٩

١١ — الفرزدق ٥٣

١٢ — جرير ٦١
من قصيدة له يرثى زوجته "لولا الحياء لهاجنى استعبار" ٦١، نقيضته للفرزدق "لمن الديار كأنها لم تحلل" ٦٣

١٣ — عبيد الله بن قيس الرقيات ٦٧
قوله فى مدح عبد الملك بن مروان "عاد له من كثرة الطرب" ٦٧

١٤ — قطرى بن الفجاءة ٦٩
من قوله فى الحماسة ٦٩، قطعة أخرى له ٧٠

١٥ — عمران بن حطان ٧١
قطعة له "لقد زاد الحياة الىّ حبا" ٧١، قطعة أخرى "ياعين بكى لمرداس ومصرعه" ٧١

١٦ — الطرماح بن حكيم ٧٢
قطعة له "وانى لمقتاد جوادى وقاذف" ٧٢

١٧ — جميل... ... ... ٧٣
قطعة له "أبثين إنك قد ملكت فاسجحى" ٧٣

صفحة

١٨ — عمر بن أبى ربيعة ٧٤
قطعة له " ليت هندا أنجزتنا ما تعد " ٧٤
١٩ — الأحوص ٧٦
قوله يمدح عبد العزيز بن مروان ٧٦

النثر فى ذلك العصر

١ — جملة من كتب النبى صلى الله عليه وسلم وخطبه ٧٨
طائفة من أحاديثه صلى الله عليه وسلم ٧٩
٢ — نموذج من كلام أبى بكر... ... ... ٨١
٣ — « « عمر بن الخطاب... ... ... ٨٢
٤ — « « عثمان بن عفان ٨٣
٥ — « « علىّ بن أبى طالب ٨٤
٦ — خطبة معاوية حين قدم المدينة ٨٧
٧ — قطعة من خطبة زياد بن أبيه بالبصرة ٨٨
٨ — خطبة لعتبة بن أبى سفيان فى أهل مصر... ... ... ٩٠
٩ — كتاب للحجاج الى عبد الملك وردّه عليه ٩١
١٠ — خطبة للحجاج فى أهل العراق... ... ... ٩٢
١١ — خطبة لعمر بن عبد العزيز ٩٤
١٢ — خطبة أبى حمزة الخارجى بمكة ٩٥
١٣ — كتاب لعبد الحميد الكاتب ٩٦

طائفة من أمثال العرب

فى جاهليتها و إسلامها ٩٧

العصر العباسى الأول

الشعر

١ — بشار بن برد... ... ... ١٠١
قوله فى هجاء العباس بن محمد ١٠١ ، قوله فى الغزل وقد نهاه المهدى عنه ١٠٢

صفحة

٢ — السيد الحميرى ١٠٤

قوله فى السفاح ١٠٤ ، قوله فى الغزل ١٠٤ ، قوله فى على بن أبى طالب ١٠٥

٣ — مروان بن أبى حفصة ١٠٥

قوله فى مدح معن بن زائدة ١٠٥ ، قوله لما مات المهدى وأفضت الخلافة الى الهادى ١٠٦

٤ — أبو نواس ١٠٧

قوله فى الخمر ١٠٧ ، قوله فى الغزل ١٠٧ ، من قصيدة يمدح بها الخصيب ١٠٨

٥ — مسلم بن الوليد ١٠٩

قوله فى مدح يزيد بن مزيد ١٠٩

٦ — أبو العتاهية... ... ... ١١١

قوله فى القناعة ١١١ ، فى مدح الهادى ١١٢ ، فى مدح المهدى ١١٣

٧ — أبو تمام ١١٣

قوله فى وصف الربيع ١١٣ ، قوله فى رثاء ولدين لعبد الله بن طاهر ١١٥

٨ — البحترى ١١٦

قوله فى الاعتذار للفتح بن خاقان ١١٦ ، فى وصف بركة المتوكل ١١٧

٩ — ابن الرومى ١١٨

قوله فى وصف السحاب ١١٨ ، فى العزلة ١١٩

١٠ — ابن المعتز ١٢٠

قوله فى الهاجرة ١٢٠ ، فى النسيم ١٢٠ ، فى وصف قلم القاسم بن عبيد الله ١٢١ فى عيشة الجاهل (١٢١)، فى وصف حال الموتى فى قبورهم (١٢٢)

النثر فى هذا العصر

١ — ابن المقفع ١٢٣

قوله فى السلامة ١٢٣

٢ — عمرو بن مسعدة ١٢٤

كتب الى المأمون فى رجل استشفع به ١٢٤ ، كتب الى الحسن بن سهل ١٢٤

صفحة

٣ — الجاحظ ١٢٥

قوله فى الاستعطاف ١٢٥

توقيعات لبنى العباس ١٢٦

الكتابة العلمية فى هذا العصر

قطعة من كتاب كليلة ودمنة ١٢٧

٤ — من طبقات الشعراء لابن سلام الجمحى ١٢٩

٥ — للبلاذرى ١٣١

من كتاب فتوح البلدان للبلاذرى ١٣١

العصر العباسى الثانى

خراسان والعراق

الشعر

١ — الشريف الرضى ١٣٣

قوله فى الفخر ١٣٣ ، قال فى صفره ١٣٤ ، فى وصف الطلول ١٣٥ ، فى وصف الصديق ١٣٥

٢ — مهيار الديلمى ١٣٦

قوله فى الفخر بفارس والاسلام ١٣٦ ، قطعة من قصيدته "يا نسيم الصبح من كاظمة" ١٣٦ ، من قصيدته "خليلك من صفا لك فى البعاد"

٣ — المأمونى ١٣٨

قوله فى وصف مقراض ١٣٨

٤ — السرى الرفاء ١٣٩

قوله فى وصف القصور والمنازل ١٣٩

٥ — القاضى على بن عبد العزيز الجرجانى ١٣٩

قوله فى حبه العلم ١٣٩

٦ — ابن نباتة السعدى ١٤٠

٧ — الصابئ ١٤٠

صفحة

٨ — الصاحب اسماعيل بن عباد ١٤٠

٩ — الخـــوارزمى ١٤٠

١٠ — أبو الفتح البستى ١٤١

١١ — الناشئ الأصغر ١٤٢

١٢ — الأبهـرى ١٤٢

١٣ — الأبيـــوردى ١٤٢

١٤ — الشريف بن الهبارية ١٤٣

١٥ — الطغـــرائى ١٤٣

١٦ — السهروردى ١٤٦

١٧ — الرفاعى ١٤٦

النثر فى ذلك العصر

١ — قطعة لابن العميد ١٤٧

٢ — رسالة للصاحب بن عباد ١٤٨

٣ — بديع الزمان الهمذانى ١٤٨

رسالة له فى التعـزية ١٤٨ ، رسالة فى النصح ١٥٠ ، قطعـة من المقامة البغدادية ١٥٠

٤ — الصـابئ ١٥٢

٥ — الحـــريرى ١٥٣

الكتابة العلمية التأليفية فى العراق وخراسان فى ذلك العصر

٦ — من كتاب التنبيه والأشراف للمسعودى ١٥٤

٧ — من كتاب أدب الوزير للماوردى ١٥٦

٨ — من كتاب لابن حمدون ١٥٧

صفحة

الأدب بمصر والشام فى العصر العباسى الثانى

الشـــعر

١ — المتنبى ١٥٩

من قصيدة يمدح العجلى ١٥٩ ، من قصيدته "اذا غامرت فى شرف مروم" ١٦٠ من قصيدة يمدح كافورا ١٦١ ، من قصيدته "صحب الناس قبلنا ذا الزمانا" من قصيدة "لا بد للانسان من ضجعة" ١٦٣ ، فى استعطاف سيف الدولة ١٦٤ فى شعب بوان ١٦٤

٢ — أبو فراس ١٦٦

فى الشكوى والعتاب ١٦٦ ، فى الحكم ١٦٦

٣ — المعـــرى ١٦٨

فى رثاء فقيه ١٦٨ ، فى الفخر ١٦٩ ، قطعة من اللزوميات تمثل آراءه ١٧١

٤ — التهـامى ١٧٣

٥ — على بن النعمان ١٧٣

٦ — عبد المحسن الصورى ١٧٣

٧ — ابن يونس المنجم ١٧٤

٨ — الأســوانى ١٧٤

٩ — ابن الفارض ١٧٥

١٠ — ابن مطروح ١٧٦

١١ — البهاء زهير ١٧٧

النــثر فى ذلك العصر

١ — أبو الفرج الببغاء ١٧٨

٢ — ابن قادوس ١٧٩

٣ — ابن الصيرفى ١٨٠

٤ — على بن خلف ١٨١

٥ — القاضى الفاضل ١٨٢

صفحة

الكتابة العلمية التأليفية في ذلك العصر

١ — فصل للكندى ١٨٣

٢ — فصل من النوادر السلطانية ١٨٤

الأدب في الأندلس

الشعر

١ — ابن هانئ ١٨٧

٢ — ابن عبد ربه ١٨٩

٣ — ابن زيدون... ... ... ١٩٠

٤ — أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الدانى... ... ... ١٩٢

٥ — أبو بكر بن عمار... ... ... ١٩٣

٦ — ابن خفاجة الأندلسى... ... ... ١٩٤

في نهر ١٩٤ ، في وصف أراكة ١٩٤ ، في ذم علماء السوء ١٩٥

٧ — ابن الصائغ ١٩٥

٨ — يحى بن الفضل... ... ... ١٩٦

٩ — البطليوسى ١٩٦

١٠ — ابن سهل الاسرائيلى... ... ... ١٩٦

النثر في ذلك العصر

١ — أبو عبيد الله البكرى ١٩٦

٢ — أبو المطرف ١٩٧

الكتابة العلمية التأليفية

١ — قطعة من كتاب الأخلاق لابن حزم ١٩٩

٢ — قطعة من شرح المقامات للشريشى ٢٠٠

صفحة

عصر المماليك العثمانيين

الشعر

١ — شمس الدين الكوفى ٢٠٣
٢ — بدر الدين الذهبى ٢٠٤
٣ — الشاب الظريف ٢٠٥
٤ — صفى الدين الحلى ٢٠٧
قطعة من قصيدة "بلغى الأحباب ياريح الصباعنى السلاما" ٢٠٧ ، يحرض نور الدين على المغول ٢٠٧ ، فى فرس أدهم ٢٠٨ ، من قصيدة الملك الأفضل ٢٠٩
٥ — ابن نباتة ٢١٠
فى رثاء ابن له ٢١٠ ، فى مدح الملك المؤيد ٢١٢ ، فى العتاب ٢١٤ ، فى مدح السلطان الأفضل وتعزيته ٢١٤ ، فى الناصر حسن ٢١٥
٦ — مجير الدين بن تميم ٢١٦
٧ — محمد بن منجك ٢٢١
٨ — ابراهيم بن المبلط ٢٢٢
٩ — نور الدين العسيلى ٢٢٢
١٠ — أبو المواهب البكرى... ... ... ٢٢٤
١١ — الشبراوى ٢٢٦

النثر فى ذلك العصر

١ — صلاح الدين الصفدى يصف بستانا ٢٢٩
٢ — القلقشندى فى وصف وقعة مع تيمرلنك ٢٣١
٣ — العماد ٢٣٢

الكتابة العلمية التأليفية فى هذا العصر

١ — قطعة من وفيات الأعيان لابن خلكان ٢٣٤
٢ — من المستطرف للابشيهى ٢٣٥

صفحة
٣ — من كتاب الخميس فى استيلاء التتار على بغداد ٢٣٨
٤ — من كتاب ريحانة الألبا للشهاب الخفاجى ٢٤٢

العصر الحديث

الشعر

١ — السيد اسماعيل الخشاب ٢٤٥
٢ — العطار ٢٤٦
٣ — محمود صفوت الساعاتى ٢٤٩
٤ — عبد الله باشا فكرى ٢٤٩
٥ — نجيب الحداد ٢٥٠
٦ — مصطفى نجيب ٢٥٢
٧ — السيد على أبو النصر... ... ... ٢٥٣
٨ — على الليثى ٢٥٤
٩ — البارودى... ... ... ٢٥٦
١٠ — حفنى ناصف ٢٥٨
١١ — اسماعيل صبرى... ... ... ٢٦٠

النثر فى ذلك العصر

١ — قطعة للعطار ٢٦١
٢ — رفاعة رافع ٢٦٢
٣ — بطرس البستانى ٢٦٤
٤ — أديب اسحاق ٢٦٥
٥ — قطعة لعبد الله فكرى... ... ... ٢٦٥
٦ — سليم تقلا ٢٦٦

صفحة

٧ — على مبارك ٢٦٧
٨ — نجيب الحداد ٢٦٨
٩ — قطعة لمصطفى نجيب ٢٦٩
١٠ — ابراهيم المويلحى ٢٧٠
١١ — محمد عبده ٢٧٢
١٢ — ابراهيم اليازجى ٢٧٤
١٣ — مصطفى كامل ٢٧٥
١٤ — قاسم أمين ٢٧٦
١٥ — حمزة فتح الله ٢٧٨
١٦ — قطعة لحفنى ناصف... ... ... ٢٧٩
١٧ — المنفلوطى ٢٨٠
١٨ — يعقوب صروف ٢٨٢
١٩ — سعد زغلول ٢٨٤
٢٠ — محمد المويلحى ٢٨٥

العصر الجاهلى

الشعر

(١) قَالَ امْرُؤ القيس يصفُ طولَ الليل من معلّقته التى أوّلها : [1]

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حبيبٍ ومَنْزِلِ ... بسِقْطِ اللِّوَى بين الدَّخُولِ فحَوْمَلِ [2]

* * *

وَلَيْلٍ كموجِ البحرِ أرخَى سُدولَه ... علَىَّ بأنواعِ الهُمومِ لِيَبْتَلِى [3]

فقُلْتُ له لمَّا تَمطَّى بِصُلْبِهِ ... وأردفَ أعجازًا ونَاءَ بكَلْكَلِ : [4]

ألا أيُّها اللَّيلُ الطويلُ الا انْجَلِ ... بِصُبحٍ، وما الإصباحُ منكَ بأمثَلِ [5]

فيَا لَكَ من ليلٍ كأنَّ نُجومَه ... بكُلِّ مُغَارِ الفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ [6]

---

(١) هو امرؤ القيس بن حجر الكندى أشهر شعراء الجاهلية ، وأحد الأربعة المقدّمين على غيرهم من شعرائها . وكان يعيش قبل الاسلام بنحو ثمانين سنة . وله ديوان شعر مشروح مطبوع منه هذه القصيدة اللامية إحدى القصائد العشر الشهيرة بالمعلقات .

(٢) سقط اللوى والدخول وحومل : أسماء أماكن كان ينزلها أهل محبوبته .

(٣) السدول : الستور جمع سدل ، و يبتلى : يختبر ، أى ورب ليل كموج البحر فى كثافته وظلمته شملنى بأنواع الهموم ليختبرنى أأصبر أم أجزع .

(٤) تمطى بصلبه : تمدّد بوسطه . والاعجاز : جمع عجز ، وهى الأطراف . ومعنى أردف أعجازا : باعد أطرافه عن صلبه فطال من آخره . والكلكل : الصدر . ومعنى ناء بكلكل : بعد بصدره الى الأمام ، أى أن الليل طال عليه لقلقه وأرقه فى جميع أجزائه : أوّله ووسطه وآخره ؛ فلم ينعم فى جزء منه .

(٥) انجل بصبح : أى انكشف عن صبح . ثم راجع نفسه متحسرا فقال : وما الاصباح بأمثل منك ، أى واذا جاء الصبح فليس بأفضل منك ، ولا يفرج من همومى ؛ فهمومى دائمة ليلا ونهارا .

(٦) ثم تعجب من طوله فقال (يا لك من ليل) أى يا عجبا لك من ليل ، ومعنى قوله (بكل مغار الفتل) أى بكل حبل محكم الفتل متين . و يذبل جبل من جبال نجد . يعنى كأن نجوم هذا الليل لطوله ربطت بحبال متينة بالجبل المسمى بيذبل ؛ فلا تتزحزح من مكانها ، والليل دائم بدوامها وعدم حركتها .

كأنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقت فى مَصَامِهَا ... بأمراسِ كَتَّانٍ إلَى صُمِّ جَنْدَلِ(١)

وقال يفخَرُ ويأسف :

وكُلُّ مَكَارِمِ الأَخلاقِ صَارت ... إليهِ هِمَّتى وبهِ اكتسابى(٢)

وقد طَوَّفتُ فى الآفاقِ حتَّى ... رَضيتُ مِنَ الغَنيمةِ بالإيَاب(٣)

ومن قوله :

إذا المرءُ لم يَخزُنْ عليهِ لسانَه ... فلَيسَ على شىءٍ سواه بخَزَّان(٤)

ولَهُ من قصيدته التى مطلعها :

ألا انعِم صباحًا أيُّها الطَّلَلُ البالِى ... وهل ينعِمَنْ من كان فى العُصُرِ الخالى؟(٥)

---

(١) الثريا : صورة مجموع من كواكب صغيرة القدر متضام بعضها الى بعض على هيئة مثلث ، كأنها كف انسان أو عنقود عنب . والمصام : الموقف . والأمراس : الحبال . (المعنى) وكأن الثريا من نجومك — أيها الليل — قد علقت أيضا بحبال كتان متينة الى جنادل وصخور صماء ؛ فهى لا تنتقل أيضا من مكانها .

(٢) صارت اليه : تحوّلت ومالت اليه . وبه اكتسابى : أى وبسببه اكتسب .

(٣) أى وقد أكثرت الطواف فى الآفاق حتى أعيانى الطواف ، وحتى رضيت أن أعود بدل الغنيمة الى أهلى بنفسى . وكان أكثر خروجهم وأسفارهم لطلب الغنائم .

(٤) أى اذا عجز المرء عن ضبط الكلام الذى يخرج من لسانه فهو عن ضبط غيره أعجز .

(٥) عم صباحا ، وانعم صباحا : تحية الصباح فى الجاهلية ، كقولهم : عم ، وانعم مساء : لتحية المساء ، وعم ظلاما : لتحية الليل . و(عم) : فعل أمر من وعم يعم كوزن يزن ، وانعم صباحا : من النعمة والنعيم . وهو معنى عم أيضا . والطلل : الشاخص من الأشياء على وجه الأرض . والمراد هنا آثار دار المحبوبة الشاخصة . والبالى : الدارس الذى كادت معالمه تخفى . والعصر : لغة فى العصر . والخالى : الماضى . (المعنى) أنه مرّ صباحا على دار كانت تنزلها محبوبته فى العصر الماضى ، فشاهد طللها الدارس فحياه بقوله : انعم صباحا الخ . ثم راجع نفسه ، وقال : كيف أدعو بالنعمة لشىء وجد منذ زمان طويل ، ففارقه أهله وبلى ، وفارقته النعمة بفراقهم .

* * *

وقـــد أغتدى ، والطيرُ فى وُكُناتِهـا لِغَيثٍ من الوَسْمِىّ رائـــدُه خالِ(١)

تَحَاماهُ أطـــرافُ الرماحِ تحاميًـا وجادَ عليـــه كلُّ أسْحَمَ هَطّـالِ(٢)

بِعِجْلِزةٍ قـــد أترَزَ الجـــرىُ لحمَها كُمَيْتٍ كأنّهـا هَراوةُ مِنْـــوالِ(٣)

ذَعَرتُ بهـا سِربًا نقيًّـا جلودُه ، وأكْرُعه وَشْىُ البُرُودِ من الخـالِ(٤)

كأن الصُّـــوارَ إذْ تَجاهَـــدْنَ غُدوةً على جَمَزى ـــ خَيـــلٌ تجولُ بأجْلالِ(٥)

---

(١) المراد بالغيث هنا : البقل والمرعى ، لأنه أثر الغيث . وهو المطر . والوسمى : أول مطر الربيع . والرائد : من يبعثه أهله فى طلب المرعى . وخال : أى خال بنفسه . (المعنى) وقد أبكر (والطير لم تزل جاثمة فى أوكارها) لطلب الصيد فى مرعى لم يجسر أحد على رعيه ، فاذا راده رائد جرىء مثلى وجد نفسه منفردا لا يزاحمه عليه مزاحم .

(٢) الأسحم هنا : السحاب الأسود اللون المتراكم . والهطال : الكثير المطر . (المعنى) أن هـذا المرعى منيع تحاماه الرماح أى الفرسان الحاملوها ، لأنه بين حيين متعادين ؛ فيخشى رعيــه كل منهما ؛ ولكنى بجراءتى قصدته للصيد ، وهو خصب لتوالى الأمطار عليه .

(٣) العجلزة : الفرس الصلبة العضل . وأترز الجرى لحمها : أى أيبسه وضمره . والكميت : الحمراء الى سواد . والهراوة : العصا الغليظة . (المعنى) أنه يذهب الى الصيد فى هذا الوادى بفرس مضمرة صلبة كأنها الخشبة الغليظة الصلبة التى تلف عليها شقة الثياب عند نسجها بالمنوال .

(٤) ذعرت : أخفت وأفزعت . والسرب : القطيع من بقر الوحش . والأكرع : جمع كراع وهى أطراف القوائم . الخال : الثوب الناعم من ثياب اليمن . (المعنى) أفزعت ، وهجت بهذه الفرس قطيعا من الوحش بيض الجلود مخططة الأكارع بالسواد ؛ فكأنها ثياب اليمن الموشاة .

(٥) الصوار : القطيع من بقر الوحش ، وتجاهدن : اجتهدن فى العدو ، وعلى : بمعنى مع . والجمزى : نوع من العدو . والأجلال : جمع جل ، وهو ما يوضع على ظهر الفرس ساترا له . (المعنى) كأن قطيع بقر الوحش عند ما اجتهدن فى أن يجرين جرية الجمزى (وهو جرى سريع مع وثب) خيول تجرى عليها جلال بيض ، إذ كانت خلقـــة بقر الوحش أن تكون ظهورها بيضاء ، وقوائمها سوداء ، فأسافلها تشبه بالبرود وأعاليها تشبه بالجلال .

بِجَالَ الصُّــوَار، واتَّقــينَ بِقَرهَبٍ طويلِ القَرَا والرَّوْقِ أخنَسَ ذَيَّال(١)

فعَادَيْتُ منـــه بين ثورٍ ونَعْجةٍ وكان عِدائى إذ رَكِبتُ على بالى(٢)

كأنّى بِفَتْخاءِ الجَنَاحَيْن لَقْــوةٍ على عَجَلٍ منهـا — أُطَأطِئُ شِمـلالى(٣)

تَخَطّفُ خِزّانَ الأُنَيْعِمِ بالضُّــحَى وقـــد جَحَرتْ منهـا ثَعالِبُ أوْرَالِ(٤)

كأنّ قلوبَ الطَّــيرِ رطبًا ويابسًـا لدى وَكرِها — العُنّابُ والحَشَفُ البالى(٥)

---

(١) بِجال الصوار : أى دار فى نواحى الأرض ، والقرهب : الكبير الضخم من الثيران ، والقرا : الظهر . والروق : القرن ، والأخنس : المنخفض قصبة الأنف ، وذلك من صفات البقر ، والذيال : الطويل الذيل . (المعنى) فدار هذا القطيع دورة . واتقين الصائد بهذا القرهب وتسترن به ، وجعلنه مما يلى الصائد ؛ لأنه أشدهن . وهذا القرهب طويل الظهر والقرن أخنس الأنف طويل الذنب .

(٢) فعاديت منـــه : أى به وعادى بين الصيدين عداء : والى العـــدو وتابعه فى طلق واحد . وكان عدائى الخ أى كان على تهمم منى واشتغال به .

(٣) الفتخ : لين وطول فى جناح الطائر . واللقوة : السريعة التى تخطف كل شىء . وطأطأ فرسه : ونخزه بفخذيه وحركه للعدو ، والشملال السريعة الخفيفة ؛ يريد فرسه . (المعنى) كأنى عند ما حثثت فرسى وهجتها للعدو — أستحث عقابا طويلة الجناحين سريعة عجلة . أى أن فرسه تشبه العقاب .

(٤) الأنيعم وأورال : موضعان . والخزان : جمع خزز «بضم ففتح» وهو ذكر الأرانب . وجحرت : اختفت فى أجحارها . (المعنى) أن هذه العقاب التى شبه بها فرسه تخطف أرانب الأنيعم ، أما ثعالب أورال فلخيفتها تدخل أجحارها .

(٥) العناب : ثمر كالنبق أحمر . والحشف : الردىء المتقبض من التمر (المعنى) كأن قلوب الطير الرطب منها واليابس فى وكر هذه العقاب عناب وحشف بال ، أى أنها تأتى بقلوب الطير تطعم فراخها بهـا لصغر جحمها . ولكثرة ما تصيد يبقى الكثير منها فى وكرها ما بين حديث رطب وعتيق يابس — قالوا : وهذا أحسن بيت جاء به تشبيه شيئين بشيئين فى حالين مختلفتين .

فلو أنّ ما أســـعَى لأدنى معيشـــةٍ كفانى (ولم أطلبْ) قليلٌ مِن المــال[١]

ولكنما أســـعى لمجـــد مُـــؤَثَّلٍ وقد يُدرك المجـــدَ المؤثَّلَ أمثـالى[٢]

وما المـــرءُ ما دامتْ حُشاشةُ نفسه بمُدرِكِ أطـــرافِ الخُطوب ولا آلِ[٣]

(٢) ومن معلقة لَبِيد بن ربيعة التى مطلعها : [٤]

عَفَتِ الديارُ : مَحَلُّهـا فمُقـامُهـا بِمِنًى تأبّدَ غَولُهَـا فــرِجامُهـا[٥]

(١و٢) فاعل كفانى : لفظ قليل — ومفعول أطلب محذوف تقديره ولم أطلب الملك الذى أسعى لاسترجاعه ، وانمـا يرضى بالقليل من يسعى لأدنى معيشة ، أى أطلب عيشة الملك والمجـد المؤثل الأصيل فينا الثابت فى بيتنا ، ومثلى من يدرك هذا المجد .

(٣) الحشاشة : بقية النفس . والخطوب : الأمور العظيمة . وأطرافها : غاياتها . والآلى : المقصر . (المعنى) أن الانسان مع سعيه فى دوام حياته لا يدرك نهاية كل ما يريد ، ولو لم يقصر فى الطلب .

(٤) هو أبو عقيل لبيد بن ربيعة العامرى أحد أشراف الشعراء والقوّاد والمعمرين الأجواد ، وهو من بنى عامر بن صعصعة إحدى القبائل المضرية ، وأمه عبسية . وكان فى الجاهلية شجاعا فاتكا جوادا شاعرا شهد له النابغة ، وهو غلام بأنه أشعر هوازن حين سمع معلقته . ولمـا ظهر الاسلام أسلم ، وتَنَسّك ، وحفظ القرآن كله حتى لم يروله فى الاسلام غير بيت واحد وهو :

ما عاتب الحرّ الكريم كنفسه والمرء يصلحه الجليس الصالح

ولمـا فتح المسلمون الأمصار سكن الكوفة حتى مات ســنة إحدى وأربعين من الهجرة . قيل أنه عاش ثلاثين ومائة سنة . ولبيد شاعر يجيد الفخر والرثاء فى لفظ جزل ومعنى جيد وحكمة وموعظة .

(٥) عفت الديار : درست ، ومحلها : بدل ، أو عطف بيان من الديار ، فمقامها : معطوف على محلها . والفاء هنا للترتيب الذكرى أى لعطف ما يحسن ذكره بعـد سابقه إذا تفاوتا بخصوص أو عموم أو تفصيل أو إجمال . إذ أن المحل (كما هنا) مكان الحلول أى النزول ، ولو لم تكن مدّة النزول طويلة ، والمقام : مكان الاقامة ، وهى الثبات والاستقرار فى المكان طويلا بأن يصير دار إقامة . وعند الجرمى من كبار أئمة النحويين أنها لا تفيد الترتيب فى الأماكن . والأشبه أن تكون هنا بمعنى (الى) كقوله تعالى : " ان الله لا يستحى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها" . وتأبد : توحش ، وخلا من أهله . ومنى وغول ورجام : مواضع فى وسط نجد . وليست منى هنا (منى مكة) . (المعنى) درس مكان النزول ومكان الاقامة من ديار أحبتنا بمنى متوحشا غولها ورجامها منهم .

* * *

إنا اذا التقت المجامعُ لم يَزَل ... مِنّا لِزازُ عظيمةٍ جَشّامُها (١)

ومقسِّمٌ يُعطِى العشيرَة حقَّها ... ومُغَذمِرٌ لحقوقها هَضّامُها (٢)

فَضْلًا وذو كرمٍ يُعِين على الندى ... سمحٌ كسوبُ رغائبٍ غَنّامُها (٣)

مِنْ مَعشرٍ سَنّتْ لهم آباؤهم ... ولكلِّ قومٍ سُنّةٌ وإمامُها (٤)

لا يَطبَعُون ولا يَبورُ فَعالُهم ... إذ لا يَمِيلُ مع الهوَى أحلامُها (٥)

فاقنَع بما قَسَم المليكُ؛ فإنّما ... قَسَمَ الخلائقَ بيننا علّامُها (٦)

واذا الأمانةُ قُسِّمَتْ فى مَعشَرٍ ... أَوْفى بأوفرِ حظِّنا قَسّامُها (٧)

فبنى لنا بيتًا رفيعًا سَمْكُهُ ... فسما اليه كَهْلُها وغُلامُها

وهم السعاةُ إذا العشيرةُ أفظِعَت ... وهُمُ فوارسُها، وهُمْ حُكّامُها (٨)

---

(١) أخذ يتمدح بقومه، ويعدد مآثرهم، فقال: (إنا اذا التقت المجامع ... الخ) ولزاز كل شيء: الملازم له. والجشام: المتكلف القيام بالأمور الشاقة. (المعنى) اذا اجتمع الناس لخطب عظيم كان منا من يقوم بالمهم فيه.

(٢ و ٣) ومنا العادل الذى يقسم الغنائم فى العشيرة؛ فيعطى كل ذى حق حقه، ومنا الرئيس المستبد الذى يحكم على قومه بما شاء؛ فلا يرد حكمه لهيبته، ولو هضم حق هذا وأعطاه ذاك، وإنما يفعل ذلك رغبة فى الفضل على غيره وزيادة التحكم فيه. ومنا الكريم السمح الأخلاق الكثير الكسب والغنم للغنائم.

(٤) أى سنت لهم آباؤهم هذه السنة الكريمة، والإمام: المثال الذى يحاكى فى كل شيء.

(٥) الطبع: الدنس، والبوار: الهلاك، والفعال كسحاب: فعل الخير، والأحلام: العقول. (المعنى) لا يدنسون أعراضهم، ولا يفنى عملهم الخير، ولا تغلب أهواؤهم عقولهم.

(٦) الخلائق: الطبائع، وعلامها هو الله تعالى.

(٧) أى أوفى قسام الحظوظ، وهو الله تعالى، بأوفر نصيب لنا من الأمانة.

(٨) أى اذا حل بالعشيرة خطب فظيع سعوا لنجدتها وإسعافها.

وهُـــمُ ربيـــعٌ للمجاوِرِ فيهـــمُ والمرمِـــلاتِ إذا تطاوَلَ عامُهـــا [١]

وهم العشيرةُ أن يُبَطِّئَ حاســـدٌ أو أن يميلَ مع العَـــدُوِّ لئامُهـــا [٢]

(٣) قال النابغة الذُّبيانى من قصيدته التى يمدح بهـــا النعمان، ويعتذر اليه، والتى مطلعها : [٣]

عفا ذو حُسًا من فَرْتَنَى، فالفوارعُ فجنبا أُريك، فالتِّـلاعُ الدوافـعُ [٤]

---

(١) وهم ربيع أى بمنزلة الربيع فى الخصب لمن جاورهم ، والمرملات أى الأرامل اذا تطاول عامها . وكانت الأرملة تبقى بلا زواج مدّة : كان ذلك فى الجاهليـــة وأوّل الاســـلام ، ثم نسخ بجعل تلك المدّة أربعة أشهر وعشرا .

(٢) أن يبطئ حاسد أى خشـــية أن يبطئ حاسد . (المعنى) أنهم متعاضدون خشية أن يبطئ الحساد بعضهم عن نصرة بعض . أو أن يميل لئامهم الى الأعداء .

(٣) هو أبو أمامة زياد بن معاوية ، أحد أشراف قبيـــلة ذبيان من القبائل المضرية ، وأحد فحول شعراء الجاهلية . لقب بالنابغة لنبوغه فى الشعر بغاءة وهو كبير . وهو ممن تكسب بالشعر فى الجاهلية ولكنه آثر مدح الملوك : ملوك المناذرة بالحيرة والغساسنة بالشام ، وكان ممن مدحهم من الأوّلين النعمان بن المنذر ، فقرّبه اليـــه ، ثم وشى به عنده ، وهم بقتله ، ففر الى ملوك الشام فمدحهم . ولم يطب مقامه بالشام ، فعاد يستعطف النعمان بقصائد رائعة كانت سببا فى عفوه عنه . وطال عمر النابغة . ومات قبيل الاسلام . و يعده كثير من أصحاب المعلقات وأن معلقته هى قصيدته التى أوّلها :

عوجوا فحيوا لنعم دمنة الدار ماذا تحيون مـــن نؤى وأحجار

ومن أشهر قصائده القصيدة التى نشرحها .

(٤) عفا : درس ، وذو حسا والفوارع وأريك والتلاع : أسماء مواضـــع ، وذو حسا منها : واد بأرض الشربة من ديار عبس وغطفان ، وذبيان قبيلة الشاعر : من غطفان . وفرتنى اسم امرأة . (المعنى) عفا من منازل فرتنى ذو حسا وما جاوره من الفوارع وجانبى أريك فتلك التلاع التى تدفع المياه الى الوادى : جمع تلعة ، وهى مجرى المـــاء الى الوادى ونفس الوادى المنهبط .

* * *

أتانى — أبيتَ اللَّعنَ — أنّك لُمْتَنى وتلك التى تَسْتَكُّ منها المسامع (١)

مقالةُ أنْ قد قُلْتُ : سوف أنالُه ، وذلكَ من تِلقاءِ مِثْلِك رائعُ (٢)

لَعَمرى — وما عمرى على بِهيِّنٍ — لقد نطقت بُطْلًا عَلَىَّ الأقارعُ (٣)

أقارِعُ عَوْفٍ ، لا أُحاوِلُ غيرَها وجوهُ قُرودٍ تبتغى مَن تُجادِع (٤)

أتاكَ امرُؤٌ مستبطنٌ لىَ بِغْضَةً له مِن عدوٍّ مثلِ ذلك شافعُ (٥)

أتاك بقولٍ هَلْهَلِ النسجِ كاذبٍ ولم يأتِ بالحق الذى هو ناصع (٦)

أتاك بقول لم أكن لِأقولَه ولو كُبِلَتْ فى ساعِدَىَّ الجوامع (٧)

حَلفتُ ، فلم أترك لنفسك رِيبةً وهل يأْثَمَنْ ذو أُمّةٍ ، وهو طائع (٨)

بمُصطحباتٍ من لِصافٍ وثَبْرةٍ يزُرنَ إلالًا ، سَيرُهنّ التدافُع (٩)

---

(١) أبيت اللعن : كلمة يدعى بها للملوك ، أى حفظت مما تلعن به . وتستك : تضيق . (المعنى) أتتنى عنك ملامة يضيق عنها السمع و يأباها .

(٢) سوف أناله أى بهجاء أو بأذى . وتلقاء : بمعنى القاء أى وذلك مفزع عن لقاء مثلك .

(٣) أراد بالأقارع بنى قريع بن عوف ، وكانوا وشوا به الى النعمان .

(٤) تجادع : تشاتم .

(٥) أى أتاك امرؤ منهم مستبطن لى بغضا له يشفعه آخر مثله من الأعداء بالوشاية .

(٦) هلهل كجعفر : صفة لقول ، أى أتاك بقول سخيف النسج كاذب ، ولم يأتك بالحق الواضح .

(٧) الجوامع : جمع جامعة وهى : الغل والقيد فى اليد أو العنق ، وكبلت أى ضيقت .

(٨) الأمة : الدين والاستقامة أى وهل آثم فى يمينى ، وأنا أدين لك وفى طاعتك .

(٩) لصاف وثبرة ماءان يستق منهما الركبان على طريق مكة . و إلال جبل عن يمين إمام الحج حيث يقف بعرفة (المعنى) حلفت بنوق مصطحبات للحجاج يمتطونها من لصاف وثبرة الى عرفة حيث ينتهين الى إلال يزرنه ، ثم يقصدن مكة متدافعات فى السير أى يدفع بعضهن بعضا من الازدحام . وحلف بهذه النوق التى تزور عرفة ومكة تعظيما لها .

سَمَامًا تُبارى الريحَ خُوصًا عيونُها ... لَهنّ رذايا بالطّـريق ودَائع (١)

عليهنّ شُـعْثٌ عامِدون لحجِّهـمْ ... فهُنّ كأطـرافِ الحَنِيّ خواضع (٢)

لَكَلَّفْتَنِي ذنبَ امرئٍ ، وتركتَـهُ ... كذِى العُرِّ يُكْوَى غيرُه وهو راتع (٣)

فإن كنتَ لاذو الضِّغْنِ عنِّى مُكَذَّبٌ ... ولا حَلِـفِى على الـبَرَاءة نافع

ولا أنا مأمونٌ بشىء أقـولُه ... وأنت بأمرٍ — لا محالةَ — واقع (٤)

فإنكَ كالليـلِ الذى هو مُـدركى ... وان خِلتُ أنّ المنتأَى عنك واسع (٥)

خطاطيفُ حُجْنٌ فى حِبالٍ مَتينةٍ ... تُمَـدُّ بهـا أيدٍ اليـك نوازع (٦)

---

(١) السمام : طائر أكبر من الخطاف سريع الطيران . وتبارى الريح : تعارضها . وخوصا عيونها : أى ضيقات عيونها ، والرذايا : جمع رذية ، وهو المتروك المطروح من الإبل الهالك فى أثناء الطريق . (المعنى) تزور ، هذه الإبل الالا حال كونهن سريعات السير كالسمام ضيقات العيون من الجهد واتقاء الغبار ، وقد سقط منها هوالك فى الطريق مودعة به .

(٢) شعث : جمع أشعث ، وهو المغبر الشعر من طول السفر المتفرقه ، والحنىّ : جمع حنية ، وهى القوس . (المعنى) على هـذه النوق رجال شعث قاصدون للحج ، وقد أصبحت هذه النوق من عناء السفر ضامرة كالأقواس المبرية خاضعة الأعناق عياء وتعبا .

(٣) لكلفتنى : جواب القسم . والعر : قروح مثـل القوباء تخرج من الإبل متفـرقة فى مشافرها وقوائمها ، فتكوى الصحاح فى هذه المواضع لئلا تعديها المراض . (المعنى) لقد آخذتنى بذنب الجانى وتركته ؛ فأنا وهو كمثل الفصيل المعرور : يترك راتعا يأكل ما شاء فى مرعاه ، ويكوى غيره وهو سليم .

(٤) وأنت بأمر لا محالة واقع ، أى وأنت فى أمر صدى أو أمر قطيعتى واقع لا محالة .

(٥) فانك كالليل الخ أى فان عقابك ومؤاخذتك كالليل أى لا أنجو من عقابك مهما اتسعت أمامى مذاهب البعد منك والهرب عنك . وخص الليل دون النهار لأن الليل موحش يخشى شره كما يخشى عقاب الملك .

(٦) خطاطيف : خبر لمبتدأ محذوف أى لك خطاطيف : جمع خطاف . أو مبتدأ سوّغ الابتداء به الوصف وتمدّ خبره . وحجن : جمع أحجن أى معوج . (المعنى) أن لك خطاطيف تمتدّ إلى بها أيد تنزع بى اليك وتجذبنى .

أتوعِدُ عبدًا لم يخنْك أمانةً ويُترَكُ عبدٌ ظالمٌ وهو ضالع (١)
وأنت ربيعٌ يُنعِشُ الناسَ سَيبُه وسيفٌ أُعيرَتْهُ المنيّةُ قاطع (٢)
أبى اللهُ إلّا عدلَهُ ووفاءَهُ فلا النُّكْرُ معروفٌ، ولا العُرْفُ ضائع (٣)
وتُسْقَى إذا ما شئتَ غيرَ مُصَرَّدٍ بزوراءَ، فى حاناتها المسكُ كانع (٤)

وقال النابغة الذبيانى من قصيدة يتنصل ويعتذر :

فلا لَعَمْرُ الذى مسَّحْتُ كعبتَه وما هُرِيقَ على الأنصاب من جَسد (٥)
والمؤمنِ العائذاتِ الطيرِ تَمسَحُها ركبانُ مكةَ بين الغَيلِ والسَّعَد (٦)
ما قلتُ من سيّئٍ مما أُتيتُ به إذًا فلا رفعَتْ سوطى إلىّ يَدى ! (٧)
إذًا فعاقبَنِى ربّى معاقبةً قرَّتْ بها عينُ مَن يأتيك بالفَنَد (٨)

---

(١) الضالع : الجائر المذنب . (٢) السيب : العطاء .

(٣) أى أن الله عادل : ليس النكر مقبولا عنده ، ولا المعروف ضائعا وهو جاعل النعمان بإرادته عادلا . وإذا أعدنا الضمير على النعمان فالمعنى ظاهر أيضا .

(٤) التصريد : الشرب دون الرى ، وزوراء : دار كانت بالحيرة النادرة ، وكنع المسك بالشىء : تراكم ولزق . والبيت دعاء للنعمان .

(٥) الأنصاب : جمع نصب بضمتين ، وهى حجارة كانت حول الكعبة تنصب على شكل المذابح عند النصارى فتذبح عليها القرابين للأصنام . والجسد هنا : معناه الدم (المعنى) يحلف بالله رب الكعبة التى طاف بها ومسح بسورها ، ويحلف بدماء الذبائح التى يذبحها الحجاج .

(٦) اسم فاعل من آمنه : اذا أزال عنه الخوف . والعائذات : جمع عائذة ، وهى الطير والحمام الملتجئة الى حرم مكة ؛ فلا تصاد ، ولا تهاج ، ولذلك من أمنها صارت تقع على الركبان القادمين الى مكة فيمسحونها ما بين الغيل والسعد وهما غيضتان كانتا بمكة من منافعها .

(٧) ما قلت الخ جواب القسم أى ما قلت الكلام الذى اتهمت به ، وإذا كنت قلته فشلت يمينى .

(٨) الفند : الكذب والتقول على الناس .

إلا مقالةَ أقـوام شَقِيتُ بها ... كانتْ مقالتُهم قَـرْعًا على الكَبِد

أنبئتُ أن أبا قابوسَ أوعدَنِي ... ولا قـرارَ على زَأْرٍ من الأسـد [١]

مهـلًا فداءٌ لكَ الأقوامُ كلُّهـمُ ... وما أُثمِّرُ مِنْ مَالٍ ومن ولَدِ!

لا تَقْذِفَنِّي برُكنٍ لا كِفاءَ له ... وإنْ تأثَّفَـكَ الأعداءُ بالرِّفَـد [٢]

(٤) قال دُريد بن الصِّمة فى رِثاء أخيه : [٣]

أرَثَّ جديدُ الحَبْـلِ مِن أُمِّ مَعْبَدِ ... بعاقبـةٍ ، أم أخلفتْ كلَّ موعِدِ [٤]

---

(١) أبو قابوس كنية النعمان بن المنذر . وأوعدنى : هددنى . والزأر والزئير صوت الأسد ؛ جعل تهديد النعمان له بمنزلة زئير الأسد الذى لا يقرّ من سمعه فى مكانه .

(٢) الركن : الجانب الأقوى ، والأمر العظيم . ولا كفاء له : أى لا نظير له . وأن تأثفك الخ : أى وإن أحاط بك أعدائى ؛ فكانوا بمنزلة الأثافى من القدر ، وهى الأحجار الثلاثة التى توضع عليها . والرفد : جمع رفدة بكسر الراء ، وهى العصبة . أى لا ترمينى منك بالأمر العظيم الذى لا نظير له ؛ فإنى لا أقوم باحتماله ، وإن أحاط بك أعدائى عصبا يتعاونون على السعاية بى عندك .

(٣) هو دريد بن الصمة أحد فرسان العرب وسيد بنى جشم من قبائل هوازن . ويقال أنه أشعر فرسان العرب وأكثرهم غزوا . وأدرك الاسلام ولم يسلم . وخرج مع قومه فى غزوة حنين ، ولا فضل فيه لحرب ، وإنما أخرجوه تيمنا برأيه ، فقتل فى ذلك اليوم . وكان له إخوة ثلاثة ، منهم عبد الله ، قتلوا فى غارات مختلفة ، وعبد الله قتله بنو غطفان ؛ لأن دريدا كان أغار عليهم واستاق إبلهم ، فنزل عبد الله فى الطريق ليقتسم الغنيمة فنهاه دريد خوف لحاق غطفان بهم ، فأصر ، فلحقت بهم عند منعرج اللوى فقتلت بنو عبس منهم عبد الله ، وأراد دريد أن ينقذه فلم يغن ، وسقط هو أيضا ، فتهاوت ، وظنته غطفان قتيلا ، فنجا ، وهزمت جشم قبيلته . وبقى حزينا على أخيه يرثيه دهرا ، فلامته امرأته أم معبد ، وصغرت شأن أخيه ، فطلقها ، وقال فيها وفى قصة مقتل أخيه هذه القصيدة .

(٤) رث الحبل : بلى ، والمراد عهده من أم معبد ، وبعاقبة أى بآخرة : أى أخيرا ، والاستفهام من باب تجاهل العارف ؛ إذ هو عارف بأنه رث .

وبانت ، ولم أحْمَدْ إليك نَوالَها ... ولم تَرْجُ مِنّا رِدّةَ اليومِ أو غَدِ (١)

كأنّ حُمولَ الحيِّ إذ مَتَعَ الضُّحَى ... بناصِيةِ الشَّحناء، عَصْبةُ مِذْوَدِ (٢)

أو الأثْأَبُ العَمُّ المُحَرَّم سُوقُهُ ... بكابةَ لم يُخْبَطْ ، ولم يَتَعَضَّدِ (٣)

فقلتُ لعارِضٍ وأصحاب عارض ... ورهطِ بنى السوداءِ، والقومُ شُهَّدِى (٤)

علانيةً : ظُنُّوا بألْفَىْ مُدَجَّجٍ ... سَراتُهُمُ فى الفارِسِىِّ المُسَرَّدِ (٥)

وقلتُ لهم : إن الأَحاليفَ هذه . ... مُطَنِّبَةٌ بين السِّتارِ وثَهْمَدِ (٦)

ولما رأيت الخيلَ قُبْلًا كأنها ... جَرادٌ يُبارِى وِجْهَةَ الريحِ مُغْتَدِى (٧)

أمرتُهُمُ أمرِى بمُنْعَرَجِ اللِّوَى ... فلم يستبينوا الرُّشْدَ إلّا ضُحَى الغد (٨)

---

(١) وبانت : بعدت ، ونوالها : خيرها ، والردة : الرجوع . (المعنى) بانت أم معبد غير حميدة الصحبة ، فلا ترجو منا ردّة لطلاقها .

(٢) الحمول : جمع حمل بالكسر : ما يحمل على الابل مثلا ، ومتع الضحى : بلغ آخر غايته ، وهو الضحى الأكبر ، والعصبة بفتح فسكون الشجرة تعلق فى شىء عال فتكون كالخيمة عليه كشجر اللبلاب ونحوه ومذود : اسم جبل (المعنى) كأن حمول الحى وخراجهم عند ترحلهم عصبة علقت فى عرانين الجبل .

(٣) الأثأب : شجر . والعم : العظيم . والمحرم : الممنوع قطع سوقه . وكابة : موضع ولم يخبط أى لم تعصب فروعه وتخبط بالعصى فيكسر ولم يتعضد أى يقطع .

(٤) عارض : أخ له حضر غزاتهم هذه ، ورهط بنى السوداء أصحاب أخيه عبد الله .

(٥) علانية : جهرة ، ظنوا أى أيقنوا أن سيلحقكم ألفا مدجج بالسلاح ، والفارسى : الدرع . والمسرد : المتتابع الحلق ، أى أنه ضيق النسج .

(٦) الأحاليف : جمع أحلاف وهم المتحالفون على نصرة بعضهم لبعض ، ومطنبة : ضاربة الأطناب بين هذين المكانين .

(٧) قبلا : أى عيانا ومقابلة ، يبارى : يسابق ، ومغتد : أى فى الغداة .

(٨) بمنعرج اللوى : المكان الذى نزله أخوه .

فلماعصَوْنى كنتُ منهم ،وقدأرَى غَوايتَهم أنى بهـــمْ غيرُ مُهتَــدِى (١)

وهل أنا إلا من غَزِيَّة؟ إن غَوَتْ غَوَيْتُ وإنْ ترْشُــدْ غَزِيَّةُ أرشُدِ (٢)

دعانى أخى ، والخيل بينى وبينَه فلمــا دَعانى لم يجِــدْنى بقُعْــدُدِ (٣)

أخ أرضَــعتْنى أمُّه مِــن لِبانها بثَــدْيٍ صفــاءٍ بيننــا لم يُجَــدَّدِ (٤)

فجئتُ إليــه ، والرماحُ تَنُوشُــهُ كوقْعِ الصَّياصِى فى النَّسيجِ المُمَدَّدِ (٥)

وكُنْتُ كذاتِ البَوِّ رِيعَتْ فأقبلت إلى قِطَــعٍ مــن جِلد بَوٍّ مُجَــلَّدِ (٦)

فطاعنتُ عنه الخيلَ حتى تَنهنهتْ وحتى علانِى حالكُ اللون أســودِ (٧)

قِتالَ امرِئٍ آسَى أخاهُ بنفســـهِ ويعلَمُ أنــ المــرءَ غيرُ مُخَــلَّدِ (٨)

تنادَوْا ، فقالوا: أردَتِ الخيلُ فارسا! فقلتُ : أعبدُ الله ذلكم الرَّدى ؟ (٩)

فان يكُ عبــدُ الله خَلَّى مكانَه فمــا كان وقّافًا ولا طائشَ اليــدِ (١٠)

---

(١) كنت منهم أى كنت على رأيهم مع أنى أراهم غاوين ضالين وأنى غير مهتد باتباعهم .

(٢) غزية : حى من جشم ، وهم رهط دريد الأدنون .

(٣) القعدد : الجبان يقعد عن نصرة قومه ؛ أى أنى عطفت عليه لانقاذه .

(٤) لم يجدّد : لم يقطع رضاعنا له حتى أتممنا مدّة الرضاع .

(٥) تنوشه : تتناوله بالطعن . والصياصى : جمع صيصاة : شوكة يسوّى بها الحائك نسجه .

(٦) البو : ولد الناقة والبقرة ، يحشى جلده تبنا ، فتجد رائحته فيه ، فترأمه أمه وتدر اللبن له .

(٧) تنهنهت : كفت : أسود بالضم ، وفيه عيب الإقواء ، وهو اختلاف حركة الروى أى الحرف الأخير فى الإعراب . وقيل إنه على تقدير ياء نسب مخففة الوزن ، وأنه أسودى كما قال العجاج :

أطـــربا وأنت قنسرى والدهر بالانسان دوّارى

أى دوّار ، والياء للمبالغة .

(٨) قتال امرئ : أى قاتلت عنه قتال امرئ فادى أخاه بنفسه .

(٩) أردت : أهلكت ، والردى : الهالك .

(١٠) وقافا : هيابا يقف عن القتال جبنا ، ولا طائش اليد : أى مخطئ اليد فى الضرب والرمى .

ولا بَرَمًا إمَّا الرياحُ تناوحتْ ... بِرَطْبِ العِضاهِ والضَّريعِ المُعضَّدِ (١)

ويُخْرِجُ منه صِرَّةُ القُرِّ جُرْأَةً ... وطُولُ السُّرى دُرِّيَّ عَضْبٍ مُهَنَّدِ (٢)

كَمِيشُ الإزارِ خارجٌ نِصفُ ساقِه ... صبورٌ على الضراءِ طَلَّاعُ أَنْجُدِ (٣)

قليلٌ تشكّيهِ المصيباتِ ذاكرٌ ... مِن اليوم أعقابَ الأحاديثِ في غدِ (٤)

اذا هَبَطَ الأرضَ الفضاءَ تَزَيَّنَتْ ... لرُؤيتِه كالمَأْتَمِ المتَلَبِّدِ (٥)

وكم غارةٍ بالليلِ واليومِ قبلَه ... تداركَها منّي بِسِيدٍ عَمَرَّدِ (٦)

سليمُ الشظى عَبْلُ الشَّوى شَنِجُ النَّسا ... طويلُ القَرا نَهْدٌ أسيلُ المُقَلَّدِ (٧)

يفوتُ طويلَ القومِ عَقْدُ عِذاره ... مُنيفٌ كجِذعِ النَّخلةِ المتجرِّدِ (٨)

(١) البرم: من لا يدخل مع القوم فى الميسر ضنا بالجزور، وكانوا يطعمون لحومها الفقراء، وإما الرياح: إن شرطية وما زائدة، وتناوحت: هبت من كل ناحية، وذلك زمن البرد والشتاء، والعضاه: الشجر الشائك. والضريع: نبات لا تقربه الدواب لخبثه، والمعضد: المقطع.

(٢) صرة القر: شدّة البرد، والسرى: السير بالليل — أى ويخرج منه شدّة البرد وطول السرى رجلا ماضيا فى الأمور كأنه السيف المهند اللامع.

(٣) كميش الإزار: إما أن يكون كناية عن خفته وسرعته، وإما أنه لا يطيل إزاره كالمترفين المشبهين بالنساء، بل إن نشاطه يستدعى أن يقصر ثوبه بحيث يظهر نصف ساقه. وطلاع أنجد: كناية عن اقتحام الصعاب، والأنجد: جمع نجد.

(٤) أى يحسب حساب العواقب، فلا يقول اليوم ما يحاسب عليه غدا.

(٥) تزينت: اجتمعت الناس فيها كمأتم النساء ينظرون اليه.

(٦) أى تداركها عنى بفرس يشبه ذئبا شرسا فى عسلانه.

(٧) الشظى: العظم الملازق بالساعد أو الساق، والعبل: الضخم. والشوى: الأطراف. والنسا عصب يجرى فى الفخذ والساق. والشنج: المتقبض، وهو مدح فى الفرس. والقرا: الظهر. والأسيل: الأملس المستوى. والمقلد: العنق.

(٨) وصف هذا الفرس بارتفاع رأسه، فقال يفوت الخ. والعذار من اللجام: ما سال على خد الفرس وعقده على رأسه خلف أذنه. يعنى أن أعلى رأسه أطول من قامة رجل طويل، ومنيف: عال، والمتجرد من النخيل: الذى زالت أصول كربه فصار أملس. ثم رجع الى رثاء أخيه فقال: وكنت الخ.

وكنتُ كأنّى واثق بمُصَــدَّرٍ يُمَشّى بأكْناف الجُبَيْل فَتَهْمَــد (١)
له كُلُّ مَنْ يَلْقَ من الناسِ وَاحدًا وإنْ يَلْقَ مَثْنَى القَوْمِ يفرَحْ ويَزْدَد (٢)
وهَوَّنَ وَجْدِى أنّنِى لم أقُــلْ له : كَذَبتَ، ولم أبْخَل بما مَلَكتْ يَدِى (٣)

(٥) قال علقمة بن عَبَدَة التميمى : (٤)

طحَا بك قَلْبٌ فى الحسانِ طَروبُ بُعَيْدَ الشَّبابِ عَصْرَ حانَ مَشيبُ (٥)
يُكلِّفُنى لَيْــلَى، وقد شَطَّ وَلْيُهــا وعادَتْ عَوادٍ بينَنــا وخُطوب (٦)

---

(١) المصدّر : الأسد . والجبيل وثمهد : موضعان — أى وكنت عند ثقتى بأخى كأنى واثق بأسد يمشى بأكناف الجبيل فثهمد .

(٢) أى له مقاتلة كل منفرد يلقاه من الناس فاذا لقى اثنــين لم يجبن عنهما ، بل يفرح و يزداد فرحا و يحمل عليهما .

(٣) أى طيب نفسى أنى لم أجفه ، ولم أبخل عليه بما ملكت يدى فلم ألم نفسى بعــد قتله بأنى لم أقم بحقه ، وجعل لم أقل له كذبت كناية عن الجفاء .

(٤) هو علقمة الفحل بن عبدة بن ناشرة التميمى ، شاعر جاهلى مجيد من أقران امرئ القيس . مات قبل الاسلام بزمن طويل . وإنما قيل له «الفحل» من أجل أن يتميز فى الأخبار من شاعر آخر فى قبيلته أيضا يسمى علقمة الخصى بن سهل ، ويكنى أبا الوضاح أدرك الاسلام ، وأسلم . وقيل سمى «الفحل» لأنه خلف امرأ القيس على زوجته بعد أن طلقها ؛ لأنها فضلت علقمة عليه حين حكماها فى شعرهما .

(٥) طحا به قلبه : ذهب به كل مذهب ، والطروب : من الطرب ، وهو خفــة السرور والشوق الى الشىء ، و بعيــد : تصغير بعد — وحان المشيب : قرب ، أو آن أوانه — أى أضلك قلبك الطروب فى حب الحسان بعد ما ذهب الشباب وقرب المشيب — والخطاب لنفسه . ثم التفت وتكلم عن نفسه ، فقال : يكلفنى الخ .

(٦) وشط وليها : بعد عنك قربها ودنوها ومواصلتها — وعادت : شغلت وصرفت ، مقلوب عداه عن الأمر : صرفه ، والعوادى : جمع عادية ، وهى الأمر الشاغل عن الشىء . والخطوب : جمع خطب ، وهو الأمر العظيم من حوادث الدهر . (المعنى) أن قلبى هذا يكلفنى حب ليلى مع أنها بعدت عنه ، وعز عليه قربها ، وحالت بينه و بينها حوائل وشواغل وحوادث صوارف عنها .

مُنَعَّمَـــةٌ ، ما يُستطاع كلامها | على بابها مِن أن تُزَار رَقيب (١)
اذا غاب عنها البَعْلُ لم تُفشِ سِرَّهُ | وتُرضِى إياب البَعل حِينَ يؤُوب (٢)
فلا تَعـدلى بينى وبين مُغَمَّر | سَقَتْكِ رَوايا المُزْنِ حين تصوب (٣)
سَـقاكِ يمـانٍ ذو حَبِيٍّ وعارِض | تروحُ به جُنْحَ العَشِىِّ جَنُــوب (٤)
وما أنتَ ؟ أم ما ذِكرُها رَبَعِيَّةً | يُحَــطُّ لهـا من ثرمَدَاءَ قَليب (٥)
فإن تسألونى بالنسـاءِ فإننى | بَصـــيرٌ بأدواءِ النسـاءِ طبيب (٦)
إذا شابَ رأسُ المرءِ أَوْ قَلَّ مالُه | فَليسَ له من وُدِّهِنَّ نَصيب
يُرِدْنَ ثَراءَ المـالِ حيثُ عَلِمْنَه | وشَرْخُ الشبـاب عندهُن عَجِيبُ (٧)

(١) منعمة : من النعيم فهى محجبة يعنى بحراستها أهلها .

(٢) لم تفش سره : كناية عن أنها لم تخنه ، ولذلك هى ترضى إيابه فلا يعجبها غيره ، واذا قرئ وترضى (بالضم) كان المعنى وتجعل إيابه رضيا حميدا بألا يشك فى صونها .

(٣) فلا تعدلى : أى فلا تسوى ، والمغمر من الرجال : الحمق الذى يستجهله الناس ، سقتك الخ : يدعو لهـا بأن تسقيها المزن الروية أى التى تروى حين تمطر — يريد أنه رجل عاقل نبيل ينبغى لهـا أن تحرص عليه . ثم عاد الى الدعاء لهـا فقال : سقاك الخ .

(٤) أى سـقاك سحاب يمـان أى يأتى من ناحية جنوبى نجد . أصـله يمنىّ خففوا ياء النسب ، وزادوا الألف عوضا عنها ، فعومل المنسوب معاملة المنقوص ، الحبىّ : السحاب المتراكم بعضه على بعض ، فيكون سـيره بطيئا ، كأنه يحبو ، ويكون لذلك مطره غزيرا ، والعارض : السحاب المعترض فى الأفق ، والجنوب : الريح الجنوبية . (المعنى) سقاك سحاب يمان مركوم . وسقاك سحاب عارض تسوقه فى الليل ريح جنوبية . ثم عدل عن هذا ، وقال : وما أنت الخ .

(٥) وما أنت : ما استفهاميـة للتعجب وأم للاضراب بمعنى بل ، أى ما شأنك ؟ بل ما الداعى لذكرك ليلى ، وهى ربعية من ربيعة وأنت تميمى ، وقد رحلت الى بلادها حيث خط لهـا فى ثرمداء قليب — والقليب البئر وثرمداء موضع . ثم أخذ يصف أخلاق النساء وطباعهن ، فقال : فإن تسألونى الخ .

(٦) الأدواء : جمع داء ، أى بطباعهن المعيبة التى بمنزلة الأمراض فيهن .

(٧) الثراء : الكثرة ، أى يحببن من يعلمن عنده مالا . وشرخ الشباب أوّله ، وعجيب : معجب .

فدعْها ! وسلِّ الهمَّ عنكَ بجسْرَةٍ كَهمِّكَ فيهَا بالرِّدافِ خَبيبُ (١)

الى الحارث الوهّاب أعملتُ ناقتى بِكلكلها والقُصْرَيَيْن وَجيب (٢)

وَقَال عَلْقَمةُ بنُ عَبَدَة :

والحمدُ لا يُشْترى إلّا لَه ثمَنٌ ممّا يَضِنّ به الأقوامُ مَعلُومُ (٣)

وَالجُودُ نافيةٌ للمَال مَهْلَكةٌ والبُخْلُ مُبْقٍ لأهْليه ومذمُومُ (٤)

والمالُ صُوفُ قَرارٍ يَلعبُون بِهِ على نِقَادَتِه وافٍ ومجْلُومُ (٥)

ومُطعَمُ الغُنْم يومَ الغُنْم مُطْعَمهُ أنّى توَجّه، وَالمحرومُ محْرومُ (٦)

---

(١) الجسرة : الناقة القوية الماضية ، وكهمك أى مثل همتك فى المضاء والقوة ، والرداف : جمع رديف ، والرديف والردف : كل شىء يكون خلف الراكب ، ولو حقائب . والخبيب : السير السريع . (المعنى) أى فدع ليلى هذه ، وسل الهم عنها برحلة على ناقة قوية سريعة مثل همتك فى المضاء والنفاذ ، وفى سيرها سرعة ولو حملت خلف الراكب لها عدة أثقال .

(٢) والحارث الوهاب : يريد به الحارث بن جبلة بن أبى شمر الغسانى ، وكان أسر أخاه شاسا ، فرحل اليه يطلب خلاصه وفكه ، وأعمل الناقة : وجهها وأجهدها ، والكلكل : الصدر وما بين الترقوتين ، وهو المناسب هنا ، والقصريان : ضلعان تليان الترقوتين ، والوجيب : خفقان القلب . أى أنه لشدة إجهادها فى السير اشتد نبض قلبها ، وبان ذلك فى كلكلها وقصريها لقرب القلب منهما .

(٣) يقول : ان الحمد لا يشترى إلا بأثمان تضن بها النفوس . والحمد : الثناء والمدح .

(٤) نافية أى مبيد ومهلك — والبخل ... الخ : أى أن البخل يوفر المال وأهله مذمومون ، وأدخل الهاء فى نافية للمبالغة مثل علامة ونسابة .

(٥) القرار : النقد ، وهى غنم صغار الأجرام قصار الواحدة نقدة — يلعبون به أى يتداولونه و يعبثون به — واف : كثير ومجلوم : مجزوز بالجلم أى المقص . يريد أن منهم من يعطى القليل ومنهم من يعطى الكثير كما أن الصوف على النقد قليل وكثير . والنقادة : جمع لاسم الجمع .

(٦) المعنى أن الذى جعل الغنم له طعمة فسيطعمه فى يوم الغنم أينما توجه ومن حرمه فلن يناله ، فقضاء الله كائن لا محالة .

والجهلُ ذو عَرَضٍ لا يُستَرَادُ له والحِلمُ آونةً فى النـاس مَعْدُوم (١)

ومن تَعرّض للغربان يَزْجُرُها على سَـلامته لا بُدَّ مَشئُوم (٢)

وَكُلُّ حِصن وإن طالت سلامتُه على دعائمـه لا بُدَّ مهـدُوم (٣)

(٦) وقال طَرَفة بن العَبد من معلقته التى أوّلها : (٤)

لخـولةَ أطلالٌ بـبُرقةِ ثَهْمَدِ تلوح كباقى الوَشْم فى ظاهر اليـدِ (٥)

* * *

أرى قـبرَ نَحَّام بخيـل بمـاله كقبر غَوِىٍّ فى البَطالةِ مُفسِـدِ (٦)

ترى جُثْوَتينِ من تُراب عليهما صفائحُ صمٌّ من صَفيحٍ مُنَضَّـدِ (٧)

---

(١) ذو عرض أى يعرض لك — لا يستراد له أى لا يراد ولا يطلب فأنت لا تحبه ولا تريده — آونة : أحيانا المفرد أوان وإوان . (المعنى) أن الناس يسرعون الى الشر والجهل أحيانا فيجدونه .

(٢) المعنى أن من يزجر الطير وإن سلم فلا بدّ أن يصيبه شؤم — والغربان يتشاءم بها ، فمن تعرّض لها يزجرها ويطردها خوفا من أن يصيبه الشؤم فلا بدّ أن يقع ما يخاف ويحذر .

(٣) يقول : كل حصن دامت سلامة أهله فيه فلا بدّ أن يهلكوا ويخرب الحصن ، ودعائمه : أركانه التى يقوم بها .

(٤) هو طرفة بن العبد البكرى أحد فحول شعراء الجاهلية . مات أبوه وهو صغير فنشأ ميالا الى اللهو والبطالة وقول الشعر وهجاء الناس حتى كان الهجاء سبب قتـله شابا لم تزد سنه على ست وعشرين . وهو من أوصف الناس للناقة ، ويميل الى غريب اللفظ وخفى الكنايات . وله ديوان شعر صغير مطبوع .

(٥) خولة : اسم امرأة ، والأطلال : الآثار الشاخصة من الديار بعد دروسها ، وبرقة ثهمد : اسم ديار محبوبته . والوشم : النقش على اليد ونحوها بصبغ أسود بغرز الإبر فى الجلد .

(٦) النحام : الكثير النحيم ، وهو التنحنح بخلا ، والمراد بالغوىّ هنا المسرف فى ماله المبذّر له بإنفاقه فى غير صالح .

(٧) الجثوة : الكومة من التراب أو الحجارة ، والصفائح : جمع صفيحة وهى الحجر العريض كالبلاط . المنضد : المصفف المسوّى بعضه الى بعض — أى أن البخيل والمسرف يتساويان بعد موتهما ؛ فلكلٍ منهما قبر عليه كومة من التراب وبعض حجارة مصففة .

أرى الموتَ يعتامُ الكرامَ ويصطفِى عقيلةَ مالِ الفاحشِ المتشـــدِّدِ (١)

أرى العيشَ كنزًا ناقصًا كلَّ ليلة وما تنقُصِ الأيامُ والدهرُ ينفَـدِ (٢)

لعمركَ إن الموتَ ما أخطأ الفتى لكالطِّوَلِ المرخَى وثِنْيَاه باليـــدِ (٣)

متى ما يشأ يوما يقُــدْه لحتفِـهِ ومن يكُ فى حبلِ المنيّةِ ينقَدِ (٤)

ومنهـا :

وظلمُ ذوِى القربى أشدُّ مَضاضةً على المـرءِ من وقعِ الحُسامِ المهنَّدِ (٥)

* * *

ومنهـا :

أرى الموتَ أعدادَ النفوسِ ولا أرى بعيدًا غدا، ما أقربَ اليومَ من غدِ! (٦)

ستُبدِى لك الأيامُ ما كنتَ جاهلا ويأتيـــكَ بالأخبارِ مَن لم تُزَوِّدِ (٧)

---

(١) يعتام : يصطفى ويختار . وعقيلة كل شىء : خيرته وأنفسه عند أهله ؛ فهم يعقلونه أى يمنعونه الناس لذلك . والفاحش المتشدد : الشديد البخل .

(٢) العيش هنا : العمر والحياة .

(٣) ما أخطأ الفتى : أى مدة إخطائه له بإبقائه حيا دهرا طويلا . والطول : الحبل ، وثنياه : طرفاه المثنيان منه . (المعنى) أن الموت إذا أغفل بعض الناس ، فطال عمرهم لا يخرجون عن قدرته وسلطانه ؛ فمثله كمثل من بيده طرفا حبل مربوط برأس فرس إذا شاء جذبه اليـه فانقاد له . كذلك الانسان لا محالة ميت ، وإن طال عمره .

(٤) الحتف : الموت — يقول : إن زمام الانسان بيد الموت متى أراد جره الى هلاكه . ولا مناص للمرء من الموت . (٥) أشد مضاضة : أى أشد حرقة وألمـا .

(٦) الأعداد هنا : جمع عد بكسر العين ، وهو المـاء الدائم الذى لا تنقطع مادته مثـل ماء العيون والآبار لا ماء الغدران . (المعنى) أرى الموت موردا لكل حياء دائما لا يفنى ؛ فهم دائما واردوه .

(٧) أى ستظهر لك الأيام ما كان خافيا عليـك ، ويأتيك بالأخبار من لم تسأله عنها وتتكلف مؤونة زاده ليسافر ويجلبها لك .

ويأتيكَ بالأَخبار من لم تَبِعْ له بَتاتًا، ولم تَضربْ له وقتَ مَوعِد (١)

(٧) قال سَلامةُ بنُ جَندَل السعدى التَميمى : (٢)

أَودَى الشبابُ حميدًا ذو التعاجيب أَودى ، وذلك شأوٌ غيرُ مطلوب (٣)

وَلّى حَثيثًا ، وهذا الشيبُ يتبعهُ لو كانَ يُدركه رَكضُ اليعَاقِيب (٤)

أَودى الشبابُ الذى مجدٌ عواقبُه فيــه نَلَذُّ ، ولا لَذّاتِ للشيب (٥)

يومَانِ يومُ مقـاماتٍ وأنــديةٍ ويومُ سَــيْرٍ الى الأعداءِ تأوِيب (٦)

هَمّتْ مَعَــدٌّ بِنا همًّـا فنهنَهَـا عنّا طعـانٌ فَضَرْبٌ غيرَ تذبيب (٧)

---

(١) تبع هنا بمعنى تشترى ، وهو من كلمات الأضداد فى اللغة . والبتات : الزاد والجهاز .

(٢) شاعر جاهلى مجيد من فرسان تميم ، وشعره متين سلس صحيح الرواية ، وكان معاصرا لعمرو بن هند والنعمان بن المنذر .

(٣) أودى : هلك وزال ، والتعاجيب : العجائب ، والشأو : الغاية . (المعنى) مضى الشباب ذو العجائب محمودا بما كان فيه من اللذات العجيبة ، مضى وأصبح الآن غاية لا تدرك .

(٤) حثيثا : سريعا ، واليعاقيب : جمع يعقوب ، وله معان : منها أنه ذكر القطا والحجل ، وملكة النحل ، والعقاب ، والخيل المشبهة بيعاقيب الحجل فى الركض لسرعتها ، وكلها مناسبة هنا ، وأقربها الأخير. ولو هنا : للتمنى .

(٥) أصل معنى المجد فى الإبل ونحوها أن ترعى فتشبع ، وهو مناسب هنا بدليل بقية البيت ، ومن معانيه الكرم وشرف الفعال ، وهو مناسب أيضا ، وعواقب الأمور أواخرها . (المعنى) زال الشباب الذى كان أواخره بله أوائله شبعا وامتلاء من اللذات ، وعلى الثانى زال الشباب الذى انتهى بفعال كلها شرف وكرم .

(٦) يومان : أى لنا يومان ، والتأويب : السير السريع ، أى أن لنا يومين : يوما نجلس فى المقامات والأندية للسمر أو التشاور ، و يوما نسير الى الأعداء سيرا سريعا .

(٧) معد : الشعب العظيم الذى يشمل ربيعة ومضر ، ونهنهها : كفها ، و يقال : طعان غير تذبيب : اذا بولغ فيه . وجعله هنا صفة للضرب أى همت قبائل معد بقتالنا مرة فكفها عنا طعاننا وضربنا الشديدان .

بالمشرفيِّ ومصـــقولٍ أسِـــنَّتُها ... صُمِّ العوامِـــل صَدْقَاتِ الأنابيب (١)

يَجْـلُو أسِـــنَّتَها فِتيانُ عاديةٍ ... لا مُقْرَفين ولا سُـــودٍ جَعابيب (٢)

سوَّى الثِّقَافُ قَناها ؛ فهي مُحكَمَةٌ ... قليلةُ الزَّيْغ مِن سَنٍّ وتركيب (٣)

زُرْقًا أسِـــنَّتُها حُمْـــرًا مُثقَّفَـــةً ... أطــرافُهُنَّ مَقِيـــلٌ لليعاسيب (٤)

كأنها بأكُفِّ القـــومِ إذْ لحِقـــوا ... مواتحُ البئرِ أو أشْـــطانُ مَطلوب (٥)

كِلَا الفريقين : أعلاهُمْ وأسفلهمْ ... يشْـقَى بأرماحِنـا غيرَ التكاذيب (٦)

إنى وَجَدتُ بَنِى سَـــعْدٍ يُفضِّلُهُمْ ... كُلُّ شِهابٍ على الأعداء مَشْهُوب (٧)

---

(١) بالمشرفى : بالسيف المنسوب الى مشارف الشام ، وهى القرى العربية التى على حدود الشام تجلب منها السيوف المشرفية ، ومصقول أسنتها : أى وبرماح مصـقول أسنتها ، وعامل الرمح : صدره أى الجزء الذى يلى منه السنان ، والصدق : الصلب المستوى من الرماح .· والأنابيب : كعوب الرماح .

(٢) العادية : أوّل جماعة تحمل من الرجالة أو الفرسان ، والمقرف : الذى تكون أمه عربيـــة وأبوه أعجميا بعكس الهجين ، والجعابيب : جمع جعبوب وهو الضعيف النذل لا خير فيه ، أو القصير الذميم .

(٣) الثقاف : الآلة التى يسوّى بها الثقاف الرماح أى يسوّيها ، وهى خشبة فى وسطها ثقب ، الزيغ : الميـل والعوج ، ولا يريد أن بها زيغا قليلا بل لا زيغ فيها . والسن : تركيب السنان أى أن أسنتها ركبت فيها معتدلة غير معوجة .

(٤) والمقيل : القيلولة فى الظهر ، واليعاسيب : جمع يعسوب ، وهو عظيم النحل . (المعنى) سوى الثقاف القنا زرقا أسنتها حمرا مثقفة فكانت أطرافهن مكانا لتعلق رءوس السادات من الأعداء .

(٥) المواتح : الحبال الطويلة التى يمتح بها البئر أى ينزح ماؤها ، والأشطان : الحبال الطويلة والبئر المطلوب : البعيدة المـاء ، والمطلوب من هذا المعنى .

(٦) غير التكاذيب : أى غير ذوى التكاذيب ، جمع تكذيب وهو أن يحمل الفارس على الأعداء ، ثم لا يصدّق الحملة ؛ فيرتد عنهم جبنا . (المعنى) كلا الفريقين من الأعداء : الأشراف منهم ، والوضعاء أصيبوا برماحنا إلا من فرّ منهم جبنا .

(٧) بنو سعد بطن من تميم قوم الشاعر . (المعنى) إنى وجدت قومى يفضلهم على الناس أن كل شجاع فيهم بمنزلة الشهاب المتقد على الأعداء .

الى تميم حُماةِ العزِّ نسبتُهم ... وكلِّ ذى حسبٍ فى الناس منسوب (١)

قومٌ إذا صرّحت كحْلٌ بيوتُهمُ ... عِزُّ الذليل، ومأوى كلِّ قُرضوب (٢)

يُنجيهمُ من دواهى الشر إن أزِمَتْ ... صَبْرٌ عليها، وقِبصٌ غيرُ محسوب (٣)

كُنّا نُحلُّ اذا هبّتْ شآميَةٌ ... بكل وادٍ حطيبِ الجوف مجدوب (٤)

شِيبِ المبارِكِ مَدروس مدافِعُه ... هابى المَراغ قليلِ الوَدْق مَوْظوب (٥)

كنا اذا ما أتانا صارخٌ فَزِعٌ ... كان الصُّراخُ له قَرْعَ الظنابيب (٦)

وشَدَّ كَوْرٍ على وجناءَ ناجيَةٍ ... وشَدَّ سَرْجٍ على جرداءَ سُرحوب (٧)

(١) نسبة بنى سعد الى تميم والى كل ذى حسب معروف النسب .

(٢) الكحل : السنة الشديدة الجدب ، والقرضوب : الفقير الذى لا يصيب شيئا إلا أكله .

(٣) أزمت : عضت . والقبص : العدد الكثير لا يقدر على حسبه من كثرته . ثم وصف صبرهم على الشدائد والجدب بالبيتين الآتيين .

(٤) الريح الشآمية : باردة واذا هبت فى الشتاء ، وهو زمن الجدب عندهم كانت أبرد . (المعنى) نصبر على الجدب ونحل الوديان المجدوبة التى ليس بها إلا الحطب .

(٥) شيب : يعنى أن مبارك إبلهم فى الوادى المجدوب الذى نزلوه شيب أى بيضاء من الغبار والجدب لا خضرة فيها ، أو من الصقيع لأنهم ينزلونه زمن الشتاء . والمدروس : العافى الممحو المعالم . والمدافع : جمع مدفع ، وهو مجرى المياه ، وهابى المراغ أى أن المكان الذى تمرغ فيه إبلهم هاب لقلة المطر الذى يثبته ، والموظوب : الذى قد وظب حتى أكل ما فيه . (المعنى) هذا الوادى الذى نضطر الى الإقامة فيه زمن الشتاء — مباركه بيض لا خضرة فيها أو أن الصقيع كساه بالبياض ، ومجارى مياهه مدروسة لعدم المياه التى تجرى فيها ، ومراغ إبله هاب بالتراب والغبار ، وقد أكل كل ما فيه العشب ، فلم يبق فيه شىء يرعى . يصف قومه بالجلد والصبر على الشدائد .

(٦) الظنابيب : جمع ظنبوب ، وهو حرف عظم الساق من أمام . أى اذا استصرخ بنا واستنجد مستغيث أسرعنا فى نجدته . وهو مثل يضرب للتهيؤ للأمر بسرعة . وأصله من قرع ظنابيب الإبل لتبرك سريعا فتركب . وفسر هذا التهيؤ بالبيت الآتى .

(٧) الكور : الرحل الذى يوضع على ظهر الناقة ليركب عليها ، والوجناء : الناقة الصلبة الجسم ، والناجية : السريعة السير ، والجرداء : الفرس القصيرة الشعر وذلك من محاسنها ، والسرحوب : الطويلة .

يقــال : مَحِبِسُها أدنى لمرتَعِهــا ... وإن تعــادَى بِبَكْءٍ كلُّ محْلُوب (١)

حتى تركْنَا، وما تُثْنَى ظعائننــا ... يأخذْنَ بين سواد الخطّ فاللُّوب (٢)

(٨) وَقَال عَبْدُ يَغُوثَ الحَارِثِى : (٣)

ألَا لا تَلومانى كفى اللــومَ ما بِيَا ... فمــا لكُما فى اللوم خيرٌ ولا لِيــا (٤)

ألَمْ تعلَمَــا أن الملامةَ نفعُهــا ... قليــلٌ وما لومى أخى من شِماليا (٥)

فيــا راكبًا إمَّا عرضتَ فبلغَــا ... نداماىَ من نَجران أنْ لا تلاقِيــا

أبا كَرِب والأيْهَمَــيْنِ كِليهِــما ... وقَيْسًا بأعلَى حضَرموتَ اليمــانيا (٦)

جزى الله قومى بالكُلَاب مَلامةً ... صريحَهُــمُ والآخَرِينَ المَواليــا (٧)

---

(١) يقال محبسها الخ يعنى يقال فى وصفها : إن محبس هذه الإبل وهذه الخيل على الجدب ومقابلة العــدو على الثغر ومواضع المخافة — أدنى وأقرب وأولى من أن ترتع وتخصب فتضيع الثغر . وتعادى : تبارى فى العدو، والبكء : قلة اللبن فى المحلوب . أى ولو جرت النوق التى تحلب بلبن قليل لقلة رعيها .

(٢) تثنى : ترجع و يرد بعضها على بعض أى تمنع عن سيرها وتحال دونه . والظعينة : المرأة المسافرة فى هودجها ، وسواد الخط : يريد بلاد الخط من ساحل البحرين ، واللوب : الحجارة السود، وتكون فى الجبال الغربية من بلاد العرب . (المعنى) ما زلنا نداقع العدوّ حتى ترك لنا البلاد فأصبحت ظعائننا يسرن ما بين سواحل البحرين الى حدود الحجاز، لا يثنيهن العدوّ عن طريق .

(٣) هو عبد يغوث بن وقاص الحارثى اليمنى أسر يوم الكلاب وهو يوم بين تميم واليمن ، وقد أسرته تيم الرباب . وهو شاعر فارس مقدّم فى قومه ينتمى الى بيت معرق فى الشعر .

(٤) أى كفى اللوم ما أنا فيه : فلا تحتاجون الى لومى مع ما ترون من أسرى وجهدى .

(٥) يقول ليس لومى أخى من شمــائلى أى أخلاقى .

(٦) أبو كرب والأيهمان : من اليمن ، وقيس بن معدى كرب الكندى كذلك .

(٧) صريحهم : خالصهم ومحضهم . والموالى هنا : الحلفاء .

ولو شئتُ نجّتني من الخيل نَهْدةٌ ... تَرى خلفَها الحُوَّ الجيادَ تَوَاليا (١)

ولكنّني أحمِي ذِمارَ أبيكمُ ... وكانَ الرماحُ يختطفن المُحاميا (٢)

أقولُ وقد شدُّوا لساني بِنِسْعةٍ : ... أمعشرَ تَيمٍ أطلقُوا عنْ لِسَانيا (٣)

أمعشر تيمٍ قد ملكتم فأسْجِحوا ... فانَّ أخاكم لم يكنْ من بَوَائيا (٤)

فان تَقتلونى تقتلوا بِىَ سَيِّدًا ... وإن تُطلِقونى تَحْرُبُونِى بما ليا (٥)

أحقًّا عبادَ اللهِ أَن لستُ سامعًا ... نشيدَ الرِّعاءِ المُعْزِبِين المَتَاليا (٦)

وتضحكُ منى شيخةٌ عبشميةٌ ... كأنْ لَم ترى قبلِى أسيرا يمانيا (٧)

وقد علِمتْ عِرسى مُلَيكةُ أنني ... أنا الليثُ مَعْدُوًّا علىّ وعَاديا

وقد كنتُ نَحَّارَ الجزورِ، ومُعْمِلَ الْ ... مَطِىِّ، وأمضى حيثُ لاحىَّ ماضيا

وأنحَرُ للشَّرب الكريم مطيّتى ... وأصدعُ بين القَيْنَتَين رِدَائيا (٨)

---

(١) النهدة : الفرس المرتفعة الخلق ، والحو : الخيل التى تضرب الى خضرة ، وقوله تواليا أى تتلوها وتتبعها لأن فرسه خفيفة قد تقدّمت الخيل .

(٢) الذمار : ما يجب على الرجل حفظه من منعه جارا وطلبه ثأرا — يختطفن : يذهبن به .

(٣) هذا مثل ، فاللسان لا يشد بنسعة ، وانما أراد افعلوا بى خيرا لينطلق لسانى بشكركم وانكم مالم تفعلوا فلسانى مشدود لا أستطيع مدحكم .

(٤) اسجحوا : سهلوا و يسروا أمرى ، والبوائى : جمع بواء بمعنى سواء . أى أن صاحبكم ليس نظيرى فلا أقتل به ، يقال يا فلان بؤ بفلان أى اذهب به ، يقال ذلك للمقتول بمن قتل .

(٥) أى وأن تطلقونى أدفع دية عظيمة لصاحبكم بحيث يهلك منها مالى .

(٦) المعزب : المتنحى بإبله ، والمتالى التى قد نتج بعضها و بقى بعض ، والواحدة متلية .

(٧) عبشمية نسبة الى عبد شمس ، والأسير : المشدود .

(٨) الشرب الشاربون ، المفرد شارب كصحب وصاحب . والمطية : البعير هنا — أصدع أشق والقينة الأمة مغنية كانت أو غير مغنية والأول هو المراد هنا يصف نفسه بالكرم والترف .

وكنتُ إذا ما الخيلُ شَمَّصَها القَنَا　　لَبِيقًا بتَصريف القنـاةِ بَنَـانيا (١)
وَعَادِيةٍ سَوْمَ الجَـــرادِ وَزَعْتُهـا　　بكفِّي وقـــد أَنْحَوْا الىَّ العواليـا (٢)
كأنِّيَ لم أركَبْ جوادًا ولم أقُــلْ　　لِخَيْـلِيَ : كُرِّي نفِّسي عن رجاليا
ولم أَسبأ الزِّق الرويَّ ، ولم أقل　　لِأَيْسار صِدْقٍ أعظموا ضوءَ ناريا (٣)

(٩) وقال ذو الإصبع العَدْواني : (٤)

لِيَ ٱبنُ عمٍ على ما كانَ من خُلُقٍ　　مختلفـانِ : فأَقْليـــه ، ويَقليني (٥)
أزرى بنـا أنَّـا شَالَتْ نَعَامتُنـا　　فخَالني دُونَه ، وخِلْتُـــه دوني (٦)
يا عمـرُو إلّا تدعْ شَتْمِي ومَنْقَصَـتِي　　أضْرِبْكَ ، حَتّى تقولَ الهامةُ : اسقُوني (٧)

---

(١) شمص : ضرب ونخس ، والقنا : الرماح واللبيق الحاذق .

(٢) العادية : القوم يعدون ، والخيل كذلك — سوم الجراد : انتشاره فى طلب المرعى . وزعتها : كففتها ومنعتها — أنحوا الرماح : أمالوها وقصـدوا بها الىّ ، والعالية من الرمح فى ثلثـه الأعلى دون السنان بذراع . يقول ورب جماعة من الفرسان تعدو على فى كثرة الجراد وشيوعه قد كففتها عنى ، وقد أمالوا رماحهم نحوى فى القتال .

(٣) السباء : اشتراء الخمر ، والأيسار الذين يضربون القداح فى المقامرة ، يقول : كأنى لم أشرب الخمر ، ولم أقل للقامرين معى أعلوا ضوء النار للشواء أولإكرام الضيفان الذين يقصدونها ، وكان ذلك من مفاخر العرب .

(٤) هو حرثان بن الحارث من عدوان من مضر شاعر فارس من قدماء الشعراء فى الجاهلية وقد عمر طويلا حتى خرف وأهتر ومات قبل الاسلام .

(٥) على ما كان من خلق أى من تخالق ومعاملة بيننا ، يريد أنهما مختلفان ، أقليه : أبغضه .

(٦) أزرى بنـا : قصر بنا وعابنا وقـوله شالت نعامتنا معناه تفرق أمرنا واختلف فتنافرنا ، فصرت لا أطمئن اليه ولا يطمئن الى .

(٧) الهامة : الرأس وهى موضع العطش عند العرب قديما فهو على ذلك يقول أضربك حتى تعطش وله تأويل آخر ، وهو أنه يقال : إن الرجل إذا قتل فلم يدرك بثأره خرجت هامة من نوع البوم من قبره فلا تزال تصيح : اسقونى حتى يثأر له ويكون المراد على هذا : أضربك حتى تقتل .

لَاهِ ابنُ عمك! لا أفضَلْتَ فى حَسَبٍ ... عنى ، ولا أنتَ ديّانى فتخْــزُونى[1]

ولا تقُــوتُ عيالى يومَ مَسْــغَبةٍ ، ... ولا بِنَفْسِك فى العَــزّاء تكفينى[2]

إنى لَعمــرُكَ ما بابِى بذى غَلَق ... عن الصّـديقِ ، ولا خَيْرِى بمَمْنُون[3]

ولا لسـانِى على الأدنى بمنطَلِق ... بالفاحشَاتِ ، ولا فتكى بمأمون

عَفٌّ يؤوس ، إذا ما خِفْتُ من بلدٍ ... هُـونًا فلستُ بِوقَّافٍ على الهُــون[4]

عَــنى إليكَ ؛ فما أمّى بِرَاعِيــةٍ ... تَرْعَى المخَـاضَ ، وما رأيِى بمغبُــون[5]

كل امرئٍ راجعٌ يوما لشيمتــه ... وإن تخَلّق أخلاقًا إلى حين[6]

إنى أبِىٌّ أبِىٌّ ذو محـافظَــةٍ ... وابنُ أبِىّ أبِىّ من أبيِّــين[7]

وأنــتمُ معشــرٌ زَيْدٌ على مِائَةٍ ... فأجمعــوا أمرڪم كُلًّا فكيدونى[8]

فان علمتمْ سبيلَ الرشْــدِ فانطلقوا ... وإن جهلتم سبيلَ الرشــدِ فأتُونى[9]

---

(١) لاه ابن عمك : أصله لله ابن عمك فحذف اللام الخافضــة اكتفاء بالتى تليها ، والديان القائم بالأمر . يقول : لست القائم فى أمرى فتخزونى أى تسوسنى وتدبر أمرى .

(٢) المسغبة : المجاعة . والعزاء : الضيق والشدّة .

(٣) أى لا أدّخر عن صاحبى شيئا ولا أمنّ عليه .

(٤) عف : أى عفيف عما ليس لى ، يؤوس : لست بذى طمع ، فأنا يائس مما فى يد غيرى ، والهون : الهوان والذلة .

(٥) أى لست بابن أمة ، وخص المخاض لأن رعيها عمل المهين .

(٦) الشيمة : الطبع ، يريد أن التخلق لا يدوم ولا بد أن يرجع الإنسان إلى طباعه التى تغلب عليه

(٧) يصف نفسه وآباءه بالعز والمنعة .

(٨) زيد على مائة : زيادة عليها .

(٩) أى فإن عرفتم سبيل الرشد فاذهبوا لوجهتكم وإن فزعتم إلى رأيى أجبتكم ونصحت لكم .

ماذا علىّ وإن كنتم ذوى كرم ألّا أحبّكمُ إذْ لم تحبّونى
لو تشربُون دمى لم يُرْوِ شارِبَكُمْ ولا دِماؤُكُمُ جَمْعًا تُروّينى
اللهُ يعلمُنى ، واللهُ يعلمكُمْ واللهُ يَجْزيكم عنى ، ويَجْزِينى
قد كنتُ أُوتيكمُ نُصْحى ، وأمنحكم وُدّى على مُثْبَتٍ فى الصَّدْرِ مكنُون(١)
لا يُخرجُ الكُرْهُ مِنى غيْرَ مَأْبِيةٍ وَلا أَلِين لِمَن لا يَبْتغِى لِينى(٢)

(١٠) قال عَمرو بن كُلثوم التغلبى من معلقته يفخر بقومه : (٣)

وقد علم القبائلُ من معدٍّ إذا قُبَبٌ بأبطحها بُنِينا (٤)
بأنّا المطعمون إذا قدَرنا وأنا المهلكون إذا ابتُلينا (٥)
وأنا المانِعون لما أردنا وأنا النازِلُون بحيثُ شِينا (٦)
وأنا التاركون إذا سخِطنا وأنا الآخذون إذا رَضِينا

---

(١) مكنون : مستور .

(٢) يقول ، إذا أكرهت على الشىء لم يكن عندى إلا الإباء له فلا أعطى على القسر شيئا .

(٣) هو أبو الأسود عمرو بن كلثوم بن مالك التغلبى سيد تغلب وفارسها وشاعرها وخطيبها ، وهو أحد أصحاب المعلقات ، مات قبل الاسلام بنحو خمسين سنة .

(٤) معد بن عدنان : هو أبو الشعب العظيم العدنانى المقابل للشعب القحطانى من العرب — والقبب البيوت من الجلد تبنى للملوك والسادة .

(٥) يعنى أننا إذا قدرنا على الناس لا نستذلهم بل نطعمهم ونرغد عيشهم ، وإذا ابتلانا عدوّنا بحرب أهلكناه .

(٦) يريد أننا نمنع ونحمى ما نريد من البلاد والناس فلا يستطيع أحد أخذه منا ولا معارضتنا فلنا البلاد ننزل أى مكان شئنا .

ونشربُ إن وردْنا الماء صَفْوًا ... ويشربُ غيرُنا كدرًا وطِينا (١)

إذا ما المَلْكُ سام الناس خَسْفًا ... أَبَيْنا أن نُقِرّ الذلّ فينا

لنا الدنيا ومن أمسى عليها ... ونبطِشُ حينَ نبطِش قادرينا

بُغاةً ظالمين وما ظُلِمنا ... ولكنا سنبدأ ظالمينا (٢)

ملأْنا البرَّ حتى ضاق عنا ... ونحن البحرَ نملؤه سفينا (٣)

إذا بلغ الرضيعُ لنا فطاما ... تَخِرّ له الجبابرُ ساجدينا

(١١) قال الحارث بن حِلِّزة اليَشكرى من قصيدة يفتخر: (٤)

ولئن سألتَ إذا الكتيبة أحجمت ... وتبيّنتْ رِعةُ الجبان الأهوج (٥)

وحسبتَ وقْعَ سُيوفنا برءوسهم ... وقعَ السحاب على الطِراف المُشرّج (٦)

---

(١) أى لا يشرب الناس من المورد إلا بعد أن نشرب، فيكون الماء قد تكدر بالطين .

(٢) كانت العرب تتباهى بالحرية والمنعة ويفخرون بأنه ليس فى استطاعة غيرهم أن يظلمهم لقوّته، بل هم الذين يبدءون غيرهم بالظلم لاعتقادهم أن (من لا يظلم الناس يظلم) .

(٣) كانت تغلب تسكن شواطئ الفرات وربما امتدت ديارهم إلى ساحل الخليج الفارسى؛ ولذلك يقع فى شعر تغلب وأختها بكر بن وائل ذكر السفن وأدواتها .

(٤) هو الحارث بن حلزة اليشكرى البكرى أحد أصحاب المعلقات العشر وأصحاب البديهة والارتجال . وكان فى بكر بن وائل قريع عمرو بن كلثوم فى تغلب وخصما عنيدا له .

(٥) الرعة : الخوف . والأهوج : الأحمق الطائش الطويل .

(٦) السحاب هنا : المطر . والطراف : البيت أو القبة من أدم أى جلد . والمشرج : المخيط بعض قطعه فى بعض . وشبه وقع السيوف على الرءوس بوقع المطر على القبة من الجلد لبيان كثرة وقعها وتميز صوت وقعها؛ لأنه حينئذ يكون كالطبل .

وإذا اللِّقــاحُ تروَّحَتْ بعَشِــيَّةٍ رَتَكَ النعــامِ إلى كنيفِ العــرفجِ (١)
ألفيتَنا للضيفِ خــيرَ عِمــارة إن لم يكــن لَبَنٌ فعَطْفُ المدْجَ (٢)

(١٢) وقال عَبِيدُ بن الأبرص من بائيته المشهورة التي أوّلها :(٣)

أقْفَرَ مِن أهلِه مَلْحُوبُ فالقُطَّبِيَّاتُ فالذَّنــوبُ (٤)

* * *

وكل ذى غَيْبــةٍ يؤوبُ وغائب الموت لا يؤوب
أعاقرٌ مثــلُ ذاتِ وُلْدٍ أو غانمٌ مثــلُ مَنْ يخيبُ
من يَسألِ الناسَ يَحرِموه وسائــلُ الله لا يخيبُ
ساعدْبأرضٍان كنتَ فيها ولا تقلْ : إنني غريب

---

(١) اللقاح : جمع لقحة وهي الناقة ذات اللبن . وتروّحت : رجعت إلى مباركها آخر النهار . والرتك : مقاربة الخطو ، والكنيف حظــيرة من شجر للابل . والعرفج : شجر سريع الالتهــاب ، أى وإذا راحت النوق ذوات اللبن إلى كنفها المتخذة من شجر العرفج مسرعة إسراع النعام ألفيتنا الخ .

(٢) ألفيتنا : وجدتنا ، والعمارة هنا : العشــيرة والأهل . والمدج : قدح الميسر الذى يقامر به ، أى ان لم يكن لبن عطفنا على القداح فضربنا بها ونحرنا النوق التي ربحنا للضيف .

(٣) عبيد بفتح العين وكسر الباء . هو عبيد بن الأبرص الأسدى أحد فحول شعراء الجاهلية وقدمائهم وبائيته التي منها هــذه الأبيات من مجزوء البسيط وأكثر أبياتهــا مضطربة الوزن ولكنّ أغراضها ومعانيها شريفة .

(٤) ملحوب والقطبيات والذنوب : أسماء أماكن .

(١٣) وقال الأفوهُ الأَوْدِيّ : [١]

البيتُ لا يُبتَنى إلا له عَمَــدٌ ولا عِمَـادَ اذا لم تُــرْسَ أوتادُ [٢]

فإن تجمّـعَ أوتادٌ وأعمِـدةٌ وساكنٌ بلغُوا الأمرَ الذى كادوا [٣]

لا يصلُحُ الناسُ فوضَى لا سَرَاةَ لهم ولا سَـــراةَ إذا جُهّالُهم سـادوا

تُهدَى الأمورُ بأهلِ الرأىِ ماصلحت فان تولّتْ فبالاشرار تنقـاد

إذا تولّى سَـــراةُ الناس أمرَهمُ نَمَا على ذاك أمرُ القوم فازدادوا

---

(١) هو صلاءة بن عمرو الأودى أحد فحول شعراء الجاهلية وحكمائها وسادتها وفرسانها .

(٢) هــذا البيت والذى بعده تمثيل لمذهبه ورأيه فى سياسة الناس وصلاح أمورهم إذا تولى حكمهم وقيادتهم سراتهم وذوو الأحساب والرأى فيهم فما دام هؤلاء بأيديهم الحل والعقد صلحت أمورهم وعظمت شؤونهم وبلغوا ما أرادوا ، فاذا تغلب الجهال بقوتهم عم الفساد .

(٣) كادوا هنا بمعنى أرادوا .

عصر صدر الاسلام وبنى أمية

(١) آيات من القرآن الكريم[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد جاءكم رسول من أنفسكم[٢] عزيز عليه ما عنتم[٣] حريص عليكم[٤] بالمؤمنين رءوف رحيم . فإن تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم[٥] .

وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلوة وبشر المؤمنين[٦] . وقال موسى ربنا إنك ءاتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك[٧] ربنا اطمس[٨] على أموالهم واشدد

(١) هو كتاب الله الحكيم أنزله على نبيه محمد عليه الصلاة والسلام منجما بحسب الحوادث والمناسبات ، و يعد هذا الكتاب أساس الشريعة الاسلامية ومعجزة الرسالة المحمدية ، فهو المثل الأعلى للبلاغة ، مقسم الى أجزاء وسور .

(٢) أى من جنسكم .

(٣) أى عنتكم ولقاؤكم المكاره ؛ فما مصدرية .

(٤) حريص عليكم أى على إيمانكم وصلاح شأنكم .

(٥) تولوا : انصرفوا عن الإيمان بك فقل (يا محمد) — حسبى الله يكفينى معرّتهم ، و يعيننى عليهم .

(٦) موسى : هو رسول الله ، وأخوه هو هارون — تبوءا : اتخذا مباءة ومقرا — اجعلوا أى أنتما وقومكما — قبلة : مصلى .

(٧) ليضلوا : متعلقة بآتيت .

(٨) اطمس على أموالهم أى أهلكها وامحقها .

على قُلوبِهِمْ فلا يُؤمنُوا حَتَّى يَرَوُا العذابَ الأَلِيمَ . قال قد أُجيبَت دعوتُكما فاستَقِيمَا ولا تَتَّبِعَانِّ سبيلَ الذينَ لا يعلَمونَ . وجٰوَزْنا ببنى إسْراءِيلَ البحرَ فأَتْبَعَهُمْ فِرعونُ وجُنودُه بَغْياً وعَدْوًا (١) حَتَّى إذا أدركَهُ الغَرَقُ قال ءَامَنتُ أنه لا إلٰه إلا الذى ءَامَنَتْ به بنو إسراءِيلَ وأنا مِن المسلِمِينَ ءَآلْئَٰنَ (٢) وقَدْ عَصَيتَ قَبلُ وكُنتَ مِنَ المفسدِينَ .

◆
◆ ◆

أَفَمَنْ يعلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إليكَ مِنْ رَبِّكَ الحقُّ (٣) كَمَنْ هُوَ أعْمَىٰ (٤) إنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الألبٰبِ (٥) الذينَ يُوفونَ بعَهْدِ اللهِ (٦) ولا يَنْقُضُونَ المِيثٰقَ (٧) والذينَ يَصلونَ ما أَمَرَ اللهُ بهِ أَنْ يُوصلَ (٨) وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ويَخَافونَ سُوءَ الحِساب . والذين صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِم (٩) وأقامُوا الصَّلَوٰةَ وأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وعَلَانِيَةً ويدرءُون (١٠) بالحَسَنةِ السَّيِّئَةَ أُولٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (١١) .

---

(١) أتبعهم : أدركهم — بغيا وعدوا أى باغين عادين .

(٢) أى أتؤمن الآن ، وقد أيست من نفسك ، ولم يبق لك اختيار .

(٣) أى ويستجيب لك .

(٤) أعمى لا يستبصر فلا يصدق .

(٥) الألباب : العقول ، جمع لب .

(٦) عهد الله ما عقدوه على أنفسهم من اتباع شريعته .

(٧) ما وثقوا من المواثيق والعهود مع الله أو مع الناس .

(٨) أى يرعون القرابة الخاصة والعامة ، و يؤدّون جميع الحقوق .

(٩) طلبا لرضاه .

(١٠) يدفعونها أى يقابلون الاساءة بالاحسان .

(١١) أى عاقبة الدنيا ومآل أهلها الأبرار من حسن المثوبة .

إنَّ اللهَ يأمر بالعَدلِ والإحسٰنِ وَإيتَايِ ذِى القُرْبَى وَيَنْهٰى عن الفَحشَاءِ والمنكر والبَغيِ يعِظُكم لعلكُمْ تذَكَّرُونَ ، وأوفُوا بِعَهدِ الله إذا عٰهَـدْتُمْ ولا تَنقُضُوا الأَيْمٰنَ بعدَ تَوكيدِهَا وقَد جعلتمُ اللهَ عليكُمْ كَفيلًا إنَّ اللهَ يعلمُ ما تفْعلونَ .

وقَضٰى ربُّكَ ألَّا تَعبدُوا إلَّا إيَّاهُ وبالوَالدين إحسَانًا ، إمَّا يَبلُغَنَّ عِنـدَكَ الكِبَرَ أحَدُهُمَـا أو كِلَاهُما فلا تَقُل لهُمَا أُفٍّ ولَا تَنهَرْهُمَا وَقُل لهُمَا قَولًا كَرِيمًا ، واخفِض لهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَبِّ ارحمهُمَا كما ربَّيَانِى صَغِيرًا ، رَبُّكم أعلمُ بِمـا فى نُفُوسِـكم إن تكونُوا صَلِحِينَ فإنَّهُ كانَ لِلأَوّٰبِينَ غفُورا ، وءَاتِ ذَا القُربَى حَقَّهُ والمسكينَ وابنَ السبِيلِ ولا تُبَذِّر تَبذِيرًا ، إنَّ المبذِّرينَ كانُوا إخوانَ الشَّيٰطينِ وكانَ الشَّيطٰنُ لربِّهِ كفُورًا .

ألم ترَ أنَّ اللهَ يُولِجُ اللَّيلَ فِى النَّهَارِ ويُولِجُ النَّهَارَ فى اللَّيلِ وسخَّرَ الشمسَ والقَمَرَ ، كُلٌّ يَجرى إلى أجَلٍ مُسَمًّى وأنَّ اللهَ بِمـا تَعملونَ خَبيرٌ ، ذَلكَ بأنَّ اللهَ هُوَ الحقُّ وأنَّ

(١) الاحسان : إجادة الطاعات والأعمال . إيتاء : اعطاء مال ونحوه .

(٢) الفحشاء : الذنوب الكبيرة . المنكر : هو ما ينكر على متعاطيه . البغى : العدوان والتجبر . تذكرون : تتعظون . (٣) كفيلا شاهدا بتلك البيعة .

(٤) إحسانا : مفعول مطلق لفعل محذوف أى وأن تحسنوا بهما إحسانا .

(٥) إما هى إن الشرطية زيدت عليها ما تأكيدا .

(٦) تنهر : تزجر بغلظة . والقول الكريم : هو الجميل اللين لا شراسة فيه .

(٧) كما ربيانى ، أى لتربيتهما إياى صغيرا . (٨) الأوابون : التوابون .

(٩) ابن السبيل : المسافر المحتاج يستحق الزكاة . (١٠) يولج : يدخل ، والمراد تعاقبهما وتبادلهما الزيادة والنقص . (١١) أجل مسمى : نهاية معلومة .

(١٢) ذلك اشارة الى الذى ذكره من نظام الفلك وغيره — بأن : أى بسبب أنَّ .

مَا يدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبٰطلُ وأَنَ اللّٰهَ هو العَلِىُّ الكَبِيرُ، أَلَمْ تَرَ أَنَّ الفُلْكَ تجرى فى البَحْرِ بِنعمةِ اللّٰهِ لِيُرِيَكُم من ءَايٰتِه إنَّ فِى ذَلِكَ لَآيٰتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ[1]، وَإِذَا غَشِيَهم مَوْجٌ كالظُّلَلِ[2] دَعَوُا اللّٰهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدينَ فلما نَجَّاهُم إلى البَرِّ فمِنْهم مُقْتَصِدٌ وما يَجْحَدُ بآيٰتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ[3] .

أَوَلَمْ يَرَوا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعٰمًا[4] فَهم لَهَا مٰلِكُون، وذَلَّلْنٰهَا لَهُمْ فَمِنهَا رَكُوبُهُم[5] ومنها يأكلُونَ، ولَهُمْ فيهَا مَنٰفِعُ ومشَارِبُ أَفَلَا يَشكُرُونَ، واتَّخَذُوا من دُونِ اللّٰهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ[6] ، لا يستطيعُونَ نَصرَهُمْ وهُمْ[7] لَهُمْ جُندٌ مُحضَرُونَ، فلَا يحْزُنْكَ قَولُهُمْ إِنَّا نَعلَمُ ما يُسِرُّونَ ومَا يُعلنُون، أَوَلَم يَرَ الإِنسٰنُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطفَةٍ فإِذَا هُو خصيمٌ مبِينٌ[8] وضَرَبَ لَنَا مَثَلًا[9] وَنَسِىَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ العظٰمَ وهى رَمِيمٌ[10] قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِى أنشأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وهُو بِكُلِّ خَلْقٍ عليمٌ ، الذى جَعَلَ لكُم مِنَ الشَّجَرِ الأخضَرِ نارًا فإِذَا أَنتُمْ منه تُوقِدونَ، أَوَليس الذى خَلَقَ السَّمٰوٰتِ والأرضَ بِقٰدِرٍ

(١) الفلك : السفينة للفرد والجمع، نعمة الله : إحسانه فى تهيئته أسبابه .

(٢) غشيهم : علاهم وعطاهم . الظلل : جمع ظلة كقلة وقلل، والظلة : ما يظل من سحاب أو جبل أو غيرهما . (٣) مقتصد : مقيم على الطريق القصد السوى الذى هو التوحيد — يجحد يكفر — الختار : الغدار .

(٤) الأنعام : الإبل، وتطلق على البقر والغنم أيضا المفرد نعم — ذللناها : صيرناها منقادة .

(٥) ركوبهم : مركوبهم .

(٦) رجاء أن ينصروهم فيما حزبهم من الأمور والحق أنهم لا يستطيعون .

(٧) هم : أى المنكرون — لهم أى لآلهتهم — جند محضرون أى معدون لحفظهم والذود عنهم.

(٨) مبين : شديد الخصومة .

(٩) المثل : الأمر العجيب، والمراد هنا نفى القدرة على إحياء الموتى كما سيذكر بعد حيث (قال من يحى) . (١٠) الرميم : ما بلى من العظام .

عَلىٰ أن يَخْلُقَ مِثلهم ، بَلىٰ(١) وهو الخَلّٰقُ العَـلِيمُ ، إنمـا أمرُه(٢) إذا أرادَ شـيئاً أنْ يقُولَ له كُنْ فيَكُونُ ، فُسبحٰنَ(٣) الذى بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وإليهِ تُرجَعُونَ .

(ب) الشـــــعر

(١) قال أُمَيَّةُ بن أبى الصَّلْتِ يعتِب على ابن له :(٤)

غَذَوْتُكَ مَوْلُودًا وعُلْتُك يافِعًا ... تُعَلُّ بمـا أُدنِى إليـك وتُنْهَلُ(٥)

إذا ليلةٌ نابَتْك بالشَّكْوِ لم أبِتْ ... لِشَكواكَ إلا سَاهِرًا أتمَلْمَلُ(٦)

كأنى أنا المَطروقُ دَونك بالذى ... طُرِقْتَ به دونى ، وعَيْنِى تَهْمِلُ(٧)

تَخافُ الرَّدَى نفسى عليك ، وإنها ... لَتعـلمُ أنَّ الموتَ حَتْمٌ مؤجَّل(٨)

فلمّا بلغتَ السنَّ والغايَةَ التى ... إليها مَدى ما كنتُ فِيكَ أُؤَمِّل

---

(١) بلى : جواب من الله تعالى لتقرير ما بعد النفى للدلالة على أنه لا جواب سواه .

(٢) أمره : شأنه .

(٣) سبحان : مفعول مطلق بمعنى تنزيها . الملكوت : الملك العظيم والتاء للمبالغة وإليـه ترجعون : تعودون اليه ليحاسبكم . وفى هذه الجملة وعد ووعيد معا .

(٤) هو عبد الله بن أبى ربيعـة الثقفى نشأ بالطائف جاهليا يلتمس المعارف الدينية متعبدا راجيا أن يكون نبى العرب ؛ حتى اذا كانت بعثة النبى صلى الله عليه وسـلم نفسها عليه ، وناضله مع أعدائه حتى مات بالطائف سـنة ٩ هـ . و يمتاز شـعره بالسهولة ، والدخيـل من الألفاظ ، وتناول الأساطير ، والأمور الدينية مع المدح والحكمة وكان أ كثر مدحه فى عبد الله بن جدعان القرشى .

(٥) غذاه : قام بمؤونته ، وعاله : كفله وقام به ، واليافع : من قارب العشرين ، تعل : من العلل ، وهو الشرب الثانى . والنهل : الشرب الأوّل ، يريد أنه يسبغ عليه من نعمه الكثير والقليل .

(٦) أتململ : أتقلب على الملة وهى الجمر .

(٧) تهمل : أى يسيل منها الدمع .

(٨) الردى : الهلاك ، حتم أى لا مفر منه . مؤجل أى له وقت .

جعلتَ جزائى منك جَبْهًا وغِلْظَةً كأنكَ أنت المنعِمُ المتفضِّــلُ (١)

فليتكَ إذ لم ترْعَ حقَّ أُبوَّتى فعلْتَ كما الجــارُ المجاورُ يفعَل (٢)

وسمَّيْتَنِى باســم المفنَّــدِ رأيُه وفى رأيك التفنيدُ لوكنتَ تعقِل (٣)

تراه مُعَــدًّا للخلافِ كــأنه بِرَدٍّ على أهلِ الصواب مُوَكَّل (٤)

(٢) قال ضِرارُ بن الخطَّاب بنِ مِرْداس : (٥)

عجِبتُ لفخرِ الأوْسِ، والحَيْنُ دائرٌ عليهم غدًا ، والدهرُ فيــه بصائرُ (٦)

* * *

فإن تظفَروا فى يوم بدرٍ فإنما بأحمدَ أمسى جَدُّكم، وهو ظاهر (٧)

وبالنَّفَـرِ الأخيـارِ هُمْ أوليـاؤُه يحامون فى اللأْوَاءِ، والموتُ حاضر (٨)

يُعَــدُّ أبو بكــرٍ وحمزةُ فيهــمُ ويُدْعَى علىٌّ وَسْطَ مَنْ أنتَ ذاكر

---

(١) الجبه : مقابلة الانسان بما يكره .

(٢) أى ليتك اذا أبيت أن تعاملنى معاملة الأب عاملتنى كما يعامل الجار جاره .

(٣) فنده : نسبه الى سوء العقل أى وصمتنى بسوء الرأى والغباوة ، ولو عقلت لعلمت أن الفند حقيق بأن ينسب اليك لا إلى . (٤) معدّا : أى محضرا ومهيئا ، أى أنه يهيئ الخلاف ، و يقابل به كل رأى كأنه كلف أن يفند آراء أهل الصواب .

(٥) هو ضرار بن الخطاب بن مرداس الفهرى فارس مقدّم منذ الجاهلية . ولما جاء الاسلام كان يناضل الرسول ، و يناقض شعراءه ، وشعره يتصل بحروب وأحداث فى الجاهلية وصدر الاسلام منه هذه القطعة التى يردّ بها على الأنصار فخرهم بنصرة بدر المشهورة .

(٦) الحين : الموت ، أى أنى عجبت لفخر الأوس بنصرهم مع أن الموت سينالهم بعد حين وفى حوادث الدهر عبر للتبصر . (٧) الجدّ : الحظ والسعادة والظفر . (٨) اللاواء : الشدّة .

أولئـك لا مَنْ نُتِجَتْ فى ديارها بنو الأوسِ والنجارِ حِينَ تُفـاخر (١)
ولكنْ أبوهُم مِن لُؤَىّ بنِ غالب إذا عُدّتِ الأنسابُ كَعْبٌ وعامر
هُمُ الطاعنون الخيلَ فى كل مَعركٍ غداةَ الهيـاج الأطيبون الأكابر

(٣) وقال كعب بن مالك : (٢)

عَجِبـــتُ لأمرِ اللهِ واللهُ قادرُ عــلى ما أراد ، ليس لِلهِ قاهرُ
قضَى يومَ بدرٍ أن نلاقِىَ معشــراً بَغَوْا ، وسبيلُ البغىِ بالنـاسِ جائر
وقد حَشَدُوا ، واستَنْفَروا من يَلِيهِمُ من النـاسِ ، حتى جَمْعُهـم مُتكاثر
وسارتْ إلينـا لا تُحـاوِلُ غَـيْرَنا بأجمعــها : كَعْبٌ جميعًا ، وعامر
وفينا رسولُ اللهِ ، والأوسُ حولَه ، له مَعْقِلٌ منهـــم عزيزٌ وناصـــر
وجَمْـــعُ بنى النــجارِ تحتَ لوائِهِ يُمَشُّون فى المـاذِىّ ، والنَّقْعُ ثائر (٣)
فلمّـا لَقِيناهمْ ، وكلٌّ مجـاهـــدٌ لأصحـابه مُسْتَبْسِلُ النفس صابر
شهِدْنا بأنْ اللهَ لا ربَّ غَــيْرُه وأنَّ رســولَ اللهِ بالحــقِ ظاهر
وقد عُرِيتْ بِيضٌ خِفافٌ كأنهـا مَقَابِيسُ يُزْهيهـا لعينيـكَ شاهر (٤)

---

(١) أولئك : أى أولئك هم الأبطال . نُتجت : ولدت .

(٢) كعب بن مالك الخزرجى من شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه نشأ فى المدينة وأسلم ودافع أعداء الرسول عنه ، وروى عنه كثيرا من الأحاديث ثم كان عثمانيا يدعو الأنصار لنصر عثمان ، وتغلب على شعره النزعة الدينية فى أسلوب واضح متين .

(٣) المـاذى هنا : السلاح من الحديد المجلو ، والنقع : غبار الحرب .

(٤) البيض الخفاف السيوف : والمقابيس ، جمع مقباس ، وهو شـعلة النار ، ويزهيها : يشعلها ، وشاهر السيف : رافعه .

بِهِنَّ أَبَدْنَا جمعَهم فتبدَّدُوا ... وكانَ يُلاقِي الحَيْنَ مَنْ هو فاجر (١)

فَكُبَّ أبو جهلٍ صريعا لِوجهِه ... وعُتْبَةُ قد غادرْنَه وهو عاثِر (٢)

وشَيبَةَ والتَّيمِيَّ غادرْن في الوغَى ... وما منهمُ إلّا بذى العَرش كافر

فأمسَوْا وقُودَ النارِ في مستَقرّها ... وكلُّ كفورٍ في جهنَّمَ صائر

وكانَ رسولُ الله قد قالَ : أقبلوا ... فولَّوا ، وقالُوا إنما أنتَ ساحر

لأمرٍ أرادَ اللهُ أن يهلِكوا به ... وليس لأمرٍ حمَّه الله زاجر (٣)

(٤) قال كعبُ بن زهير يخاطب الرسول عليه السلام : (٤)

بَانَتْ سُعادُ فقَلْبِي اليومَ مَتْبُولُ ... مُتَيَّمٌ إثْرَها لم يُجْزَ مَكْبُولُ (٥)

وما سُعادُ غَداةَ البَينِ إذ رَحلُوا ... إلّا أغَنُّ غَضيضُ الطَّرفِ مكحولُ (٦)

تَجلُو عَوَارِضَ ذى ظَلْمٍ إذا ابتَسمتْ ... كأنهُ مَنْهَلٌ بِالرَّاحِ مَعْلُولُ (٧)

---

(١) الحين : الموت والهلاك .

(٢) كب : صرع والنون في غادرنه للسيوف ، والعاثر يراد به المصروع .

(٣) حمه الله : قضاه ، زاجر رادّ .

(٤) كعب بن زهير بن أبي سلمى شاعر مخضرم نشأ في أسرة شاعرة ذات خواص فنية متشابهة وقد أسلم ومدح الرسول بقصيدته هذه التي نورد شيئا منها هنا ويقال إنه توفي سنة ٢٤ هـ .

(٥) بانت : فارقت — سعاد اسم امرأة يخترعها الشاعر ليجعلها موضوع نسيبه الافتتاحي . متبول : أسقمه الحب . مكبول : مقيد .

(٦) الأغن الذي في صوته غنة وهي صوت محبوب . غضيض الطرف أي في عينها كسر وفتور .

(٧) تجلو : تكشف — عوارض أسنان — ذى ظلم أي ثغر ذى ظلم ، وهو ماء الأسنان وبريقها — معلول بالراح : مسقى بالخمر مرة بعد أخرى .

شُجَّتْ بِذِي شَبَمٍ من ماء مَحْنِيَةٍ ... صافٍ بأبطحَ أضحى وهو مَشْمولُ (١)

تَنفِي الرياحُ القذَى عنه وأفرَطهُ ... مِنْ صَوب غادِيةٍ بِيضٌ يعالِيلُ (٢)

⁂

نُبِّئْتُ أنّ رَسُولَ اللهِ أوعَدنِي ... والعَفوُ عندَ رسُولِ اللهِ مأمُولُ (٣)

مَهلًا هدَاكَ الذِي أعطَاكَ نافلَةَ الْ ... قُرآنِ فيهـا مَواعِيظٌ وتفصِيلُ (٤)

لا تأخُذَنِّي بأقوال الوُشاةِ ، ولم ... أُذنِبْ ، ولو كثُرَت فِيَّ الأقاوِيل

إنّ الرسولَ لنُورٌ يُستضاءُ بهِ ... مُهنَّدٌ مِن سُيوفِ الله مسلُولُ (٥)

فى عُصبةٍ مِن قُرَيشٍ قال قائلهمْ ... ببَطنِ مكّةَ لمّا أسلَمُوا : زُولُوا (٦)

زَالُوا ، فما زَالَ أنكاسٌ ولا كُشُفٌ ... عنـدَ اللقاءِ ولا مِيلٌ مَعازيل (٧)

يَمشُون مشيَ الجمال الزُّهرِ يَعصِمُهمْ ... ضَرْبٌ إذا عَرَّدَ السُّودُ التنَابِيل (٨)

---

(١) شجت : مزجت بالماء لتذهب سورتها — بذى شبم أى بماء ذى شبم وهو البرد ، والمحنية : منعطف الوادى حيث يصفو الماء ، والأبطح : مسيل فيه دقاق الحصى ، والمشمول : الذى ضربته ريح الشمال حتى برد .

(٢) القذى : ما يسقط فى الماء من تبن أو نحوه ، أفرطه : ملاءه ، والصوب : المطر ، والغادية : الغمامة تأتى صباحا ، واليعاليل : الجبال — أى ملأ هذا الأبطح سيل آت من جبال بيض وقد تكون هذا السيل من مطر الغمام . (٣) أوعد : هدّد .

(٤) نافلة القرآن : عطية القرآن من إضافة المشبه به إلى المشبه — تفصيل — تبيين .

(٥) مهند سيف منسوب إلى الهند لاشتهارها بطبع السيوف .

(٦) زولوا : هاجروا من مكة الى المدينة .

(٧) النكس : الضعيف ، والكشف : جمع أكشف ، وهو من لا ترس له ، والميل : جمع أميل ، وهو من لا سيف له ، أو من لا يحسن الركوب ، والمعازيل : جمع معزول وهو من لا سلاح له .

(٨) الزهر : البيض . وعرد : فر وأعرض ، والتنابيل : القصار : جمع تنبل ، وتنبال .

شُمُّ العَرانينِ أبطالٌ لَبُوسُهُمُ ... مِنْ نَسجِ دَاودَ فى الهَيْجا سَرابِيلُ (١)
بِيضٌ سَوابِغُ قد شُكَّتْ لَهاحَلَقٌ ... كأنَّها حَلَقُ القَفْعَاءِ مَجْـدُولُ (٢)
لَيسُوا مَفَارِيحَ إن نَالتْ رِماحُهـمُ ... قومًا، وليسوا مَجازِيعًا إذا نِيـلُوا (٣)
لايَقعُ الطَّعْنُ إلا فى نُحُورِهِم ... لَيس لَهُمْ عَن حِيَاضِ الموتِ تَهليلُ (٤)

(٥) قالت عاتكةُ بنتُ عبد المطلب : (٥)

سائِـلْ بنـا فى قومِنـا ... ولْيَكْفِ من شَرٍّ سَماعُهْ (٦)
قَيْسًا وما جَمَعُـوا لنـا ... فى مَجْمَعٍ باقٍ شَـنَاعُهْ (٧)
فيـه السَّـنَوَّرُ والقَنَا ... والكَبْشُ ملتمِعٌ قِناعُهُ (٨)

---

(١) شم العرانين : شم الأنوف . أى أعزة المفرد عزيز، واللبوس : اللباس . السرابيل : الدروع ، أى أن لباسهم دروع من نسج داود الذى لان له الحديد .

(٢) بيض : صفة للسرابيل . السوابغ : الطوال ، والقفعاء : نبات ينبسط على الأرض يشبه حلق الدروع .

(٣) المفاريح : جمع مفراح الشديد الفرح ، والمجازيع : جمع مجزاع الشديد الحزن ، أى لا يفرحون لنصر ، ولا يحزنون لهزيمة ، لاعتيادهم القتال ولشجاعتهم ووثوقهم من الفوز أخيرا .

(٤) التهليل : الجبن والفرار .

(٥) كان لعبد المطلب ست بنات كلهنّ شواعر ، ومنهنّ عاتكة هذه ، وكانت أنبههنّ صيتا لقوة شعرها ونبل نخارها وهذه الأبيات تتصل بحوادث عكاظ .

(٦) وليكف من شر سماعه : مثل ، ويراد بالشر هنا الحرب أى أن الحديث عن الحرب وما تجره من أوزار وأهوال يكفى ويغنى عن مشاهدتها .

(٧) قيسا : مفعول به لسائل فى البيت قبله ، والشـناع : القبيح ، أى سل قيسا ، وسل ما جمعوه لمقاتلتنا مما لا يزال قبح أثره باقيا .

(٨) السـنور : الدرع ، الكبش : رئيس الجيش — المراد بالقناع بيض الحديد التى تلبس على الرأس .

بمكاظَ يُعْشِى النــاظريـ ـنَ ـ إذاهُمُ لمحوا ـ شُعاعُه (١)
فيــهِ قتلنا مالكًا قَسْــرًا، وأسلمه رَعاعُه (٢)
ومجــدَّلًا غادرْنَــهُ بالقــاعِ تنهشُه ضِــباعُه (٣)

(٦) قالَ مالكُ بنُ الرَّيْب التَّميمى : (٤)

أَلَا لَيْتَ شِــعرِى هل أبيتَنَّ لَيــلةً بجَنبِ الغَضَى أُزجِى القِلَاصَ النَّوَاجِيا؟ (٥)
فليتَ الغَضَى لم يقطَعِ الركبُ عَرضَهُ وليتَ الغَضَى ماشَى الرِّكابَ لَيَالِيَــا (٦)
لقدْ كانَ فى أهلِ الغَضَى لو دَنا الغَضَى مَزارٌ، ولكنَّ الغَضَى ليس دانِيَا
أَلَم تَرَنِى بعتُ الضَّــلالةَ بالهــدَى وأَصبحْتُ فى جيشِ ابنِ عفَّانَ غَازِيَا

---

(١) بمكاظ : متعلق بكلمة مجمع فى البيت الثانى، يعشى الناظرين أى يضعف أبصارهم، وشــعاعه فاعل يعشى، والضمير فى شعاعه يعود على المجمع أى شعاع ما فيه من سيوف ودروع .

(٢) الضمير فى فيه يعود على المجمع أيضا، والقسر : القهر، والرعاع : سفلة الناس، تريد أن جند مالك كان مؤلفا من العبيد وأخلاط الناس لذلك أسلموه وخذلوه .

(٣) المجدّل : المطروح على الجدالة، وهى الأرض، والنون فى غادرنه للخيل المفهومة من السياق، والقاع : ما استوى من الأرض، والنهش : انتزاع اللحم بمقدم الأسنان .

(٤) مالك بن الريب شاعر فاتك لص نشأ فى بادية البصرة يقول الشــعر الجيد الرقيق . ولقد استمر يقطع السبل حتى استتابه واصطحبه للغزو سعيد بن عثمان بن عفان والى خراسان من قبل معاوية . فلما قفلا مرض مالك بالطريق، فقال هذه القصيدة يذكر مرضه وغربته .

(٥) الغضى : واد بنجد وشجر يشبه الأثل . أزجى : أسوق . القلاص : جمع قلوص وهى الناقة الطويلة القــوائم . النواجى : جمع ناجية وهى السريعة . ومعنى ليت شــعرى الخ ليتنى أعرف جواب هذا الاستفهام .

(٦) ماشى الركاب : سايرها وسايرته أى سرنا فيه .

***

تذكّرتُ من يَبكِي عليَّ، فلم أجد ... سِوَى السيفِ والرُّمحِ الرُّدَيْنِيِّ باكِيا(١)

وأشقرَ خِنْذِيذٍ يَجُرُّ عِنَانَهُ ... إلى الماءِ لم يَترُكْ لهُ الدهرُ ساقِيَا(٢)

ولكنْ بأطرافِ السُّمَيْنَةِ نِسوةٌ ... عزيزٌ عليهِنَّ العَشِيَّةَ مَا بِيَا(٣)

صَرِيعٌ على أيدِي الرِّجالِ بِحُفرَةٍ ... يُسَوُّونَ قبرِي حيثُ حُمَّ قَضَائيا(٤)

ولما تراءَتْ عِندَ مَرْوَ مَنِيَّتِي ... وخَلَّ بها جِسمِي وحانت وفَاتِيَا(٥)

أقولُ لأصحابِي : ارفعُونِي؛ لأنَّنِي ... يَقَرُّ بِعَينِي أنْ سُهَيلٌ بَدَالِيَا(٦)

فيَا صَاحِبَيْ رَحلِي دنَا الموتُ! فانزِلا ... بِرَابِيَةٍ إنِّي مُقِيمٌ لَيَالِيَا(٧)

أقِيمَا عليَّ اليومَ أو بعضَ ليلةٍ ... ولا تُعجِلانِي قد تَبَيَّنَ مابِيا

وقُوما إذا مَا استُلَّ رُوحِي فَهَيِّئَا ... لِيَ السِّدْرَ والأكفَانَ ثم ابكِيَا لِيا(٨)

وخُطَّا بأطرافِ الأسنَّةِ مَضجَعِي ... وَرُدَّا عَلَى عَيْنَيَّ فضلَ رِدائيا(٩)

---

(١) الرديني : منسوب الى ردينة وهى امرأة كانت تقوّم الرماح، أى لا أجد من يبكى علىّ فى دار الغربة سوى سيفى ورمحى؛ لأنهما عماده .

(٢) وأشقر : أى وفرس أشقر . خنذيذ : طويل صلب .

(٣) السمينة : مكان فى طريق البصرة حيث نشأ الشاعر .

(٤) حم قضائى : أى قدر موتى .

(٥) مرو : مدينة بخراسان . خل : نقص وهزل . حانت : قربت .

(٦) ارفعونى لأرى سهيلا، لأن الشاعر يمانى الأصل ، ومطلع سهيل من جهة اليمن . يقر بعينى : يسرنى .

(٧) الرابية : ما ارتفع من الأرض .

(٨) السدر : ورق النبق يستعمل فى تغسيل الميت .

(٩) فضل الرداء طرفه الزائد وخص الأسنة تكريما لنفسه وإشارة الى شجاعته .

ولا تَحسُــدَانِى بارك اللهُ فيــكُما ... من الأرضِ ذاتِ العَرض أن تُوسعا ليا
خُذَانِى بِجُــرَّانِى بِــبُردِى إليــكُما ... فقدْ كُنتُ قبــلَ اليومِ صَـعْبًا قِيادِيا[١]
أُقلِّبُ طَرفِى فوقَ رَحْلِى فــلا أرى ... بِهِ مِن عُيُون المــآنساتِ مُراعِيًا[٢]
وبِالرَّمْــلِ مِنَّـا نسوةٌ لو شَهِدْنَنِى ... بكَيْنَ ، وفَــدَّيْنَ الطبيبَ المُدَاوِيَا[٣]
فمِنهُنَّ أمٌّ وابنتَـاهـا وخالَتِى ... وباكِيةٌ أخرى تَهِيــجُ البواكيا[٤]
وما كانَ عهــدُ الرملِ منى وأهـلِهِ ... ذميماً ولا بالرَّمــلِ ودَّعتُ قَالِيـا[٥]

(٧) قالت الخنساء ترثى صخرا : [٦]

أعَيْنَيَّ جُــودَا ولا تجمُــدَا ... ألَا تَبكِيانِ لِصــخرِ النــدَى [٧]
ألا تبكِيانِ الجــرِىءَ الجميــعَ ... ألا تبكيانِ الفــتى السـيِّدا [٨]
رفيــعُ العِمادِ طــويلُ النِّـجا ... دِ ، ســاد عشــيرتَه أمْرَدَا [٩]

(١) البرد فى الأصل ثوب مخطط : يشير الى هوانه الحالى .

(٢) المآنسات : جمع مآنسة المرأة تتبختر فى مشيتها .

(٣) الرمل موضع بعينه — فدّين الطبيب أى قلن له : نحن فداؤك لو شفيته .

(٤) باكية أخرى يريد زوجه .

(٥) القالى : المبغض الكاره .

(٦) هى السيدة تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمية نشأت فى بيت مجد وسيادة تقول المقطوعات من الشعر فلما قتــل أخواها صخر ومعاوية جزعت عليهما ونبغت فى الرثاء لذلك . وقد توفيت بالبادية فى خلافة معاوية قبل سنة ٤٦ هـ .

(٧) جمدت العين : بخلت بالمـاء لشدّة الحزن ، والندى : السخاء وفى إضافة صخر الى الندى معنى بديع أى أنه ملك الندى يأمره فيطيع .

(٨) الجميع : المجتمع القلب عند الشدّة والهول .

(٩) تصفه أوّلا بالشرف وعلو المكانة ، ثم الشجاعة ، ثم بسبقه الى المجد صغيرا .

إذا بسط القومُ عندَ النِّضا ... لِ أكفَّهمُ يبتغى المَحمدَا (١)

وكان ابتدارُهمُ للعَلا ... ءِ سار فمدَّ إليه يدا (٢)

فنالَ التى فوق أيديهم ... من المجدِ ثم انتمى مُصْعِدا (٣)

ويحمِلُ للقوم ما عَالَهُم ... وإن كان أصغرَهم مولدا (٤)

جَمُوعُ الضيوف إلى بيته ... يرى أفضلَ الكسب أن يُحْمَدَا

(٨) وقال حسَّانُ بن ثابت يوم فتح مكة : (٥)

عَفَتْ ذاتُ الأصابِع فالجِواءُ ... إلى عَذْراءَ مَنزِلُها خَلاءُ (٦)

دِيارٌ مِنْ بَنى الحَسْحاسِ قَفْرٌ ... تُعَفِّيها الروامِسُ والسماءُ (٧)

وكانتْ لا يزالُ بها أنيسٌ ... خِلالَ مُرُوجِها نَعَمٌ وشاءُ (٨)

فدع هذا ، ولكن مَنْ لِطَيْفٍ ... يُؤرِّقنى إذا ذَهَبَ العِشاءُ ؟ (٩)

---

(١) النضال : التفاخر، والمحمد : الحمد . (المعنى) اذا تسابق الناس عند التفاخر لاكتساب الحمد الخ .

(٢) الابتدار : الاسراع والتسابق . والعلاء : الرفعة والمجد . (المعنى) اذا كان اسراعهم لنيل المجد سار فتناوله .

(٣) أى فنال المجد الذى لم تصل اليه أيديهم ؛ لأنه فوقها ، ثم انتمى أى أبعد مرتفعا . ويروى ثم مضى مصعدا .

(٤) ما عالهم : أى ما غلبهم وشق عليهم وأهمهم من عظائم الأمور .

(٥) هو أبو الوليد حسان بن ثابت الأنصارى نشأ جاهليا ، ثم أسلم ، وصار شاعر الرسول . وكانت وفاته سنة ٥٤ هـ . ويتناول شعره المدح والهجاء والفخر فى أسلوب جاهلى جزل وإسلامى سلس مألوف .

(٦) ذات الأصابع والجواء وعذراء مواضع بالشام .

(٧) الروامس : الرياح التى تدفن الآثار ، والمراد بالسماء الأمطار .

(٨) النعم : الإبل والشاء ، أو خاص بالإبل .

(٩) العشاء من المغرب الى العتمة ، والمعنى دع الحديث فى الأطلال ، وأرشدنى الى من يدفع عنى طيف الخيال الذى يؤرقنى اذا اشتد ظلام الليل .

عدِمْنا خيلَنــا إنْ لم ترَوْها ... تُثيرُ النقْــعَ موعِدُها كَــدَاءُ (١)

يُبــارين الأســـنةَ مُصْغِياتٍ ... على أكتافِها الأَسَـــلُ الظِّماء (٢)

تَظَـــلُّ جيــادُنَا مُتَمَطِّراتٍ ... تُلَطِّمُهن بالخُمُـــرِ النســاء (٣)

فإمَّا تُعْرِضــوا عنــا اعتمرْنا ... وكان الفتحُ وانكشف الغِطاء (٤)

وإلَّا فاصـــبروا لِجِـلاد يومٍ ... يُعِزُّ اللهُ فيـــه مَنْ يَشاء

وقال اللهُ : قــد يسَّرتُ جُنْدًا ... هم الأنصــارُ عُرْضَتُها اللقــاء (٥)

لنــا في كل يوم مِن مَعَـــدٍّ ... قِتــالٌ أو سِــباب أو هِجــاء

فَنُحكِمُ بالقـــوافي من هَجــانا ... ونضرِبُ حيــن تختلطُ الدماء (٦)

---

(١) كداء ثنية بالقرب من مكة وجملة عدمنا : دعائية .

(٢) المباراة : المسابقة . والأسنة : جمع سنان، وهو حديد الرمح ، والأسل : الرماح ، أى أن الخيل تسابق الأسنة التى يضعها الفرسان حذاء عنقها ظنا منها أن الأسنة تجرى معها شوطا ، ومصغيات : حال من الأسنة أى ما ئلات للطعن ، وظمأ الرماح : شدة شغفها بالدم والقتال .

(٣) تمطرت الخيل : جاءت يسبق بعضها بعضا ، ولطمه : ضربه ، والخمر : جمع خمار، وهو الثوب تغطى به المرأة رأسها . أى أن النساء يمسحن بخمرهن على الخيل لما أصابها من الجهـد . ولما غشيها من عرق وغبار .

(٤) فاما أصلها إن ما ، وهى إن الشرطية المدغمة فى ما الزائدة واعتمرنا أدينا العمرة وهى زيارة البيت الحرام، أى أن أعرضتم عنا تركنا الحرب وزرنا البيت وتم فتح مكة بلا قتال .

(٥) عرضتها : أى همها وقوتها ، أى أن الأنصار قوتها فى اللقاء والقتال .

(٦) حكم الفرس جعـل لجامه حكمة ، فأخضعه ، أى نخضع بشعرنا من هجانا ، ونقاتل بشجاعة حينما تختلط دماؤنا بدماء أعدائنا ، فنحن أقوياء اللسان والقلب .

وقال اللهُ : قد أرسلتُ عبدًا لِقول الحقِّ إن نفع البَلاء (١)

شهدتُ به ، وقومى صدّقوه ، فقُلتم : ما نُجيب ، وما نشاء

وجبريلٌ أمينُ اللهِ فينا ، وروح القُدْس ليس له كِفاء (٢)

ألَا أبلغ أبا سُفيانَ عنّى فأنت مُجَوَّفٌ نَخِبٌ هواء (٣)

بأن سيوفَنا تركَتْك عبدًا وعبدُ الدارِ سادتُها الإماء

هجوتَ محمدا ، فأجبتُ عنه وعند الله فى ذاك الجزاء

أتهجوهُ ؛ ولستَ له بكفء ، فشرُّكما لخيركما الفِداء

فمن يهجو رسولَ اللهِ منكم ويمدَحُه وينصرُه سَواء

فإنّ أبى ووالدَه وعِرْضى لِعِرْضِ محمدٍ منكم وِقاء

(٩) قال الحُطَيئة : (٤)

وَطَاوِى ثَلاثٍ عَاصِبِ البطنِ مُرْمِلٍ ببَيداءَ لم يَعرِف بهَا سَاكِنٌ رَسْمَا (٥)

أَخى جَفْوةٍ فيهِ مِنَ الإنس وَحشةٌ يَرَى البؤسَ فيها من شَراسَتِهِ نُعْمَى (٦)

(١) البلاء : الاختبار مصدر بلاه يبلوه .

(٢) الكفاء : أى المكافئ أى المساوى .

(٣) المجوّف : من لا قلب له ، والنخب : الجبان ، والهواء : الفارغ .

(٤) أبو مليكة جرول الحطيئة العبسى نشأ معلول النسب قبيح الصورة ناقما على الناس هجاء . وهو جيد الشعر مستوى الأسلوب يعدّ سيد المخضرمين فى الناحية الفنية وغلب عليه المدح والهجاء حتى مات سنة ٥٩ هـ .

(٥) الطاوى : الجائع . ثلاث أى ليال ثلاث . عاصب البطن : معصوب به من شدّة الجوع . مرمل : فاقد الزاد فقير . بيداء : فلاة . الرسم : العلامة وما كان لاحقا بالأرض من آثار الديار — يذكر رجلا بائسا فى مفازة مقفرة .

(٦) الشراسة : سوء الخلق والحال — يقول أن سوء الحال بلغ به أن يعدّ البؤس نعمة .

وأفــردَ فى شِعْب عجــوزًا إزاءَها ثلاثةُ أشــباحٍ تخالهُمُ بَهْما(١)

حُفاةً عُراةً ما اغتــذَوْا خُبزَ مَــلَّةٍ ولا عَرَفُوا للبُرِّ مُــذ خُلقوا طَعْما(٢)

رأى شَـبَحًا وَسْـطَ الظَّلامِ فَراعَه فلمَّــا رأى ضَـيفًا تَشَـمَّرَ واهْتَمَّا(٣)

فقالَ: هيَا ربَّاه! ضيفٌ ولا قِرًى! بحقِّكَ، لا تحـرِمْهُ تا الليـلةَ اللَّحْما(٤)

فقالَ ابنُــه لمـا رآه بحَـيْرةٍ أيا أبتِ اذْبَحـنِى! ويسِّرْ لهم طُعْما

ولا تعتذر بالعُـدمِ علَّ الذى طـرَا يَظُــنُّ لنـا مالًا فيوسِــعنا ذَمَّا

فَرَوَّى قليــلًا، ثم أحجَمَ بُرهَــةً، وإنْ هُوَ لم يَذْبَحْ فتاهُ فقد هَمَّا

فبينَا هُمـا عَنَّتْ على البُعــد عَانةٌ قد انتَظمت من خَلف مِسْحَلِها نَظْما(٥)

عِطَاشًا تُريدُ المـاءَ فانسَابَ نحـوَهَا عَلى أنَّهُ مِنهـا إلى دَمِهـا أظْمَا

فأمهلَهَـا حتى تروَّتْ عِطاشُهـا فأرســلَ فيها من كِنانَتِــه سَهْمَا(٦)

فخَرَّتْ نَحوصٌ ذاتُ جَحشٍ سَمِينةٌ قد اكتنزتْ لحمًـا وقد طبِّقتْ شحْما(٧)

فيا بِشْرَهُ إذ جَرَّهَا نحـوَ قومِـه ويَا بشْرَهُم لمـا رأَوا كَلْمَهـا يَدْمَى(٨)

---

(١) الأشباح: جمع شبح وهى الشخص — البهم. جمع بهمة أولاد البقر والمعز والضأن.

(٢) الملة: رماد التنور الحار وخبزها ما يخبز فيها يصف بؤس أهل هذا البيت.

(٣) راعه: أفزعه.

(٤) هيا حرف نداء. القرى: ما يقدّم للضيف من طعام ونحوه تا الليلة أى هذه الليلة.

(٥) عنت: ظهرت واعترضت. والعانة: القطيع من حمر الوحش. المسحل: حمار الوحش يقود القطيع أثناء السير الى الماء أو غيره.

(٦) تروت: رويت بمعنى شربت.

(٧) خرت: سقطت صريعة. نحوص: سمينة. اكتنزت: امتلأت. طبقت: تفشت وعمها الشحم.

(٨) الكلم: الجرح — والبيت للتعجب من سرورهم.

وباتُوا كِراماً قد قَضَوا حقَّ ضيفِهِمْ ... وما غَرِمُوا غُرْماً ، وقد غَنِموا غُنْمَا

وباتَ أبُوهُمْ مِنْ بَشَاشَتِه أبا ... لِضيفهمُ والأُمُّ مِن شِرها أُمَّا

ومن كلامه يمدح بَغيضَ بن عامر وقومه :

يَسُوسُونَ أحلامًا بعيدًا أناتُها ... وإن غَضِبُوا جاءَ الحفيظةُ والجِدُّ[1]

أولئكَ قومٌ إنْ بَنَوا أحسنُوا البُنَى ... وإن عاهدوا أوفَوْا ، وإن عَقَدُوا شَدُّوا[2]

وإن كانَت النُّعمى عليهمْ جَزَوْا بها ... وإن أنعَموا لا كَدَّرُوها ، ولا كَدُّوا[3]

وإن قالَ مولاهُم على جُلِّ حادِثٍ ... من الدَّهرِ : رُدُّوا بَعضَ أحلامِكُمْ رَدُّوا[4]

مَطاعِينُ فى الهَيجا مَكَاشِيفُ للدُّجَى ... بَنَى لهمُ آباؤهُمْ وبَنَى الجَدُّ[5]

---

(١) الأحلام : جمع حلم : هو العقل . الأناة : التأنى . الحفيظة : الغضب للشرف . الجد : الاجتهاد والسرعة . (المعنى) أنهم يحكمون الناس بأحلام سديدة الرأى فى وقت الرضا ، وأما اذا غضبوا فهم أهل حفيظة وفزع .

(٢) البنى : جمع بنية . ما يبنون من مجد . عقدوا العزيمة : أوثقوها ، أى وإن عزموا على الحرب حملوا .

(٣) كدروا النعمة أى أفسدوها بالمن وكدوا من أعطوه بطلب الجزاء على النعمة .

(٤) المولى : ابن العم أو الجار أو الحليف . على جل حادث أى عند الخطب العظيم اذا استشارهم أحد — ردوا ... الخ ، أى أمدوه بالرأى السديد .

(٥) مطاعين : جمع مطعان كثير الطعن . ومكاشيف : جمع مكشاف كثير الكشف . الدجى : ظلمة الليل أى الخطوب المدلهمة ، فهم كرام حكما شجعان منذ القدم .

(١٠) قال الأخطلُ يمدحُ عبد الملك بنَ مروانَ ويهجُو قيسًا وبنى كُلَيب من قصيدة أوّلها : [١]

خَفَّ القَطِينُ فرَاحُوا مِنكَ أو بَكَرُوا ... وأزعَجَتْهـــمْ نَوًى فى صَرْفها غِـــيَرُ[٢]

* * *

فِى نَبْعَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ يَعْصِبُون بهَا ... مَا إنْ يُوَازَى بِأَعْلَى نَبْتِهَا الشَّــجَرُ[٣]

حُشْدٌ عَلَى الحَقِّ، عَنْ قَوْلِ الخَنَا خُرُسٌ ... وَإِنْ أَلَمَّتْ بِهِمْ مَكْرُوهَةٌ صَــبَرُوا[٤]

فَإِنْ تَدَجَّتْ عَلَى الآفَاقِ مُظْلِمَــةٌ ... كَانَ لَهُمْ مَخْرَجٌ مِنْهَـا وَمُعْتَصَرُ[٥]

أَعْطَاهُمُ اللهُ جَــدًّا يُنْصَرُونَ بِهِ ... لَا جَــدَّ إلا صَــغِيرٌ بعدُ مُحْتَقَــرُ[٦]

لَمْ يَأْشَرُوا فِيــهِ، إذْ كَانُوا مَوَالِيَــهُ ... وَلَوْ يَكُونُ لِقَوْمٍ غَيْرِهِــمْ أَشِرُوا[٧]

شُمْسُ العَــدَاوَةِ حَتَّى يُسْــتَقَادَ لَهُمْ، ... وأعظَمُ النَّـاسِ أحْلَامًا إذا قَــدَرُوا[٨]

---

(١) هو أبو مالك غياث الأخطل التغلبى. نشأ فى قومــه تغلب بأرض الجزيرة ينتصر لهم على مضر عامة وقيس خاصــة . ولما كان متصلا بالخلفاء، وبحروب قومه مع قيس صار يجيــد مدح الملوك ووصف المعارك، وكذا الخمر لمعاقرته إياها . وكانت وفاته أوّل خلافة الوليد .

(٢) خف : أسرع . القطين : القطان ، أى السكان والمعاشرون . راح : ذهب فى الرواح أى العشى ضد بكر . أزعجتهم : أقلقتهم — نوى فى صرفها ونوائبها غير وأحداث .

(٣) النبعة هنا : الأصل يعصبون بها : يلزمونها . والحديث عن عبد الملك وقومه .

(٤) حشد : مجتمعون . الخنا : الفحش . ألمت : نزلت . مكروهة : نازلة .

(٥) تدجت : أظلمت . معتصر : ملجأ ، أى يستطيعون الخلاص من الأزمات .

(٦) الجد : البخت .

(٧) يأشروا : يبطروا و يطغوا . مواليه : أولياءه .

(٨) شمس : جمع شموس أى عسر شــديد على عدوّه — يستقاد لهم أى يذل و يخضع لهم العدو . الأحلام : جمع حلم وهو الصبر والأناة . قدروا تمكنوا من العدوّ . والمعنى : أنهم يعفون اذا انتصروا .

لَا يَسْتَقِلُّ ذَوُو الأَضْغَانِ حَرْبَهُمُ ... وَلَا يُبَيِّنُ فِى عِيدَانِهِمْ خَوَرُ(١)

هُمُ الذِينَ يُبَارُونَ الرِّيَاحَ إِذَا ... قَلَّ الطَّعَامُ عَلَى العَافِينَ أَوْ قَتَرُوا(٢)

بَنِى أُمَيَّةَ نُعْمَاكُمْ مُجَلِّلَةٌ ... تَمَّتْ، فَلَا مِنَّةٌ فِيهَا وَلَا كَدَرُ(٣)

بَنِى أُمَيَّةَ إِنِّى نَاصِحٌ لَكُمْ ... فَلَا يَبِيتَنَّ فِيكُمْ آمِنًا زُفَرُ(٤)

وَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا، إِنَّ شَاهِدَهُ ... وَمَا تَغَيَّبَ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ دَعَرُ(٥)

إِنَّ الضَّغِينَةَ تَلْقَاهَا، وَإِنْ قَدُمَتْ ... كَالعُرِّ يَكْمُنُ حِينًا ثُمَّ يَنْتَشِرُ(٦)

بَنِى أُمَيَّةَ قَدْ نَاضَلْتُ دُونَكُمُ ... أَبْنَاءَ قَوْمٍ هُمُ آوَوْا، وَهُمْ نَصَرُوا(٧)

حَتَّى أَقَرُّوا، وَهُمْ مِنِّى عَلَى مَضَضٍ، ... وَالقَوْلُ يَنْفُذُ مَا لَا تَنْفُذُ الإِبَرُ(٨)

---

(١) يستقل : يحتمل . الأضغان : جمع ضغن ، أى حقد — فى عيدانهم أى فى أنفسهم — خور ضعف .

(٢) يبارون الرياح : يسابقونها فى الإسراع الى الكرم . العافون : الذين يطلبون القوت قتروا : افتقروا ؛ فضيقوا على نفوسهم فى النفقة . يقول : إنهم يسرعون الى الكرم وقت الامحال .

(٣) نعماكم : عطاياكم للناس . مجللة : عامة . المنة على الناس : ذكر المعروف الذى أسدى اليهم .

(٤) زفر بن الحارث بن كلاب الكلابى ، وكان زعيم قيس على تغلب وعلى أمية .

(٥) شاهده : ظاهره . دعر : فساد ، أى لا تغتروا بصلحه .

(٦) العر : الجرب — يقول إن الجرب ، وإن كن فى الجسم لا بد أن يظهر ، فكذلك العداوة ، وان بعد عهدها .

(٧) ناضلت دونكم : دافعت عنكم الأنصار الذين آووا الرسول بعد الهجرة ونصروه . والأخطل هو الذى هجا الأنصار لما دعاه الى ذلك يزيد بن معاوية . واليه ينسب البيت المشهور :

ذهبت قريش بالمكارم والعلا ... واللؤم تحت عمائم الأنصار

(٨) أقروا : سكنوا . مضض : وجع . نفذ القول : مضى وجرى . يشبه الكلام بالابر فى النفاذ والأثر .

أفحمتُ عنكمْ بَنِي النَّجارِ قَـدْ عَلِمَتْ — عُلْيَـا مَعَـدٍّ، وَكَانُوا طَالَمَـا هَدَرُوا(١)

وَقَيْسَ عَيْلانَ حَتَّى أقبلُوا رَقَصًا — فَبَايَعُوكَ جِهَارًا بَعْــدَ مَا كَفَرُوا(٢)

ضَجُّوا مِنَ الحَرْبِ إذْ عَضَّتْ غَوَارِبَهُمْ — وَقَيْسُ عَيْـلَانَ مِن أخْلَاقِهَا الضَّجَرُ(٣)

فَلَا هَـدَى اللهُ قَيْسًا مِنْ ضَلَالَتِها — وَلَا لَعًا لِبَنِي ذَكْوَانَ إذْ عَـثَرُوا(٤)

مَا إِنْ سَعَى مِنْهُمُ سَاعٍ لِيُدْرِكَنَا — إِلَّا تَقَـاصَرَ عَنَّـا وهُـو مُنْبَهِـرُ(٥)

وَلَم يَزَلْ بِسُــلَيمٍ أمْرُ جاهِلِــها — حَتَّى تَعَايَا بِهَـا الإيرادُ والصَّـدَرُ(٦)

حَتَّى أصَابَ سُـلَيْمًا مِن عَدَاوَتِنَا — إحْدَى الدواهِي التي تُخْشَى وتُنْتَظَـرُ

كَانُوا ذَوِي إمَّـةٍ حَتَّى إذا عَلِقَتْ — بِهِـمْ حَبَائِلُ للشَّيطَانِ وابْتَهَرُوا(٧)

صُـكُّوا على شَارِفٍ صَعْبٍ مَرَاكِبُهَا — حَصَّـاءَ ليسَ لَهَـا هُلْبٌ ولا وَبَرُ(٨)

---

(١) أفحمت : أسكت . بنو النجار : أخوال الرسول من الأنصار، منهم أم عبد المطلب . معد : جد النزارية . هدروا : افتخروا عليكم وهجوكم يقال هدر البعير اذا ردد صوته فى حنجرته .

(٢) قيس عيلان كانت مع ابن الزبير لما خرج على الأمويين بعد معاوية وقتل فى عهد عبد الملك . رقصا مسرعين . كفروا خرجوا عليك .

(٣) غوارب : جمع غارب وهو للبعير ما بين السنام والعنق (المعنى) أن الحرب آلمتهم .

(٤) لا لعا لهم : لا أقالهم الله . يقال للعاثر دعاء عليه . ويقال لعا له أى أقال الله عثرته دعاء له . بنو ذكوان قبيلة من سـليم رهط عمير بن الحباب والجحاف السلميين ، وكانا قد خرجا على بنى أميـة ، وحاربا تغلب قبيلة الأخطل .

(٥) تقاصر : قصر وتأخر . انبهر الرجل : انقطع نفسه من الاعياء .

(٦) سليم قبيلة عمير بن الحبـاب وهو المقصود هنا بقوله « جاهلها » . تعايا بها : أعجـزها . الايراد : من ورود المـاء والصدر عن المـاء — يعنى أعجزها تدبير الأمور .

(٧) الامة : النعمة — علقت بهم الخ : ضلوا . ابتهروا : قذفوا بالعيب ليس فيهم .

(٨) صكوا على شارف ، أى حمـلوا على خطة . الناقة الشارف : الكبيرة المسـنة . حصاء : لا وبر لها . الهلب : شعر الذنب .

فَأَصبحتْ مِنْهُمُ سِنْجَارُ خالِيَةً والمَحْلِيَّاتُ فالخَابُورُ فالسُّرَرُ(١)
كَرُّوا إلى حَرَّتَيْهِمْ يَعمُرُونَهُمَا كما تَكُرُّ إلى أوطانِهَا البَقَرُ(٢)
فَالتَفَتُوا وَهُمُ يَجْنُونَ حَنظَلَهُمْ إلى الفُرات . فَقُلنَا : بُعدَ مَا نَظَرُوا(٣)
وَلا يُلاقُونَ فَرَّاصًا إلى نَسَبٍ حَتَّى يُلاقِيَ جَدْىَ الفَرْقَدِ القَمَرُ(٤)
ولا الضِّبابَ إذا اخضَرَّتْ عُيُونُهُمُ وَلَا عُصَيَّةَ إلَّا أنَّهُمْ بَشَرُ(٥)
أمَّا كُلَيبُ بنُ يَربُوعٍ فَلَيسَ لَهُمْ عِنْدَ التَفَارُطِ إيرادٌ ولا صَدَرُ(٦)
وقد نُصِرتَ أميرَ المؤمنينَ بِنَا لمَّا أتَاكَ بِبَطْنِ الغُوطَةِ الخَبَرُ(٧)
يُعَرِّفُونَكَ رأسَ ابنِ الحُبَابِ، وقد أضحَى وللسيفِ فى خَيْشُومِهِ أثَرُ(٨)

---

(١) سنجار : قصبة كورة القرج من تل أعفر . المحليات : بلدة صغيرة بين الموصل وسنجار . الخابور : اسم نهر وواد . السرر : أرض بالجزيرة كسائر المواضع المذكورة .

(٢) الحرة : موضع فيه حجارة سوداء نخرة كأنما أحرقتها النار وحرتهم بعالية نجد . كروا : رجعوا .

(٣) الحنظل : نبت مر . يقول : طمعوا فينا ، و يابعد ما نظروا . وكانت تغلب قبيلة الأخطل تقيم بالجزيرة فى حوض الفرات .

(٤) فراص بن معن بن سعد بن قيس من باهلة و بنو فراص ينتسبون الى تغلب — جدى الفرقد نجم الى جنب القطب يدور مع بنات نعش تعرف به القبلة ، ولا يلتق مع القمر . يقول إنهم قصروا عن نسب هؤلاء، ولا يشبهونهم الا فى أنهم بشر .

(٥) الضباب من قيس عيلان : عصية بطن من سليم ، اخضرت : اسودت .

(٦) كليب بن يربوع : رهط جرير . التفارط : التقدّم فى طلب الماء . (المعنى) ليس لهم نصيب فى السبق الى المحامد .

(٧) الغوطة : الكورة التى منها دمشق وهى احدى متنزه الدنيا الأربع : الصغد والابلة وشعب بوان والغوطة . وكانت دمشق عاصمة بنى أمية — وكان رهط الأخطل مع الخليفة فى الحروب الداخلية .

(٨) ابن الحباب هو عمير بن الحباب السلمى ، وقد قتل وحمل رأسه إلى قبائل غسان ، وكان يزدريهم . الخيشوم : أقصى الأنف .

لَا يَسمَعُ الصوتَ مُسْـتَكًّا مَسَامِعُه ... وليس يَنطِقُ حَتَّى ينطقَ الحَجَـرُ[١]

أَمسَتْ إلى جَانِب الحَشَّاكِ جِيفَتُهُ ... ورأسُـه دُونَه اليَحْمُومُ والصُّـوَرُ[٢]

يَسأَلُهُ الصُّـبرُ مِنْ غَسَّانَ إذْ حَضَرُوا ... والحَزْنُ: كيفَ قَرَاكَ الغِلْمَةَ الجَشَرُ؟[٣]

وَقَــدْ تَفَاقَــمَ أمرٌ غيرُ مُلتَئِمٍ ... مَا بينَنَا فِيــهِ أَرحَامٌ ولا عِــذَرُ[٤]

(١١) قال الفرزدق يهجو جريرا وهذه إحدى النقائض :[٥]

إنَّ الذى سَمَكَ السماءَ بنَى لنـا ... بيْتًـا دَعائِمُــه أعزُّ وأطــوَلُ[٦]

بيْتًـا بنـاهُ لنـا المليكُ ، وما بَنَى ... حَكَمُ السماءِ فإنَّهُ لا يُنْقَــلُ[٧]

---

(١) مستكا مسامعه أصم لا يسمع .

(٢) الحشاك واد بأرض الجزيرة كانت فيــه وقعة لتغلب على قيس . اليحموم : موضــع بالشام .
الصور : قرية على شاطئ الخابور .

(٣) الصــبر : بطن من غسان ، وكذلك الحزن . قراك : قتلك . الغلمــة : الغلمان جمع غلام .
الجشر : جمع جاشر . الرجل يخرج فى إبله الى المرعى و يبيت مكانه لا يعود إلى البيت . وكان عمير يقول
انما بنو تغلب جشر لى آخذ منهم ما شئت . فلما مروا برأسه على هذه القبائل قالوا كيف رأيت قرى غلمتك
الجشر، ساخرين به .

(٤) تفاقم الخ ... زاد الفساد والعدوان . أرحام : جمع رحم أى قرابة . عذر : جمــع عذرة بمعنى
معذرة ، أى فسد ما بيننا ، فلا تصلحه القرابة أو الأعذار .

(٥) أبو فراس همام بن غالب التميمى الدرامى المعروف بالفرزدق أحد فحول الشعراء الاسلاميين نشأ
بين البصرة والبادية يروى الشعر و يعانيه حتى نبغ فيه ، واتصل بولاة العراق يمدحهم و يهجوهم ، و يرحل
الى دمشق ، فيمدح الخلفاء ، و ينال الجوائز وقد قضت العوامل السياسية والاجتماعية أن يشتبك مع جرير
فى التهاجى والتساب حتى ألهشا وشغلا الناس بنقائضهما ومات سنة ١١٤ هـ .

(٦) سمك : رفع . الدعائم : جمع دعامة وهى عمود البيت . أعز : أقوى .

(٧) المليك : الله جل جلاله — حكم السماء أى القوى المقتدر — لا ينتقل لا يزول ويريد بيت
شرف وعز .

بيتا زُرارةُ مُحتبٍ بفِنائِه ... ومُجاشعٌ وأبو الفوارسِ نَهْشَلُ (١)

يلِجُون بيتَ مُجاشعٍ، وإذا احْتَبوا ... بَرَزُوا كأنهمُ الجِبالُ المثَّلُ (٢)

لا يَحتَبي بفِناءِ بيتِكَ مثلُهم ... أبدًا إذا عُدَّ الفَعالُ الأفضلُ (٣)

مِنْ عِزِّهم جَحَرتْ كُليبٌ بيتَها ... زَرْبًا كأنّهمُ لديهِ القُمَّلُ (٤)

ضَرَبَتْ عليكَ العنكبوتُ بنسجِها، ... وقضَى عليكَ بهِ الكتابُ المُنْزَلُ (٥)

أينَ الذينَ بهِمْ تُسامي دارِمًا ... أمْ مَنْ إلى سَلَفَي طُهَيَّةَ تَجعَلُ ؟ (٦)

يَمْشُون في حَلَقِ الحَديدِ كما مشَتْ ... جُرْبُ الجِمالِ بِها الكُحَيْلُ المُشْعَلُ (٧)

والمانِعُونَ إذَا النِّساءُ تَرادفَتْ ... حَذَرَ السِّباءِ جِمالَها لا تُرحَلُ (٨)

---

(١) زرارة ومجاشع ونهشل : أولاد دارم جد عشيرة الفرزدق يفخر بهم على جرير .

(٢) يلجون : يدخلون . احتبوا : اشتملوا بالثوب . المثل الراسيات : جمع ماثل .

(٣) فناء البيت : المساحة أمامه . الفعال بفتح الفاء : الفعل الحسن والخطاب لجرير، أى ليس لك رجال أشراف كهؤلاء المعدودين تفاخرنى بهم .

(٤) كليب : قوم جرير . جحرت : دخلت زربا كأنه الجحر . الزرب : حفيرة تتخذ لحبس الجداء . القمل : جمع قملة، كالجرادة وأقل منها .

(٥) يعنى أن بيت جرير فى الوهن والذل كبيت العنكبوت . والشطر الثانى إشارة الى الآية الكريمة " وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت " .

(٦) تسامى : تفاخر . طهيــة : أم جماعة من قوم الفرزدق يفخر بهم على جرير . تجعل هنا : معناها تقرن بهم وتباهى .

(٧) الحلق : جمع حلقة وهى الدرع . جرب الجمال : أى الجمال المصابة بداء الجرب . الكحيل : القطران . المشعل : الكثير . يشبه الرجال فى عظمهم ولون الحديد عليهم بالجمال المهنوءة بالقطران .

(٨) ترادفت : ركب بعضهن خلف بعض، السباء الأسر فى الغارات، لا ترحل : لا توضع عليها الرحال للعجلة . يقول أن قومى يمنعون حريمهم اذا كانت الغارات وفزعت النساء فركبت الجمال أعراء .

يَحمِى إذا اختُرِطَ السيوفُ نِساءَنا ضَرْبٌ تَخِرُّ له السواعدُ أَرْعَلُ (١)

ومُعَصَّبٍ بالتاجِ يَخفِقُ فوقَه خِرَقُ الملوكِ لهَ خَمِيسٌ جَحفَلُ (٢)

مَلِكٌ تَسوقُ له الرماحَ أكفُّنَا منهُ تَعُلُّ صُدورُهُنَّ وتُنهَلُ (٣)

قَدْ مَاتَ فِي أَسَلاتِنَا أَوْ عَضَّهُ عَضْبٌ بِرَوْنَقِهِ الملوكُ تُقَتَّلُ (٤)

وَلَنَا قُرَاسِيَةٌ تَظَلُّ خَوَاضِعاً مِنهُ مَخَافَتَهُ القُرومُ البُزَّلُ (٥)

مُتَخَمِّطٌ قَطِمٌ لَهُ عَادِيَّةٌ فِيهَا الفَرَاقِدُ والسِّمَاكُ الأعزَلُ (٦)

ضَخْمُ المَنَاكِبِ تَحتَ شَجْرِ شُئُونِهِ نَابٌ إذَا ضَغِمَ الفُحُولةَ مِقْصَلُ (٧)

وَإذا دَعَوْتُ بَنِى فُقَيْمٍ جَاءَنِى مَجْرٌ لَهُ العَدَدُ الذى لا يُعْدَلُ (٨)

---

(١) اخترط : سل . تخر : تسقط . أرعل : مسترخ مائل وهو صفة لضرب . وإنما يريد أنه يميل ما قطع فيسترخى .

(٢) معصب : متوج والواو : واو رب . وما بعدها : مبتدأ خبره قد مات — يعنى حسان وقابوس ابنى المنذر . خرق الملوك : الرايات . الخميس : الجيش الضخم . الجحفل : الكثير الخيل .

(٣) منه : أى من الملك — تعل وتنهل من الدم ، والانهال : الطعن الأول ، والعلل : الطعن الثانى .

(٤) الأسلات : الرماح ، المفرد أسلة . العضب : السيف القاطع . رونقه : فرنده وجوهره .

(٥) القراسية : الضخم الغليظ من الابل . يقول : لنا عز قديم شبيه بالفحل وهو القراسية . القروم : جمع قرم ، وهو السيد أو الفحل الكريم . البزل : جمع بازل ، وهو الذى نبت نابه .

(٦) متخمط : متغضب فى كبر . قطم : هائج . عادية أولية قديمة ، وأصل الفرقد نجم يهتدى به والسماك الأعزل يكون فى نوء المطر ، أى لنا عز وشرف عال كمكان النجوم التى لا تنال ، بعضنا يقتدى به والبعض كريم يستقى منه .

(٧) الشجر : مجتمع اللحيين . الشئون : ملتقى قبائل الرأس ، الواحد شأن . ضغم : عض . مقصل : قاطع .

(٨) فقيم من دارم : عشيرة الشاعر . المجر : الجيش الكثير العدد — لا يعدل : ليس له عدل من غيره أى نظير .

وَإذا الرَّبَائِـع جَاءَنِى دُفَّاعُهـا مَوْجاً كأنهمُ الجَـرادُ المُرْسَـلُ (١)
هَـذَا وفى عَـدَوِيَّتِى جُرْثومـةٌ صَعْبٌ مَنَاكِبُهَا نِيَافٌ عَيْطَـلُ (٢)
وإذا البَرَاجِمُ بالقُـرومِ تَخَاطَـرُوا حَـوْلِى بأغلبَ عِزُّهُ لا يُـتْرَلُ (٣)
واذا بَـذَخْتُ ورَايَتِى يَمْشِى بِهـا سُفْيَانُ أو عُدُسُ الفعَالِ وجَنْـدَلُ (٤)
الأكثرونَ إذا يُعَـدُّ حَصَاهُمُ والأكرمُونَ إذا يُعَـدّ الأوّلُ (٥)
وزَحَلْتَ عن عَتَبِ الطريقِ ولم تجِد قَدمَاكَ حيثُ تَقُومُ سُـدَّ المَنْقَـلُ (٦)
انَّ الزِّحامَ لِغَيـرِكم فتحيَّنُـوا وِرْدَ العَشِىِّ، إليه يَخْـلُ المَنْهَـلُ (٧)
حُلَلُ الملوكِ لِبَاسُـنَا فى أهْلِنَـا والسابغـات إلى الوغَى نَتَسَرْبَلُ (٨)

(١) الربائع : جمع ربيعـة وهى ربيعة الكبرى والصغرى والوسطى . الدفاع : دفاع السـيل حين يكثر ويمتد . شبه كثرة الرجال بالسيل حين يدفع .

(٢) العـدوية : فكيهة بنت مالك من زيد مناة نسب اليها بنوها . الجرثومة . الأصـل والتراب يجتمع فى أصـل الشجرة فيرتفع على ما حوله — صعب مناكبها يعنى نواحيها — نياف طويلة مشرفة . عيطل : طويلة .

(٣) البراجم فى الأصـل : رءوس الأشاجع التى هى أصول الأصابع ، والمراد هنـا : بنو حنظلة ابن مالك ، وهم خمسة تبرجوا على سائر إخوتهم . القروم : الفحول . تخاطروا كما تخطر الفحول بأذنابها إذا تهدّد بعضها بعضا . الأغلب : الغليظ العنق .

(٤) بذخت : فخرت فى كبر . والأسماء المذكورة فى البيت من بنى دارم .

(٥) حصاهم : عددهم . الأوّل يعنى من الآباء والأجداد أو من المساعى والأفعال .

(٦) زحلت : تنحيت ، والخطاب لجرير . العتب : الغلظ فى ارتفاع أى عن وضح الطريق . المنقل : الطريق فى الجبل . يقول اذا سلكنا تنحيت لنا ، وسدّ عليك الطريق ، فلم تدر أين تسير ، وتضع قدميك .

(٧) ورد العشى : ورود الماء ليلا . يقول إنكم لضعفكم ومهانتكم لاقبـل لكم بالزحام بل تشربون من فضل غيركم .

(٨) الحلة : إزار ورداء . السابغات : الدروع . الوغى : الحرب . نتسربل : نتقمص . فهم فى السلم ملوك ، وفى الحرب ليوث .

أحْلَامُنَا تَزِنُ الجِبَالَ رَزَانَةً ... وتَخَالُنَا جِنًّا إذا مَا نَجْهَلُ (١)

فادْفَعْ بِكَفِّكَ إنْ أرَدْتَ بِناءَنَا ... ثَهْلانَ ذَا الهَضَبَاتِ، هَلْ يَتَحَلْحَلُ (٢)

وأَنَا ابنُ حَنظَلَةَ الأغرِّ وإنَّنِى ... فى آلِ ضَبَّةَ لَلْمُعِمُّ المُخْوِلُ (٣)

فَرْعَانِ قد بَلَغَ السَّماءَ ذُرَاهُمَا ... وإلَيْهِمَا مِنْ كُلِّ خَوْفٍ يُعْقَلُ (٤)

فَلَئِنْ فخرتُ بِهِمْ لِمِثْلِ قَدِيمِهِمْ ... أَعْلُو الحُزُونَ بِهِ، ولَا أتَسَهَّلُ (٥)

زَيْدُ الفَوَارِسِ، وابنُ زَيْدٍ مِنْهُمُ ... وأبُو قَبِيصَةَ، والرَّئِيسُ الأوَّلُ (٦)

أَوْصَى عَشِيَّةَ حِينَ فَارَقَ رهطَهُ ... عِندَ الشهادَةِ فى الصحِيفَةِ دَغْفَلُ (٧)

أَنَّ ابنَ ضَبَّةَ كانَ خَيْرًا وَالِدًا ... وأَتَمُّ فى حَسَبِ الكِرَامِ وأَفْضَلُ (٨)

مِمَّنْ يَكُونُ بَنُو كُلَيْبٍ رَهْطَهُ ... أو مَنْ يَكُونُ إليهِمُ يَتَخَوَّلُ (٩)

---

(١) الأحلام : جمع حلم الصبر والأناة أو العقل وضدّه الجهل والسفه . رزانة : وقارا .

(٢) ثهلان : جبل عظيم بنجد . الهضبات : جمع هضبة الجبل الصغير . هل يتحلحل ؟ أى هل يزول ويتحرك ؟ فكذلك عزنا .

(٣) حنظلة : هو ابن مالك بن زيد من رهط الشاعر وأمه من ضبة . الأغر : المشهور بالعز والشرف . المعم المخول : الكريم الأعمام والأخوال .

(٤) ذروة كل شىء : أعلاه . يعقل : يلجأ . أى يلجأ إليهما الناس عند المخاوف .

(٥) الحزون : ماغلظ من الأرض ، مفرده حزن . السهل : ماسهل ولان . إن فخره بهؤلاء يسمو به .

(٦) زيد الفوارس : هو زيد بن حصين سمى بذلك ؛ لأنه والى بين سبعة فوارس فى ثأر أبيه حصين . وابنه هو الحصين بن زيد . وأبو قبيصة خوار بن عمرو منهم أيضا . والرئيس الأول محلم بن سويط من سعد بن ضبة .

(٧) رهط الرجل : قومه الأدنون . دغفل : هو ابن حنظلة النسابة من وائل . وهو فاعل أوصى .

(٨) بنو ضبة . رهط الشاعر لأمه . الحسب : مفاخر الآباء .

(٩) بنو كليب : رهط جرير . يتخول : من الخئولة ، أى يدعيهم أخوالا . فهو فى هذه الأبيات يفضل نفسه نسبا وحسبا على جرير .

وهـــمُ عَلَى ابنِ مُزَيقِيَاءَ تَنَازَلُوا — والخيــلُ بيْنَ عَجَاجَتَيْهَا القَسْطَلُ (١)

وهُمُ الذينَ عَلَى الأميــلِ تداركوا — نَعَمًا يُشَلُّ إلى الرئيس ويُعْكَلُ (٢)

ومُحَرِّقًا صَفَدُوا إليــه يمينَــهُ — بِصِفادِ مقتسِرٍ أخــوهُ مُكَبَّلُ (٣)

مَلِكَانِ يــومَ بُزَاخَــةٍ قتلوهُمَا — وكِلَاهُمَا تاجٌ عَلَيْــهِ مُكَلَّلُ (٤)

وَهُمُ الذينَ عَلَوْا عُمَارةَ ضَرْبَةً — فَوْهَاءَ فَــوْقَ شُئُونِهِ لا تُوصَــلُ (٥)

وَهُمُ اذا اقْتَسِمِ الأكابرُ رَدَّهُمْ — وَافٍ لِضَبَّــةَ ، والرِّكاب تُشَــلَّلُ (٦)

جَارٌ إذا غَــدَرَ اللِّئَامُ وفَى بهِ — حَسَبٌ ودَعْوَةُ مَاجِدٍ لا يُخْــذَلُ (٧)

وعَشِيــةَ الجَمَــلِ المُجَلَّلِ ضَارَبُوا — ضَرْبًا شُئُونُ فَرَاشِــهِ تَتَزَيَّلُ (٨)

---

(١) ابن مزيقياء هو الحارث عمرو بن عامر قتله أحد بنى ضبة ، وابناه : محرق وزياد قتلهما زيد الفوارس . تنازلوا : نزلوا فى ساحة القتال فتضاربوا . العجاجتان : مثنى عجاجة الدخان والغبار . القسطل : الغبار . والمقصود أن الغبار ثائر بين الجيشين المتحاربين .

(٢) الأميل : رمل يعرض ويستطيل مسيرة يوم أو يومين ، وهو كذلك اسم يوم لبنى ضبة على بنى شيبان . وذلك أن بسطام بن قيس بن مسعود الشيبانى أغار على بنى ضبة ، فاستاق ألف بعير لمالك بن المنتفق رئيس بنى ضبة ، فتداركت ضبة الخيل وردّت النعم . يشل : يطرد . يعكل : يرد ويحبس .

(٣) محرق : سبق ذكره . صفدوا : جمعوا ، أى أسروه ، واستوثقوا منه . الصفاد : القيد أو الحديد الذى تيد فيه . أخوه : صاحبه أى صاحب هذا الصفاد مقتسر ومغتصب .

(٤) بزاخة : وقعة لضبة على غسان . والملكان محرق وزياد كما سبق . مكلل : معقود فوق رأسه .

(٥) عمارة بن زياد العبسى قتله شرحاف الضبى يوم أعيار . فوهاء : واسعة ذات فم واسع . الشئون : ملتقى قبائل الرأس ، الواحد شأن ، ومن الشئون تجرى الدموع . لا توصل : لا تلتئم .

(٦) اقتسم الأكابر : أسروا وتوزعوا . والأكابر شيبان وعامر وجليحة من بنى تيم الله بن ثعلبة ، أجارهم بدر بن حمراء الضبى ، فوفى لهم . تشلل : تطرد .

(٧) جار : يعنى بدر بن حمراء الضبى . الماجد جيرانه من بنى تيم الله الذين التجأ اليهم فى إحدى السنين ، فوفوا له .

(٨) الجمل : وقعة الجمل مع السيدة عائشة وقتل من بنى ضبة كثير . الفراش : جمع فراشة كل رقيق من العظم أو الحديد . تتزيل : تتفرق .

* * *

يَا ابنَ المَرَاغَةِ أينَ خالُكَ إنَّني ... خَالِي حُبَيْشٌ ذو الفَعَالِ الأفضلُ (١)

خَالِي الذى غَصَبَ الملوكَ نُفُوسَهمْ ... وإليـه كانَ حِبـاءُ جَفْنَةَ يُنْقَـلُ (٢)

إنَّا لنضْرِبُ رأسَ كُلِّ قَبِيلَةٍ ... وأبُوكَ خَلْفَ أتَانِهِ يَتَقَمَّلُ (٣)

وشُغِلتَ عن حَسَبِ الكِرامِ وما بَنَوْا ... إنَّ اللئيمَ عَنِ المَكارِمِ يُشْغَلُ (٤)

إنَّ التِي فُقِئَت بِهَا أبصارُكم ... وَهِيَ التى دَمَغَتْ أبَاكَ الفَيْصَلُ (٥)

وقال يصف ذئبا صادفه أثناء سفره فأطعمه من زاده :

وأطلَسَ عَسَّالٍ وما كانَ صَاحِبًا ... دَعَـوْتُ بِنَارِي مَوْهِنًا فَأتَانِي (٦)

فَلَمَّا دَنَا قُلتُ : ادنُ دونَكَ، إنَّنِي ... وإيَّاكَ في زَادِى لَمُشْتَرِكَانِ (٧)

---

(١) ابن المراغة : جرير . حبيش من ضبة أسر عمرو بن الحارث الغسانى، بجز ناصيته، واشترط عليه أن يبعث اليه كل سنة بحباء حتى يموت .

(٢) الحباء : العطية، والمراد هنا الضريبة . جفنة من آباء الغساسنة اليه ينسبون، ويسمون آل جفنة ملوك الشام فى الجاهلية .

(٣) الرأس : الرئيس . الأتان : الحمارة . يتقمل : يكثر قمله .

(٤) اللئيم : الدنىء الأصل والبخيل .

(٥) دمغت : أى بلغت دماغه . الفيصل : مقطع الحق فيما بيننا و بينكم . وهـذه القصيدة كانت تسمى الفيصل .

(٦) الأطلس : أغبر اللون . عسال : مضطرب فى مشيه . موهنا : نحو منتصف الليل .

(٧) أدن : اقترب . دونك : أمامك .

فَبِتُّ أَقُدُّ الزَّادَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ عَلَى ضَوْءِ نَارٍ مَرَّةً وَدُخَانِ (١)

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَكَشَّرَ ضَاحِكًا ، وَقَائِمُ سَيْفِي مِن يَدِي بِمَكَانِ : (٢)

تَعَشَّ ، فَإِنْ وَاثَقْتَنِي لَا تَخُونُنِي نَكُنْ مِثْلَ مَنْ (يَاذِئْبُ) يَصْطَحِبَانِ (٣)

وأَنْتَ امرُؤٌ يا ذئْبُ والغَدرُ كنتُما أُخَيَّيْنِ كَانَا أُرْضِعَا بِلِبَانِ (٤)

ولو غَيْرَنَا نَبَّهْتَ تَلْتَمِسُ القِرَى أَتَاكَ بِسَهْمٍ أَوْ شَبَاةِ سِنَانِ (٥)

وكُلُّ رَفِيقَيْ كُلِّ رَحْلٍ — وإنْ هُمَا تَعَاطَى القَنَا قَوْمَاهُمَا — أَخَوانِ (٦)

فَهَلْ يَرْجِعَنَّ اللهُ نفسًا تَشَعَّبَتْ عَلَى أَثَرِ الغَادِينَ كُلَّ مَكَانِ (٧)

فَأَصْبَحْتُ لا أدرِي أَأَتْبَعُ ظاعِنًا أم الشَّوقُ مِنِّي للمُقِيمِ دَعَانِي (٨)

وما مِنْهُمَا إلا تَوَلَّى بِشِقَّةٍ من القَلْبِ فالعينَانِ تَبْتَدِرانِ (٩)

---

(١) أقد : أقطع .

(٢) تكشر : كشف عن أسنانه . قائم السيف : مقبضه .

(٣) واثقتنى : عاهدتنى .

(٤) أخيان : أخوان توءمان .

(٥) شباة سنان : طرف الرمح .

(٦) تعاطى القنا قوما هما ، أى تحارب أهلهما . أخوان : خبر كل .

(٧) تشعبت : توزعت فى كل مكان من الهموم . الغادون : الميتون يشير الى بنيه المتوفين .

(٨) ظاعنا : راحلا الى القبر . المقيم : الباقى على قيد الحياة — يصف اضطراب نفسه بين الحزن والحدب .

(٩) تولى بشقة : أخذ ناحية من قلبه ، فشغلها . يبتدران الدمع : تدمعان .

(١٢) وقال جرير[١] يرثى زوجه خالدة بنت سعد :

لَوْلَا الحَيَاءُ لهاجَنِي ٱستِعبارُ ... ولزُرتُ قبرَكِ ، والحبيبُ يُزَارُ[٢]

ولقد نَظرتُ ، وما تَمتُّعُ نظرةٍ ... فى اللحدِ حيثُ تمكّنَ الأحفارُ[٣]

وَلِهتِ قلبِى إذ عَلَتنِى كَبْرَةٌ ... وذوو التمائمِ من بنيكِ صغارُ[٤]

أرعَى النجومَ، وقد مَضتْ غَوْرِيَّةً ... عُصَبُ النجومِ كأنّهنّ صُوارُ[٥]

نِعمَ القرينُ، وكنتِ عِلْقَ مَضَنَّةٍ ... وَارَى بنَعْفِ بَلِيَّةَ الأحجارُ[٦]

عَمَرتْ مُكرَّمةَ المَساكِ ، وفارقتْ ... ما مَسَّها صَلَفٌ ولا إقتارُ[٧]

فسقَى صدَى جَدَثٍ بِبُرقةِ ضاحكٍ ... هَزِمٌ أجَشُّ وَدِيمةٌ مِدرارُ[٨]

---

(١) ينتسب أبو حزرة جرير بن عطية بن الخطفى الى يربوع من تميم كما ينتسب الفرزدق الى دارم من تميم كذلك . وقد ولد باليمامة ونشأ فى البادية يأخذ الشعر عن أسرته وغيرها ويتكسب به لدى الخلفاء والولاة حتى اشتبك مع الفرزدق فى التهاجى والتساب لعوامل سياسية واجتماعيه . ومات بعد الفرزدق بقليل سنة ١١٤ هـ.

(٢) استعبار : حزن ودمع .

(٣) الأحفار : جمع حفر البئر المتسعة ، وهو هنا القبر .

(٤) ولهت : حيرت من الحزن . كبرة : كبر وضعف . التمائم : جمع تميمة ، وهى العوده تعلق على الصبى خوف الحسد .

(٥) أرعى النجوم : أراقبها . غورية : غائبة . عصب : جماعات . الصوار : القطيع من البقر الوحش .

(٦) القرين : الزوج والصديق أى أنت . العلق : النفيس أو الجراب المضنة : ما يضن به . نعف بلية : مكان قبرها .

(٧) عمرت : عاشت . المساك : البخل والموضع يحفظ فيه الماء . الصلف : مجاوزة قدر الظرف والادعاء تكبرا . إقتار : بخل .

(٨) صدى : عطش شديد . جدث قبر : برقة ضاحك موضع . والبرقة فى الأصل الأرض الغليظة . هزم سحاب راعد : أجش غليظ الصوت : ديمة مطر يدوم فى سكون . مدرارا : غزيرة .

مُتَراكِمٍ زَجِلٌ يُضيء وَميضُهُ ... كالبُلْقِ تحتَ بُطونِها الأمْهارُ (١)

كانتْ مكرَّمةَ العَشيرِ ولم يَكن ... يَخشَى غوائلَ أمِّ حَزْرَةَ جارُ (٢)

ولقد أراكِ كُسيتِ أجملَ منظرٍ ... ومعَ الجمالِ سكينةٌ ووَقارُ (٣)

والريحُ طيّبةٌ إذا استقبلتَها ... والعِرضُ لا دَنِسٌ ولا خَوّارُ (٤)

وإذا سريتُ رأيتُ نارَكِ نوّرَت ... وَجْهًا أغرَّ يَزينُه الإسفارُ (٥)

صلّى الملائكةُ الذين تُخُيِّروا ... والصالِحُون عليكِ والأبْرارُ (٦)

وعليكِ من صلَواتِ رَبكِ كلّما ... نَصَبَ الحَجيجُ مُلَبِّدينَ وغارُوا (٧)

يا نَظرةً لكِ يومَ هاجَتْ عَبرةً ... من أمِّ حَزْرَةَ بالنُّمَيرةِ دارُ (٨)

تُحيي الروامسُ رَبعَها فتُجِدُّه ... بعدَ البِلَى، وتُميتُه الأمطارُ (٩)

وكأنَّ منزلةً لها بجُلاجِلٍ ... وَحْيُ الزَّبورِ تُجِدُّه الأحبارُ (١٠)

---

(١) زجل : رفع صوته . البلق : جمع أبلق فرس فى لونه سواد و بياض . أمهار : جمع مهر .

(٢) الغوائل : مفرده غائلة وهى الشر والفساد والداهية .

(٣) الوقار : الرزانة .

(٤) خوار : مريب .

(٥) سريت : سرت ليلا . أغر : حسن له غرة . الأسفار : كشف الوجه .

(٦) الأبرار : جمع بار الصالح أو كثير الاحسان .

(٧) نصب : جد وتعب . الحجيج : جمع حاج . ملبدين : محرمين ومتحذين صمغا ليتلبد شعرهم . غاروا : نزلوا الغور .

(٨) عبرة : دمعة . النميرة : جبل أو هضبة بين نجد والبصرة .

(٩) الروامس : الرياح الدوافن للآثار . الربع : الدار . تجد : تجدّد .

(١٠) جلاجل : موضع أو جبل بالدهناء . الوحى : المكتوب أو الرسالة . الزبور : الكتاب، وغلب على مزامير داود . الأحبار : جمع حبر : العالم الصالح والرئيس الديني .

لا تُكثِرَنَّ إذا جعلتَ تــلومُنى ... لا يَذْهَبَنَّ بِحلمــكَ الإكثار (١)

كانَ الخليطُ هُمُ الخليط فأصبحُوا ... مُتَبَــدِّلينَ وبالديارِ ديار (٢)

لا يُلبِثُ القُــرَناءَ أن يَتَفَــرَّقوا ... ليــلٌ يَكُرُّ عليهــمُ ونهــار (٣)

وقال جرير يجيب الفرزدق عن قصيدته السالفة التى مطلعها — إن الذى سمك السماء :

لِمَنِ الديارُ كأنَّهــا لم تُحلَــلِ ... بَينَ الكِناسِ وبينَ طَلْحِ الأعْزَلِ (٤)

ولقَدْ أرَى بِكِ، والجديدُ الى بِلًى، ... موتَ الهوَى وشِــفاءَ عَينِ المجتــلِى (٥)

نظرتْ إليــكَ بمثــلِ عَيْنَى مُغزِلٍ ... قَطَعَتْ حِبالَتَهــا بأعلى يَلْيَــل (٦)

وإذا التمستَ نَوالَهَــا بَخِلتْ بــه ... وإذا عَرضْــتَ بــوُدِّها لم تَبْخَــل

ولقد ذكرتُكِ ، والمطِىُّ خواضعٌ ، ... وكأنَّهنَّ قَطا فَــلاةٍ مَجْهَــل (٧)

---

(١) الحلم : الصبر والأناة والعقل .

(٢) الخليط : الصحاب . متبدلين : متغيرين . وبالديار الخ مسافرين الى ديار أخرى .

(٣) لا يلبث ... لا يمهلهم حتى يفرقهم . القرناء : جمع قرين العشير أو المصاحب .

(٤) الكناس : موضع من بلاد غنى . طلح : شجر . الأعزل : واد لكليب . كأنها لم تحلل : أى قد درست كأنها لم تكن مسكونة .

(٥) المجتلى : الناظر، أى كنا بك فكان الهوى مستترا ، فلما تفرقنا ظهرت آثاره بسبب الفراق .

(٦) المغزل : ظبية ذات غزال . حبالتها : مصيدتها . يليــل : موضع قرب وادى الصــفراء بين الحرمين .

(٧) خواضع : مجدة فى الســير . قطا : طائر مبادر الى أولاده . فلاة : صحراء واسعة . مجهل : مفازة لا يهتدى فيها .

يَسقِينَ بالأدْمَى فِراخَ تَنُوفَـةٍ زُغْبًا حواجِبُهن حُمْرَ الحَوصَلِ (١)

يا أُمَّ ناجِيـةَ ! السلامُ عليكُمْ ! قبلَ الرَّواحِ وقَبْلَ عَذلِ العُذَّلِ (٢)

وَإذا غـدوتِ فباكرتكِ تَحِيَّـةٌ سبقَت سُروحَ الشاحِجَاتِ الحُجَّلِ (٣)

لو كنت أعلَمُ أن آخر عَهـدِكمْ يومَ الرَّحيـلِ فعلتُ ما لم أفعَلِ (٤)

أو كنتُ أرهَبُ وَشْكَ بَيْنٍ عاجِلٍ لقنِعتُ أو لسألتُ ما لم يُسألِ (٥)

أعْددتُ للشُّـعَراء سَمًّا ناقِعًا فَسَقَيتُ آخرَهـم بِكأسِ الأوَّلِ (٦)

لَمَّا وضَعتُ على الفَرزدقِ مِيسَمِى، وضَغَا البَعيثُ جَدَعْتُ أنفَ الأخطل (٧)

أخزَى الذِى سَمَكَ السماءَ مُجاشِعًا وبنَى بناءَكَ فى الحضِيضِ الأسفلِ (٨)

بيتًا يُحَمِّم قينُكم بِفِنائه دَنِسًا مقاعدُه خَبيثَ المدْخَلِ (٩)

ولقد بنيتَ أخَسَّ بَيْتٍ يُبتَنى فَهَدمتُ بيتَكمُ بِمثلَىْ يَذبُلِ (١٠)

(١) الأدمى : موضع . تنوفة : برية لا ماء فيها ولا أنيس . زغبا : قليلة الريش . والزغب أول ما يبدو من الشعر أو الريش .

(٢) الرواح : الذهاب عشية . وربما كان الأولى يا آل ناجية .

(٣) الشاحجات : الغربان تشحج فى صياحها . الحجل : تحجل فى مشيها .

(٤) عهدكم : لقائكم .

(٥) وشك : قرب . قنعت بالقليل من الود دون الطمع وبعد الأمل الذى قضى عليه الفراق .

(٦) ناقعا : قاتلا (هجاء مرا) .

(٧) الميسم : المكوى، يريد الشعر . ضغا : تذلل . جدع الأنف : قطعه .

(٨) سمك : رفع . مجاشع : قوم الفرزدق . الحضيض : أسفل الجبل .

(٩) يحمم : يدخن فيه فيسوده . القين : الحداد، يرمى الفرزدق بأن قومه حدادون .

(١٠) يذبل : جبل مشهور بنجد يشبه به مجده .

إنّى بَنَى لِى فى المَكَارِمِ أَوّلِى ... ونَفَخْتَ كِيرَكَ فى الزّمَانِ الأول (١)

أعيَنْــكَ مأثُرَة القُيــونِ مُجَاشِـع ... فانظُر لعلّكَ تَدّعى من نَهْشَــل (٢)

وامْـــدَح سَراةَ بنى فُقَيمٍ إنهــم ... قَتَــلُوا أَبَاكَ وثأره لم يُقتَــل (٣)

ودَعِ البَراجِمَ إنَّ شِرْبَكَ فيهـمُ ... مُرٌّ مَذَاقَتُه كَطَعْمِ الحَنظَــلِ (٤)

إنّى انصبَبْتُ من السماءِ عليكُمُ ... حتى اختطفْتُكَ يا فرزدَقُ من عَلِ (٥)

مِن بَعــد صَكّيِّ البَعيثَ كأنّهُ ... خَرَبٌ تَنَفّجَ مِنْ حِذارِ الأَجدَلِ (٦)

ولقـــد وسَمْتُك يا بَعيثُ بِميسَمى ... وضَغَا الفرزدقُ تحت حَدِّ الكَلكَلِ (٧)

انّى إلى جَبَــلٍ تَمَــيم مَعقِــلى ... ومَحَلُّ بيْتِى فى اليَفَـاعِ الأطــولِ (٨)

أَحلامُنَـا تَزِنُ الجبـالَ رَزانةً ... ويَفُوقُ جَاهِلُنَـا فِعَالَ الجُهَّــل (٩)

فارجع إلى حَكَمَىْ قُرَيْش ؛ إنهــم ... أهــل النّبُــوّةِ والكتاب المــنْزَلِ (١٠)

---

(١) أوّلى : آبائى . (٢) مأثرة : مكرمة ، أى لا تفخر بمجاشع . تدعى : تنتسب . نهشل ومجاشع : اخوان من تميم .

(٣) سراة : جمع سرى وهو الشريف . بنـو فقيم من دارم : الثأر القاتل ، وكان ذكوان الفقيمى سبب موت أبى الفرزدق ، وقد عقر بعيرى أمه وأخته جعثن فى قصة طويلة .

(٤) البراجم : قوم من أولاد حنظلة بن مالك كما سبق . الشرب : هنا الحظ والنصيب .

(٥) عل : أعلى .

(٦) الصك : الضرب الشـديد . الخرب : ذكر الحبارى طائر كالديك . تنفج : نفش ريشـه خوفا . الأجدل : الصقر .

(٧) الكلكل : الصدر . الحدّ : الصلابة .

(٨) المعقل : الملجأ أو الجبل المرتفع ، والمراد الشرف . اليفاع : ما ارتفع من الأرض .

(٩) الجاهل : السفيه .

(١٠) حكما قريش : هاشم وعبد مناف .

فاسأل إذا خرج الخِدَامُ وأُحمِشَتْ — حَربٌ تُضَرَّم كالحريق المُشْعَلِ (١)

والخيلُ تَحْمِط بالكُمَاةِ ، وقد رأوا — لمعَ الرَّبِيئَةِ في النِّيَافِ العَيْطَلِ (٢)

أبنو طُهَيَّةَ يَعْدِلون فوارسي — وبنو خَضَافِ ، وذاك ما لم يُعْدَلِ (٣)

وإذا غضبتُ رمَى وَرَائِي بالحَصَى — أبناءُ جَنْدَلَةٍ كخَيْرِ الجنْدَلِ (٤)

عَمْرٌو وسعْدٌ يا فرزدقُ فيهمُ — زُهْرُ النُّجُومِ وَبَاذِخَاتُ الأَجْبُلِ (٥)

كانَ الفرزدقُ إذْ يَعُوذُ بخالِه — مِثْلَ الذليلِ يَعُوذُ تحت القَرْمَلِ (٦)

وافْخَرْ بِضَبَّةَ إنَّ أُمَّكَ مِنْهُمُ — ليس ابن ضَبَّةَ بالمُعِمِّ المُخْوِلِ (٧)

وقَضَتْ لنا مُضَرٌ عليك بِفَضْلِنَا — وقَضَتْ رَبِيعةُ بالقَضاءِ الفَيْصَلِ (٨)

إن الذى سَمَكَ السَّماءَ بَنَى لنا — عِزًّا عَلَاكَ فما لَه من مَنْقَلِ (٩)

أَبْلِغْ بنى وَقْبَانَ أَنَّ حُلُومَهُمْ — خَفَّتْ ، فلا يَزِنُونَ حَبَّةَ خَرْدَلِ (١٠)

---

(١) الخدام : الفرس المحجل ، يعنى فى الغارة . أحمشت : أوقدت . تضرم : تشتعل .

(٢) تحمط : تصوّت من الإعياء والتعب . الكماة : جمع كمى : المدجج بالسلاح . الربيئة : طليعة الجيش . النياف : الطويل من الإبل . العيطل : الطويل العنق .

(٣) طهية : أم جماعة من تميم منهم مجاشع ونهشل ودارم . خضاف : هم بنو مجاشع .

(٤) الحصى : العدد الكثير . جندلة : بنت تيم الأدرم ، وهى أم يربوع : قوم جرير .

(٥) عمرو وسعد : حليفا عشيرة جرير . زهر النجوم : النابهون . باذخ : عظيم . الأجبل : جمع جبل ، والمراد عظماء الرجال .

(٦) يعوذ : يحتمى . القرمل : شجر ضعيف بلا شوك ، ومنه المثل ذليل عاذ بقرملة .

(٧) ضبة : من طاعنة أخوال الفرزدق . المعم : الكريم الأعمام ، والمخول : كريم الأخوال .

(٨) ربيعة ومضر : شعبا عدنان العظيمان . الفيصل : الفاصل بين الحق والباطل .

(٩) منقل : متحوّل وانتقال .

(١٠) وقبان : لقب مجاشع ، معناه الحمق . حلوم : جمع حلم : العقل والرزانة .

أَزْرَى بِحِلْمِكُمُ الْفِيَاشُ فَأَنْتُمُ ... مِثْلُ الْفَرَاشِ غَشِينَ نارَ الْمُصْطَلِي (١)

تَصِفُ السُّيُوفَ،وغيرُكم يَعصِى بِهَا ... يَابْنَ القُيونِ، وذاكَ فعْلُ الصَّيْقَلِ (٢)

وبِرَحْرَحَانَ تَخَضْخَضَتْ أَصْلَاؤُكُمْ ... وفزِعتُمُ فَزَعَ البِطَانِ الْعُزَّلِ (٣)

أَلْهَى أَبَاكَ عَنِ المكَارِمِ والعُلَا ... لَىُّ الكَّائِفِ وارتِفَاعُ المِرْجَلِ (٤)

أَبْلِغْ هَدِيَّتِيَ الفرزدقَ ؛ إنَّهَا ... ثِقْلٌ يُزَادُ عَلَى حَسِيرٍ مُثْقَلِ (٥)

أَنَا نُقِيمُ صَغَا الرءوس ، ونَختَلِي ... رَأسَ الْمُتَوَّجِ بِالْحُسَامِ الْمِقْصَلِ (٦)

(١٣) قال عُبَيد الله بن قيس الرُّقَيَّات يمدح عبد الملك بن مروان : (٧)

عَادَ لَهُ مِن كَثيرةَ الطَّرَبُ ... فَعَينُه بالدُّمُوعِ تَنْسَكِبُ (٨)

كُوفِيَّةٌ نازِحٌ مَحَلَّتُهَا ... لَا أَمَمٌ دَارُها ولا صَقَبُ (٩)

---

(١) الفياش : المفاخرة . المصطلى : المستدفئ بالنار يقول من يعرض لى من الشعراء يقع فى شر .

(٢) يعصى بها : يتخذها كالعصا . الصيقل : شحاذ السيوف وجلاؤها .

(٣) رحرحان : جبل قرب عكاظ له يوم لعامر على تميم خذلت فيه تميم معبد بن زرارة . تخضخضت : ارتجت ، وتحركت من الهزيمة . أصلاؤكم : جمع الصلا ، وهو ما اكتنف عجب الذنب يقصد الورك يريد هزمتم . البطان : عنز سوء . (٤) الكّائف : جمع كثيفة حديدة عريضة .

(٥) أى المجهود المعيى . (٦) الصغا : الميل ، أى نصلح المعوج . نختلى : نجز ونقطع . المتوج : الملك . المقصل : القاطع .

(٧) عبيد الله بن قيس الرقيات القرشى نسبا ومذهبا من شعراء الغزل والسياسة ، نشأ فى قريش حريصا على سيادتهم ناقما على بنى أمية اعتزازهم باليمنيين منتصرا لابن الزبير ، حتى اذا قتل واستقر الحكم للامويين اطمأن اليهم . وكان أول أمره مطاردا من الخلفاء يتنقل مختفيا بين الكوفة والمدينة حتى نال الأمان ، ولزم عبد العزيز بن مروان والى مصر حيث مات سنة ٧٥ هـ .

(٨) كثيرة : امرأة آوت الشاعر بالكوفة حين أهدر الخليفة دمه . تنسكب : تسيل .

(٩) نازح محلتها : بعيد منزلها . أمم : قريبة . صقب : مجاورة .

وَاللهِ ما إنْ صَبَتْ إِلَيَّ ، ولا يُعْلَمُ بينى وبينها سَبَبُ (١)

إلَّا الذى أَوْرَثَتْ كَثِيرَةُ فِي الْـ قَلْب ، ولِلْحُبِّ سَوْرَةٌ عَجَبُ (٢)

لا باركَ اللهُ فى الغَوانى فَمَا يُصْبِحْنَ إلا لَهُنَّ مُطَّلَبُ (٣)

أَبْصَرْنَ شَيْبًا عَلَا الذُّؤابَةَ فى الرَّ أْسِ حديثًا كأنه العَطَبُ (٤)

فَهُنَّ يُنْكِرْنَ مَا رأيْن ، وَلَا يَعْرِفُ لِي فى لِدَاتِيَ اللَّعِبُ (٥)

ما ضرَّهَا لو غدا بحاجتنا غَادٍ كريم أو زائر جُنُبُ (٦)

لم يأت عن رِيبةٍ وأَجْشَمَه الْـ حبُّ فأمسى وقلبه وَصِبُ (٧)

يا حبَّذا يثربٌ ولذَّتُها من قبلِ أَنْ يهلكوا ويَحْتَرِبوا (٨)

وقبلَ أَنْ يخرُجَ الذين لَهُمْ فِيها السَّنَاءُ العظيمُ والحَسَب (٩)

بَغَتْ عَلَيْهِم بِهَا عَشِيرتُهُمْ فَعُوجِلُوا بالجَزَاء واطُّلِبُوا (١٠)

---

(١) صبت : حنت . سبب : صلة .

(٢) سورة : حد .

(٣) مطّلب : مطلب .

(٤) الذؤابة : الناصية : شعر مقدّم الرأس . العطب : الهلاك .

(٥) ينكرن : يعبن . لداتى : أقرانى جمع لدة .

(٦) غاد : مبكر . جنب : غريب أو صاحب سفر — يريد ما يضرها لو زرتها .

(٧) ريبة : تهمة . أجشمه : كلفه النصب . وصب : مريض .

(٨) يثرب : المدينة . يحتربوا : يحاربوا ، والضمير يعود على حزب ابن الزبير والذين حاربوهم من الأمويين ، وكان الشاعر زبيريا أكثر حياته .

(٩) السناء : الرفعة . الحسب : الشرف .

(١٠) بغت : عدت . اطلبوا أخذوا .

قومٌ همُ الأكثرون قِبضَ حَصًى ... فى الحىِّ والأكرمون إنْ نُســبُوا (١)

ما نَقِمُوا من بنى أُميَّــةَ إلـ ... ـا أنَّهم يَحلُمُون إنْ غَضِبُوا (٢)

وأنهــم مَعْدِنُ الملوك، فلا ... تَصْلُحُ إلا عَلَيْهِــمُ العَــرَبُ (٣)

إنَّ الفَنِيق الذى أبوه أبو الـ ... ـعاصِى عليــهِ الوقارُ والحُجُبُ (٤)

خَليفَــةُ الله فــوقَ مِنْــبَرِه ... جَفَّتْ بِذاكَ الأقْـلامُ والكُتُبُ (٥)

يَعْتَــدِل التَّاجُ فــوق مَفْرِقِهِ ... عــلى جَبِين كأنه الذَّهبُ (٦)

(١٤) وقال قَطَرِىُّ بن الفُجاءة فى الحماسة : (٧)

لا يَرْكَنَنْ أحــدٌ إلى الإحجَام ... يــومَ الوَغى مُتَخــوِّفا لِحمام (٨)

فلقــد أرانِى للــرماحِ دَرِيئةً ... مِن عَن يَمِيــنِى مَرَّةً وأمامِى (٩)

حَتَّى خَضَبْتُ بمــا تحــدَّرمن دَمِى ... أكْنافَ سَرْجِى أو عِنانَ لجامى (١٠)

---

(١) قبض حصى : عددا كثيرا . نسبوا : ذكر نسبهم .

(٢) ان غضبوا : أن قدروا على الانتقام .

(٣) معدن : أصل .

(٤) الفنيق : العظيم المكرم، والمراد به عبد الملك بن مروان . الحجب : جمع حجاب الستر .

(٥) قضى بذلك الأمر .

(٦) الجبين : الجبهة، وفى رواية يأتلق التاج أى يتلألأ .

(٧) هو قطرى بن الفجاءة المازنى من زعماء الخوارج الشعراء والخطباء قضى مدة طويلة فى حروب مع الأمويين حتى قتل بطبرستان سنة ٧٩ هـ .

(٨) الاحجام : التراجع . الوغى : الحرب . الحمام : الموت .

(٩) الدريئة : الحلقة يتعلم الطعن والرمى عليها .

(١٠) تحدر : سال . أكناف جمع كنف : الجانب . العنان : سير اللجام .

ثم انصرفتُ، وقد أَصَبْتُ ولم أُصَبْ جَذَعَ البَصيرةِ قارِحَ الإقدام (١)

وقال :

أقولُ لها وقد طارَتْ شَعاعاً من الأبطالِ : وَيْحَكِ! لَن تُراعِي (٢)

فإنكِ لو سألتِ بَقَاءَ يومٍ على الأَجَلِ الذى لكِ لم تُطاعِي (٣)

فصَبْراً فى مَجالِ الموت صَبْراً فما نيلُ الخلودِ بمُستَطَاعِ (٤)

ولا ثوبُ البقاءِ بثوبِ عِزٍّ فيُطْوَى عن أخى الخَنْعِ اليَرَاعِ (٥)

سبيلُ الموت غايةُ كلِّ حىٍّ فداعيه لأهلِ الأرضِ دَاعِ (٦)

ومن لا يُعتَبَطْ يَسأمْ ويهرمْ وتُسلِمُهُ المَنُونُ الى انقِطاعِ (٧)

وما للمرءِ خيرٌ فى حَياةٍ إذا ماعُدَّ من سَقَطِ المَتَاعِ (٨)

---

(١) جذع : شاب . البصيرة : العقل والفطنة والحجة . القارح من ذى الحافر : ماشق نابه وطلع ، والمراد القوى .

(٢) لها : لنفسه . طارت شعاعا : تبددت من الخوف . ويحك ! رحمة لك منصوبة باضمار فعل . تراعى : تفزعى .

(٣) الأجل : غاية العمر .

(٤) مجال الموت : ميدانه .

(٥) الخنع : اللين ، وبالضم الذل . اليراع : الجبان .

(٦) داعى الموت : سببه من فناء العمر .

(٧) يعتبط يموت شابا . تسلم : تترك .

(٨) سقط المتاع : رديئه .

(١٥) قال عمرانُ بن حِطّان يرثى أبا بلال مِرداس ابن أُدَيّة من الخوارج : [١]

لقد زادَ الحياةَ إلىّ بُغْضًا ... وحُبًّا للخُروجِ أبُو بِلال [٢]

أحاذِرُ أن أموتَ على فِراشى ... وأرجُو الموتَ تحت ذُرَا العَوالى [٣]

ولو أنّى علِمتُ بأنّ حَتْفِى ... كحَتفِ أبى بلالٍ لم أُبال [٤]

فمَن يَكُ همُّهُ الدنيا فإنّى ... لها واللهِ ربِّ البيت قَالى [٥]

وقال فيه أيضا :

ياعينُ بَكِّى لِمرْدَاسٍ ومَصرَعِهِ ... يارَبَّ مِرداسٍ اجعلنِى كمِرداسِ [٦]

تركتَنِى هائمًا أبكى لِمَرزِئَتى ... فى منزلٍ مُوحِشٍ من بَعدِ إيناس [٧]

أنكرتُ بعدَك ما قد كنتُ أعرِفُهُ ... ما الناسُ بعدكَ يامِرداسُ بالناس [٨]

---

(١) نشأ عمران بن حطان السدوسى بالبصرة حيث تعلم وتأدب وأصبح شاعرا مجيدا صادقا فى شعره دينا وورعا . ثم اعتنق مذهب الشراة من الخوارج ، فطارده الحكام وأخذ يتنقل بين العراق والشام وعمان متخفيا حتى مات بالكوفة سنة ٨٩ هـ . ولشعره منزلة سامية لصدق الشعور وحسن الاداء وقوة العقيدة .

(٢) الخروج : الانضمام الى الخوارج فى القتال .

(٣) ذرا : جمع ذروة أعلى الشىء . العوالى : جمع عالية أعلى القناة .

(٤) الحتف : الموت .

(٥) قال : كاره .

(٦) المصرع : الطرح على الأرض بقصد قتله .

(٧) هائما : حائرا . المرزئة : المصيبة العظيمة .

(٨) أنكرت الشىء : أبغضته لأنه تغير الى حال سيئة .

إمّا شربْتَ بكأسٍ دارَ أوّلُها على القُرون فذاقُوا جُرْعةَ الكاس (١)

فكُلُّ من لم يَذُقها شاربٌ عجِلا منها بأنفاسِ وِرْدٍ بعدَ أنْفاسِ(٢)

(١٦) قال الطِّرِمّاح بن حَكِيم من الخوارج : (٣)

وأنى لَمُقتادٌ جَوادِى وقاذِفٌ به وبنفسِى العامَ إحدَى المقاذِفِ (٤)

لِأكسِبَ مالًا أوأَؤُولَ إلى غِنًى من اللهِ يَكفِينى عُداةَ الخَلائف (٥)

فيارَبِّ إن حَانت وَفاتى فلا تكُنْ علَى شَرْجَعٍ يُعْلَى بخُضرِ المطارِف (٦)

ولكن قَبْرِى بَطنُ نَسْرٍ مَقيلُه بجو السماءِ فى نُسورٍ عَواكِف (٧)

وأمسى شهيدا ثاوِيًا فى عِصابة يُصابُون فى فجٍّ منَ الأرض خائف (٨)

---

(١) جرعة : بلعة . إما مركبة من أن الشرطية وما الزائدة، والبيت التالى دليل الجواب أى فلا تحزن .

(٢) أنفاس : جمع نفس . الورد : الماء الذى يورد والمقصود الموت .

(٣) الطرماح بن حكيم الطائى شامىّ النشأة يجيد الفخر والمديح ، ورد الكوفة فى جيوش الشام ، واتصل بأحد الشراة من الخوارج ، فدعاه هذا الى مذهبه حتى اعتقده أشدّ اعتقاد وأصحه ومات خارجيا سنة ١٠٠ هـ .

(٤) مقتاد : قائد . قاذف : رام . المقاذف : الأماكن البعيدة .

(٥) أؤول : أصير . عداة : جمع عاد وهو العدوّ . الخلائف : جمع خليفة . وكان خلفاء بنى أمية حربا على الخوارج .

(٦) حانت : قربت . الشرجع : السرير أو النعش . المطارف : جمع مطرف : رداء من خز مربع ذو أعلام .

(٧) مقيله : موضع قيلولته . عكفت الطير حول القتيل : استدارت .

(٨) ثاويا : مقيا . العصابة : الجماعة من الرجال أو الخيل أو الطير . الفج : الطريق الواسع بين جبلين . خائف : واق أو مخوف .

فوارسُ من شَـيبانَ أَلّفَ بينهـمْ ... تُقَى اللهِ نَزّالون عنـــد التراجُف (١)
إذا فَارقُوا دُنيَاهُـمُ فَارَقوا الأذى ... وصَارُوا الى مِيعَادِ مَافى المصاحف (٢)

(١٧) وقال جَميــل : (٣)

أَبُثَينُ إنكِ قـــد ملكتِ فأسجِحى ... وخُذِى بحَظِّك من كَرِيم واصِـــل (٤)
فلَرُبَّ عَارضــةٍ علينَـا وصلَها ... بالجِـــد تَخْلِطُـــه بِقول الهـازل (٥)
فأجبتُهـا فى القـــولِ بَعـد تَستُّرٍ: ... حُبِّي بُثَينـةَ عن وِصالك شاغِلى (٦)
لوكَانَ فى صَدرِى كقدر قُلامـــةٍ ... فَضـــلًا وصلتُك أو أتتـــكِ رسائلى (٧)
ويَقُلنَ : إنكَ قـــد رَضِيتَ بباطِلٍ ... منهاَ، فهل لكَ فى اجتناب الباطل ؟
ولَباطلٌ ممن أُحِبُّ حديثَـــهُ ... أَشْهى الَىَّ من البغيض البـاذِل (٨)
لِيَزُلْنَ عنكِ هـــوایَ ثم يَصِـــلْنَنِى ... وإذا هَـــوِيتُ فما هـــوایَ بزائل
صـادتْ فؤادِى يابُثَـــيْنَ حِبَالُكُمْ ... يومَ الحُجُونِ وأخْطأَتْكِ حبائلى (٩)

---

(١) شيبان : قبيلة عدنانية من بكر بن وائل . التراجف : الاضطراب والخوف .

(٢) ميعاد ما فى المصاحف : الجنة التى وعد بها الله فى القرآن الذين اشترى أنفسهم .

(٣) هو جميل بن عبد الله بن معمر العذرى صاحب الغزل العفيف الرصين فى بثينة ابنة عمه لقى فى سبيل حبه العنف والنفى حتى التجأ أخيرا الى مصر و بها مات سنة ٨٢ هـ .

(٤) أسجحى : أحسنى العفو .

(٥) يقول : هناك من تعرض لوصلى محتالة فى ذلك تدارى صدق دعوتها بالهزل الظاهرى .

(٦) التستر : التخفى والستر .

(٧) القلامة ما يسقط من الظفر حين قصه . فضلا : بقية خالية من الحب .

(٨) البغيض : المكروه . الباذل : الواصل المنيل .

(٩) الحجون : موضع فى مكة رأى بثينة عنده .

مَنَّيْتِنِي فَلَوَيْتِ ما مَنَّيْتِنِي ... وجعلتِ عاجِلَ ما وعدتِ كآجِل[١]

وتَثَاقَلَتْ لما رأت كَلَفِي بها ... أَحْبِبْ إلَيَّ بذاكَ من مُتَثاقِل[٢]

وأَطَعْتِ فيَّ عواذِلًا فهجرتِني ... وعصيتُ فيكِ ـ وقد جهدْنَ ـ عَواذلي[٣]

حاوَلْنَني لأبُتَّ حبلَ وِصالِكم ... مِنِّي، ولستُ ـ وإن جَهَدْنَ ـ بِفاعِل

فرددتُهنَّ، وقد سَعَيْنَ بهجرِكم ... لما سعينَ له بأَفوَقِ ناضِل[٤]

يَعْضَضْنَ من غَيظٍ عليَّ أناملا ... ووددتُ لو يَعْضَضْنَ صُمَّ جنادِل[٥]

ويَقُلْنَ : إنكِ يا بُثَينَ بخيلةٌ ... نَفْسِي فداؤُكِ من ضَنِينٍ باخِل

(١٨) قال عمرُ بن أبي ربيعة[٦] :

لَيْتَ هِنْدًا أنجزَتنا ما تَعِدْ ... وشَفَتْ أنفسَنا مِمَّا نَجِدْ[٧]

واستبدَّت مَرَّةً واحِدةً ... إنَّما العاجِزُ من لا يستَبِد

زَعَمُوهَا سألت جارَتَها ، ... وتَعَرَّتْ ذات يومٍ تَبْتَرِد :[٨]

---

(١) منّى : وعد وأطمع . لويت : مطلت . سوّيت بين وصل عاجل وآخر آجل فى المماطلة والمنع .

(٢) تثاقلت : تدللت وتمنعت . أحبب الى بذاك أى ما أحبه الى نفسى مدلا .

(٣) جهدن : تعبن كثيرا فى صدى عنك ولومى فى حبى إياك .

(٤) الأفوق : السهم الذى انكسر فوقه ، أى رأسه . الناضل : المزيل المتعب .

(٥) الجنادل : جمع جندلة وهى الحجر . الصم : جمع أصم الصلب .

(٦) نشأ أبو الخطاب عمر بن أبي ربيعة القرشى بالمدينة فى بيت مجد وشرف متأثرا بالطبيعة الحجازية الرقيقة وبعوامل سياسية واقتصادية أنضجت الغزل والغناء بالحجاز فكان هـذا الشاعر غزلا زعيم الغزلين وقد مات سنة ٩٣ هـ .

(٧) أنجزتنا ما تعد : وفت بوعدها . مما نجد : أى من الوجد .

(٨) تبترد : تصب الماء البارد على رأسها .

أكما ينعتُـــنِى تُبصرنَنِى ؟ عَمرَكُنَّ اللهَ ! أم لا يقْتَصِـد ! (١)

فَتَضاحَكْنَ، وقـد قُلْنَ لَهـا : حَسَنٌ فى كُلِّ عَينٍ من تَوَدّ ! (٢)

حَسَـدًا حُمِّلنَــه من شأنهـا وقديمًـا كانَ فى الناس الحسـد

غادةٌ تَفْـــتَرُّ عن أشنَبِهـا حينَ تجـلُوه أقاحٍ أو بَرَد (٣)

ولَهـا عينَـانِ فى طرفَيْهـِــمَا حَوَرٌ مِنها، وفى الجيـــد غَيَـد (٤)

قلتُ: مَن أنتِ؟ فقالت: أنا مَنْ شَــفَّهُ الوجدُ، وأبلاهُ الكَمَـد (٥)

نحنُ أهلُ الخَيْف من أهل مِنًى ما لمقتـــول قتلنـاهُ قَـوَد (٦)

قلتُ : أهـلًا ! أنتمُ بُغيَتُنـا ، فَتَسمَّيْنَ ! فقالَتْ : أنا هِنـد! (٧)

إنّمـا ضَـلَّل قَلبِى فاحتَـــوى صَـــعْدَةً فى سَابِرِىٍّ تطَّـرِد (٨)

إنمـا أهـلُكِ جِيرانٌ لَنـا إنمـا نحنُ وهم شَىءٌ أَحـد (٩)

---

(١) ينعتنى : يصفنى ، عمركن الله : أى أذكركن الله . يقتصد : يعتدل ؛ فلا يبالغ .

(٢) أى أن من تحبه تعتقد أنه حسن لدى جميع الناس .

(٣) الغادة : المرأة اللينة . تفتر : تظهر . الأشنب : الفم فى أســنانه ماء ورقة وعذوبة . تجلوه تكشف . الأقاحى : جمع أقحــوان البابونج البرى من نبات الربيع له نور أبيض . البرد : ماء الغمام يسقط جامدا .

(٤) الحور : شدة سواد العين مع شدة بياضها . الجيد : العنق . غيد : نعومة .

(٥) شفه الوجد : أهزله الحب . الكمد : الحزن الشديد .

(٦) الخيف : ناحية من منى عند مكة . القود : القصاص .

(٧) بغيتنا : مطلبنا .

(٨) ضلل : صار ضالا لا يهتدى . احتوى : اشتمل . الصعدة : القناة تنبت مستقيمة لا تحتاج الى مثقف ، شبه بها محبوبته فى اعتدال قدها . السابرى : الثوب الرقيق الجيد . تطرد : تمشى مستقيمة .

(٩) شىء أحد : أى شىء واحد .

حَـــدَّثُونا أنهـا لى نفثتْ عُقَدًا، يا حبَّـذا تلك العُقَد ! (١)

كُلَّمـا قلتُ : متى ميعادُنا ؟ ضحِكتْ هندٌ، وقالتْ: بعد غد!

(١٩) قال الأحوصُ يمدح عبدَ العزيزِ بنَ مروانَ : (٢)

أقولُ بِعَمَّانٍ، وهـل طَـربِى به الى أهلِ سَلْعٍ إن تشوقْتُ نافِـعُ؟ (٣)

أَصاحِ ألم تَحزُنْكَ ريحٌ مَريضَــةٌ وبَرْقٌ تلالا بالعَقِيقَيْنِ لَامِـعُ (٤)

فإنَّ الغَريبَ الدارِ ممـا يَشـوقُه نَســيمُ الرياحِ والبروقُ اللوامـعُ (٥)

نظرتُ على فَوت ، وأوْفَى عشيةً بِنَا مَنظَرٌ من حِصن عَمَّـانَ يافع (٦)

وَلِلْعَيْنِ أسْرابٌ تَفيضُ كأنمـا تُعَلّ بِكُحلِ الصَّاب مِنها المَدامِـعُ (٧)

---

(١) نفثت عقدا : سحرتنى ، والنفث : النفخ ، والعقد تكون من خيوط وينفث فيها قصد السحر .

(٢) هو عبد الله بن محمد الأوسى من شعراء الغزل المجيدين نشأ متأثرا بالبيئة الحجازية كسائر الغزلين ، وامتاز بعصبية يمانية حملتـه على هجاء قريش الحاكمين ، ودعاه سخطه الى الاسراف فى اللهو والنيـل من الأشراف والاسفاف فى المجون حتى عذبه الخلفاء ونفوه الى دهلك : بجزيرة أمام مصوّع . وقد مات سنة ١٠٥ هـ .

(٣) عمان : بلد بالشام . سلع : جبل بالمدينة .

(٤) هـذا البيت مفعول أقول . ريح مريضة : هواء عليل . العقيقان : مثنى العقيق : موضع بالمدينة وبالطائف وغيرهما .

(٥) يشوقه : يهيجه .

(٦) فوت : بعد، وهو على فوت كذا : حيث يراه ولا يصل اليه . أوفى : أشرف . عشية : آخر النهار . يافع : عال أى أشرفنا عشية من مكان عال بعمان لأنظر ديار الأحبة .

(٧) أسراب : جمع سرب دمع . تعل : تسق أو تكحل مرة بعد مرة . الصاب : شجر مر أو عصارته ، المفرد : صابة . والبيت فى موضع الحال .

لِأُبصِرَ أحيـاءً بِخَاخٍ تضَمَّنَتْ مَنَازِلَهـم منهـا التِلاعُ الدَّوافِـعُ (١)

فأبدتْ كثيرًا نظرَتِى من صَبابتى وأكْثَرُ منهـا مَا تُجِنُّ الأضَالِـع (٢)

وكيفَ اشتياقُ المرء يبكى صَـبابةً الى من نأى عَن دارِه ، وهو طائع (٣)

لعمرُ ابنـةِ الزَيْدىّ إنّ اذّكارَها على كـلِّ حالٍ للفؤادِ لرائع (٤)

وأنى لِذِكـرَاها علَى كُلِّ حالةٍ من الغَور أو جَلْسِ البِلادِ لنازع (٥)

لقد كُنتُ أبكى، والنوَى مُطمئنّةٌ بنا وبكُمْ من عِلمِ ما البَينُ صَانِـع (٦)

وقد ثَبَتَتْ فى الصَّدرِ منهـا مَودَّةٌ كما ثبَتَتْ فى الراحَتَيْن الأصابع (٧)

أهمّ لِأنسى ذكرَها فيشُــوقُنى رِفاقٌ الى أهلِ الحجـازِ نَوازع (٨)

وإنا عَدَانا عن بلاد نُحبها إمامٌ دعَانا نفعُــه المتَابِـع (٩)

(١) لأبصر متعلق بنظرت السابقة . أحياء : جمع حى : القوم . خاخ موضع بين الحرمين و يقال روضة خاخ عند المدينة . التلاع : جمع تلعة : ما علا أو هبط من الأرض . الدوافع : أسافل الأرض السهلة حيث يجتمع المطر . تضمنت : اشتملت .

(٢) الصبابة : الشوق . تجن : تستر .

(٣) أى كيف يشتاق المرء و يبكى شوقا الى أناس رحل عنهم طائعا مختارا ؟ استفهام تعجبى .

(٤) إذّكارها : تذكرها . رائع : معجب .

(٥) الغور : منخفض بين القدس وحوران . جلس البلاد : نجد . نازع : مشتاق .

(٦) مطمئنة : ساكنة لم تفرّقنا بعد ، لعلمى ما سوف تصنعه من بعادنا .

(٧) الراحة : باطن اليد .

(٨) أهم : أريد .

(٩) عدانا : صرفنا . المتابع : المتوالى .

أغرُّ لمروانٍ وحربٍ كأنهُ حُسامٌ جلت عنهُ الصَّياقلُ قاطعُ (١)
هو القَرعُ من عَبدَىْ مَنافٍ كِلَيهما إليه انتهت أحسابُها والدَّسائعُ (٢)
وكلُّ غَنِيٍّ قانعٌ بفَعالِهِ وكلُّ عزيزٍ عنـده متواضعُ (٣)

(ج) النـــثر

(١) من آثار النبي عليه الصلاة والسلام : (٤)

كتب الى خالد بن الوليد (٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمدٍ رسولِ الله الى خالدِ بنِ الوَليد، سلامٌ عليكَ، فإنى أَحمدُ اليكَ الله الذى لا إلهَ إلاّ هُوَ (٦) (أمّا بعـدُ) فإنَّ كِتابكَ جاءَنى مع رَسُولِك يُخـبرُنى أنَّ بنِى الحارث بنِ

(١) الأغر : السيد الشريف . مروان : أبو الممدوح، وحرب جده الأعلى . الحسام : السيف . جلت عنه : صقلته . الصياقل : جمع صيقل وهو شحاذ السيوف وجلاؤها .

(٢) عبدا مناف : بطنان من قصى وكلاب . الدسائع : جمع دسيعة العطية العظيمة والجفنة والمائدة الكريمة . الأحساب : جمع حسب وهو الشرف . (٣) الفعال بفتح الفاء : الفعل الحسن أو الكرم .

(٤) هو نبينا محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم القرشى العدنانى رسول الشريعة الاسلامية وزعيم النهضة العربية ولد عليه السلام عام الفيل بمكة يتيما ونشأ نشأة طاهرة نبيلة متأدبا بالأدب القرشى الهاشمى، يمثل أكرم خلق وأشرف سيرة . فلما بلغ الأربعين أرسله الله بالاسلام الى الناس كافة وأيده بالقرآن الكريم فلق فى نشره قبل الهجرة و بعدها ما يلق مثله مبعوث فى بيئة جاهلية وفترة مظلمة حتى دان له العرب قبيل وفاته، وحتى أعدهم لتكوين هذه الدولة الاسلامية العظيمة ونشر هذا الدين القويم . وقد توفى وله من العمر ٦٣ سنة .

(٥) خالد بن الوليـد أحد قواد الاسلام النابهين، أرسله الرسول عليه السلام سنة عشر هجرية الى بنى الحارث بن كعب بنجران وأمره أن يدعوهم الى الاسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثا فان استجابوا وإلا قاتلهم . فلما أسلم الناس كتب الى الرسول بذلك . فأرسل اليه هذه الرسالة التى نشرحها .

(٦) أحمد اليك الله : أشكره معك أو لأجل نعمته عليك .

كعب قد أسلمُوا قبلَ أن تُقاتِلَهُمْ ، وأجابوا الى ما دَعَوْتَهمْ اليه من الإسلام ، وشَهِدوا أن لا إلهَ إلا اللهُ وأن محمدا عبدُه ورسولُه ، وأنْ قَدْ هداهُمُ اللهُ بهُداه . فبَشِّرْهمْ، وأَنْذِرْهُمْ(١) . وأقبِلْ ، وليُقبِل معك وفْدُهُمْ . والسلام عليكَ ورحمةُ الله وبركاتُه !

أوّل خطبة خطبها بمكة حينَ دعا قومه الى الاسلام

قال بعد أن حمِدَ اللهَ وأثنَى عليه :

إنَّ الرَّائِدَ(٢) لا يَكْذِبُ أَهْلَهُ ، واللهِ لو كَذَبْتُ النَّاسَ ما كَذَبْتُكُمْ ، ولَو غَرَرْتُ النَّاسَ ما غَرَرْتُكُمْ(٣) ، واللهِ الّذِى لا إلهَ إلَّا هوَ إنِّى رسُول اللهِ إليكُمْ حَقًّا ، وإلَى النَّاس كَافَّةً . واللهِ لَتَمُوتُنَّ كما تَنَامُونَ ، وَلَتُبعثُنَّ كما تَسْتَيْقِظُونَ ، ولَتُحَاسَبُنَّ بما تَعْمَلُونَ ، ولَتُجْزَوُنَّ بالإحسَانِ إحسانًا وبالسُّوءِ سُوءًا وإنَّها لَلْجَنَّةُ أبدًا ، أو النارُ أبدًا ، وإنكم لَأَوَّلُ من انذِرَ بينَ يدَى عَذَاب شَديد .

ومن أحاديثه عليه السلام :

لا يُؤمِنُ أحدُكُمْ حتى يُحِبَّ لأخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنفْسِه(٤) .

المُسْلِمُ مَنْ سلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لسانِه ويَدِه(٥) ، والمؤمن من أمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وأمْوَالِهِمْ .

---

(١) بشرهم : أخبرهم بثواب أعمالهم الخيرية . أنذرهم : خوفهم نتائج الشر .

(٢) الرائد : الذى يبعثه قومه ليبحث لهم عن مكان صالح ينزلون فيه .

(٣) غررت الناس : خدعتهم غشا .

(٤) أى لا يكمل إيمان الشخص الا بذلك .

(٥) أى من شر قوله وعمله .

مَن لا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ[(١)] .

لا حَسَدَ إلا فى اثْنَتَين : رجلٍ آتاهُ اللهُ الحكمةَ ؛ فهو يَقْضِى بها ويُعَلِّمُها ، ورجل آتاه الله مالًا ؛ فسَلَّطَهُ على هَلَكتِه فِى الحَقِّ .

يَهْرَمُ ابْنُ آدَم ويَشُبُّ فيه اثْنَتَان : الحِرْصُ على المَالِ ، والحرصِ على العُمُر .

إن مِنْ أَحبِّكُمْ إلىّ وأَقْرَبِكُمْ منى مَجْلِسًا يومَ القيامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخلاقًا ، وإن أَبْغَضَكُمْ إلىّ وأبعدَكُمْ مِنِّى مَجْلِسًا يَومَ القيامَةِ الثَّرْثَارُونَ والمُتَشَدِّقُونَ[(٢)] والمُتَفَيْهِقُونَ . قالوا يا رسول الله : ما المُتَفَيهِقُونَ؟ قال : المتكَبِّرونَ .

كُلُّكُم راعٍ ، وكُلُّكُمْ مسئولٌ عن رعيّتِه ؛ فالإمَامُ رَاعٍ ومسئولٌ عن رعيّتِه ، والرجلُ راعٍ فى أهلِهِ ، وهو مسئول عن رعِيَّته ، والمرأة فى بَيتِ زوجها راعِيَةٌ وهى مَسْئُولَةٌ عن رَعيّتها ، والخادمُ فى مالِ سيِّده راعٍ وهو مسئُولٌ عن رَعيّته .

بينَما رجلٌ يَمْشِى بِطريقٍ اشتدَّ عليه العَطَشُ ، فوجدَ بِئْرًا فنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ ثم خرج ، وإذَا كلبٌ يَلْهَثُ[(٣)] يأكل الثَّرَى من العطش ! فقال الرجل : لقد بلغ هذَا الكلبَ من العطشِ مثلُ الذى كانَ بَلَغ مِنِّى . فَنَزَلَ البِئْرَ ، فملأ خُفَّهُ ماءً ثم أَمْسَكَهُ بفِيهِ حتى رَقِىَ ، فسَقَى الكلبَ فشكر الله تعالى لَهُ فغفر لَهُ !

مَن يُحرَمِ الرِّفقَ يُحرَمِ الخَيْرَ كُلَّه .

---

(١) أى من لا يشكر الناس على المعروف فكأنه لم يشكر الله تعالى عليه لأن الناس وسيلة الخير إليه .

(٢) الثرثار : الذى يكثر الكلام تكلفا وتجاوزا وخروجا عن الحق ، المتشدق الذى يلوى شدقه تفطنا .

(٣) يلهث : يخرج لسانه من التنفس الشديد عطشا أو إعياء .

خَيْرُ الصَّدَقةِ ما كان عن ظَهْرِ غِنًى . وابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ .

إذا كانُوا ثلاثةً[1] فلا يَتَنَاجَى[2] اثْنَانِ دُونَ الثَّالِث ، فإن ذَلِكَ يُحْزِنُه .

القُضاةُ ثلاثةٌ : واحدٌ فى الجنةِ ، واثنَانِ فى النَّـارِ ، فأمّا الذى فى الجنة فرجلٌ عَرَفَ الحق فقَضَى به ، ورجلٌ عَرَفَ الحَقّ وَجَار فى الحُكْم فهو فى النـار ، ورَجُلٌ قضى للنّاسِ على جَهْلٍ فَهُو فى النار .

لأن يأخُذَ أحدُكُمْ احبْلَه ، ثم يأتِىَ الجَبَلَ ، فيأتى بِحُزْمَةٍ على ظَهْرِهِ فيبيعَها خَيْرٌ لَهُ من أن يَسْأَلَ الناس : أَعْطَوْهُ أو مَنَعُوه .

(٢) نموذج من كلام أبى بكر الصديق :[3]

لَمّـا تُوُفِّىَ الرسول عليه السلام واضطرب الناس خطبهم فقال :

أيهـا النّاسُ مَن كان يعبُد محمّدا فإن محمّدا قد ماتَ ، ومَن كان يعبُد الله فإن اللّهَ حىٌّ لا يموتُ ، وإن الله قَد تَقَدَّم إلَيكُمْ فى أَمْرِه[4] فلا تدعوهُ جَزَعا ، وإن اللّهَ قد اختار لنَبِيِّهِ ما عندَه علىَ ما عِندَكُم ، وقَبضَهُ إلى ثَوَابِه ، وخَلّفَ فيكم كتابه وسُنّةَ نَبِيِّهِ ؛ فمن أخذ بهما عَرَفَ ، ومن فرق بينهما أنكَرَ . يأيّهـا الّذِينَ آمنوا كُونُوا قَوّامِينَ بِالقسط[5]

---

(١) أى الجمع أو الجلوس .

(٢) يتناجى : يتسار .

(٣) هو عبد الله بن أبى قحافة القرشى نشأ عالمـا كريمـا حليما وكان أسبق الرجال إسلاما وأشدهم بلاء فى نصرة رسول الله وولى شئون المسلمين بعد الرسول فساسهم بحكمة ولين حتى توفى سنة ١٣ هـ .

(٤) أظهركم على نهايته بوفاته فلا تعرضوا عن قضاء الله جزعا .

(٥) القسط : العدل .

ولا يَشْغَلَنَّكُمُ الشيطانُ بموت نبيِّكم ، ولا يَفْتِنَنَّكُمْ عَنْ دينِكُمْ ، فعَاجلوه بالذى تُعْجِزُونَه ولا تَسْتَنْظِرُوه[1] فيَلْحَقَ بكم .

خطبة له أخرى :

وقد جاء مال من البَحْرَيْن سَاوَى فيه بين الناس فغضِب الأنصار[2] .

فَحمِد الله وأثنَى عليه وصلَّى على النَّبي صلى الله عليه وسلم ثمّ قال :

يا معشرَ الأنصار إن شئتُمْ أن تقولوا : إنا آويْنَا كُمْ فى ظلالنا ، وشاطَرْناكم فى أموالِنَا ، ونصرناكم بأنفسنا قلتم ، وأن لكم من الفضل ما لا يُحصيه العدُّ وإن طَالَ به الأَمَدُ ، فنحنُ وأنتم كما قال طُفَيْل الغَنَوىُّ[3] :

جَزَى اللهُ عَنَّا جَعْفَرًا حِينَ أَزْلَقَتْ ... بِنَا نَعْلُنَا فى الوَاطِئِينَ فَزَلَّتِ[4]

أَبَوْا أَنْ يَمَلُّونَا ، وَلَوْ أَنَّ أُمَّنَا ... تُلاقِى الذى يَلْقَوْنَ مِنَّا لَمَلَّتِ

هُمُ أَسْكَنُونَا فى ظِلَالِ بُيُوتِهِمْ ... ظِلَالِ بُيُوتٍ أَدْفَأَتْ وأَظَلَّتِ

(٣) من كلام عمر بن الخطاب[5] . خطبته إذ ولى الخلافة :

صعِد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

يأيها النَّاسُ إنى داعٍ فأمِّنوا ، اللَّهُمَّ إنى غَليظ فَلَيِّنِّى لأهل طَاعَتِكَ بموافقة الحق ابتِغَاءَ وَجْهِك والدارِ الآخرة ، وارزقنى الغلظةَ والشِّدة على أعْدَائِك وأهْلِ الدَّعَارَة[6]

(١) لا تستنظروه : أى لا تتأنوا عليه بل عاجلوه باعتزام الخير ونفاذه . (٢) الأنصار : الذين نصروا الرسول بعد الهجرة الى المدينة وأكثرهم من الأوس والخزرج ، ويقابلهم المهاجرون الذين يحدّث أبو بكر بلسانهم . (٣) شاعر جاهلى من قيس . (٤) كناية عن الحاجة وسوء الحال .

(٥) عمر بن الخطاب القرشى ثانى الخلفاء الراشدين كان فى الجاهلية زعيما شجاعا أسلم وخلف أبا بكر على شئون المسلمين فكان مثال الحزم والصرامة وقتل سنة ٢٣ هـ . (٦) الخبث والفسق والشر .

والنِّفاقِ من غير ظُلْمٍ مِنِّى لهم ولا اعْتِدَاءٍ عليهم ، اللهم انى شَحِيحٌ فَسَخِّنِي فى نَوائب المعروف قصــدًا مِنْ غير سَرَفٍ ولا رِياء ولا سُمعة ، واجعَلْنِي أبتغِى بذلك وجهَكَ والدارَ الآخرة ، اللهم ارزقنى خَفْضَ الجناح(١) ولِينَ الجانب للمؤمنين ، اللهــم إنى كثير الغفلة والنسيانِ ، فألْهِمْنِي ذِكْرَكَ على كُل حال ، وذِكْرَ الموت فى كل حين ، اللهــم إنى ضَعيفٌ عِندَ العمل بطاعَتك فارزُقْنى النشاطَ فيها والقوّة عليها .

(٤) من كلام عثمان خطبته حين بويع : (٢)

الحمد لله ، أيهـا النّاسُ اتّقُوا الله فإنّ الدنيا كما أخبرَ الله عنها لَعِبٌ ولهوٌ وزينَةٌ وتَفَاخُرٌ ، فخيرُ العبــاد فيها من عَصَمَ واستعصم(٣) بالله وبكتابه ، وقد وُكِلْتُ مِن أمركم بعظِيم لا أرجو العونَ عليه إلاّ مِن اللهِ ، ولا يُوَفِّقُ للخير إلاّ هُوَ . وما توفيق إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب(٤) .

وخطب وهو محصور فقال :

أيها الناسُ ! إنّ عمرَ بنَ الخطّاب صَيرّ هذا الأمرَ شُورىٰ فى سِتّةٍ تُوفّى رسولُ الله صلى الله عليه وسـلم وهو عنهم راضٍ . فاختارونى وأجمعوا علىّ ولم آلُ عن العمل

---

(١) خفض الجناح : التواضع واللين .

(٢) هو عثمان بن عفان الأموى القرشى كان من أسبق الناس إلى الاسلام ومعونة مجاهديه ولى الخلافة بعد عمر وقتل بعد أن حوصر سنة ٣٥ هـ .

(٣) استعصم : تحصن وذلك باتباع الدين وعصم نفسه حصنها من الإثم .

(٤) أنيب : أرجع .

بالحق . وما توفيقِي إلا بالله ، وما أعلم أن لى ذنبـا أكثرَ من طُول ولايتى عليكم ، ولعل بعضَكم أن يقولَ ليس كأبى بكر وعمـر ، أَجَلْ أَجَلْ لَسْتُ كهما ، والأشـياءُ أشباه قَريبٌ بعضها من بعضٍ ، وقد زَعمتُمْ أنكُمْ تخلعوننى فلا دُونَ أن تعرُّونِى[1] بأمرٍ لا يُحِلُّ لى إلا خَلْعَها من عُنُقِى ، وأما العتبى فلكم ، ونِعْمَتِ العُتْبَى .

(٥) خطب على بن أبى طالب[2] فى استنفار الناس إلى أهل الشام فقال :

أُفٍّ لكم ! لقد سئمتُ عتابَكم ، أَرضيتم بالحياةِ الدنيا من الآخرة عِوَضا ، وبالذُّلِّ عن العِزِّ خَلَفًا . واذا دعوتكم إلى جهاد عدوكم دَارَتْ أعينُكُمْ كأنكم مِنَ الموت فى غَمْرةٍ ، ومن الذهول فى سَكْرةٍ . يُرْتَجُ عليكم حِوَارِى فتعمَهُونَ[3] ؛ فكأنَّ قُلوبكم مألُوسَةٌ[4] ؛ فأنتم لا تَعقِلُون . ما أنتم لى بِثِقَةٍ سَجِيسَ الليالى[5] ، ولا زَوَافِرُ[6] عِزٍّ يُفْتَقَرُ اليكم . وما أنتم إلا كإبلٍ ضَلَّ رُعَاتُها ، فكلما جُمِعَتْ من جانب انْتَشَرَتْ من آخر ، لَبِئْس لعمر الله سُعْرُ[7] نَارِ الحرب أنتم ، تُكادُون ولَا تَكِيدُون ، وتُنْتَقَصُ أطرافُكم فلا تَمتعِضُون ، لا يُنَـامُ عنكم وأنتم فى غفـلةٍ ساهون ، غُلِبَ والله المتخاذلون . وأيْمُ الله إنى لأظُنُّ بِكم أن

---

(١) تعرونى : تلحقون بى شرا فعله من عزه أساءه أو لطخه بالشر .

(٢) ولد على بن أبى طالب قبيل البعثة ونشأ فى الاسلام وشب شجاعا بليغا فانيا فى نصرة الدين . ولما قتل عثمان بايعه الناس بالحجاز ولكن معاوية بن أبى سـفيان وأهل الشام نازعوه الحكم وتحاربت الطائفتان مدة حتى قتل على غيلة سنة ٤٠ هـ .

(٣) يرتج عليكم : يغلق فلا تهتدون لفهمه . حوارى : محاورتى .

(٤) مألوسة مخلوطة .

(٥) سجيس الليالى : طول الليالى أى أبدا .

(٦) الزوافر : جمع زافرة : عشيرة الرجل أو ركن البناء .

(٧) السعر هنا : الوقود من سعر النار أوقدها .

لو حَمِسَ الوغى[1] واستَحَرَّ الموت قد انفرجتم عن ابن أبي طالب انفراجَ الرأس[2] .
والله أن امرأً يُمَكِّنُ عدوَّه من نفســه، يَعْرُق لحمــه[3]، ويهشم عَظْمَهُ، ويَفْرِى جِلْدَهُ
لعظيمٌ عَجْزُه، ضعيفٌ ما ضُمَّتْ عليه جَوَانِحُ صَدْرِه[4] . أنْتَ فكُنْ ذاكَ إنْ شئتَ، فأما
أنَا فوالله دُونَ أن أُعطِىَ ذلك ضَرْبٌ بالمَشْرفيَّةِ يطير منه فَرَاشُ الهَامِ[5]، وتطيحُ
السَّواعدُ والأَقْدَامُ ، ويفعل اللهُ بعد ذلك ما يشاءُ . أيها الناس انَّ لى عليكُمْ حقا ،
ولكم علىَّ حق . فأما حقكم علىَّ فالنصيحةُ لكُمْ، وتوفيرُ فَيْئِكُمْ[6] عليكم ، وتَعْلِيمُكم كَىْ
لاتجهلوا، وتأديبكم كيما تعملوا، وأما حق عليكم فالوفاءُ بالبيعــة والنصيحة فى المشهد
والمغيب والإجابة حين أَدعوكم والطاعة حين آمركم .

ومن كتاب له إلى بَعضِ عماله يلومه :

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعدُ، فإنى كنتُ أشْرَكْتُكَ فى أَمَانتِى وجَعلتُك شِعارى وبِطَانَتِى[7]،ولم يكن رجلٌ
من أهلى أوثقَ منكَ فى نفسى لمواساتى وموازرتى[8] وأداء الأمانة إلىَّ . فلمــا رأيتَ

(١) حمس الوغى : اشتدت الحرب . استحر : بلغ غاية شدته .

(٢) أى انفراجا لا يلتئم .

(٣) أى يأكل لحمه لا يبقى منه شيئا على العظم ، ويفرى : يمزق .

(٤) جوانح الصدر : ضلوعه ، والمراد القلب .

(٥) المشرفية : السيوف تنسب الى قرى تدنو من الريف (مشارف الشام) الهام . الرؤس : جمع هامة وفراشها عظامها الرقيقة .

(٦) الفىء : الخراج وما يحويه بيت المال .

(٧) الشعار : ما يمس الجسد من اللباس وبطانة الثوب خلاف ظهارته ، والمراد جعلتك من خاصتى .

(٨) الموازرة : المناصرة .

الزمان عَلَى ابن عمك قد كَلِبَ (١) ، والعدوّ قد حرِب ، وأمانة الناس قد خَزِيَتْ وهـذه الأمة قد فَتَكَتْ وشـغرت (٢) قلبت لابْن عمّـك ظَهْرَ الْمِجَن (٣) ، ففارقته مع المفارقين ، وخذلته مع الخاذلين ، وخُنته مع الخائنين ، فلا ابنَ عمك آسَيْتَ ، ولا الأمانة أدّيت . وكأنك لم تكن اللهَ تريدُ بجهـادك ، وكأنكَ لم تكن على بيّنة من ربّكَ وكأنك إنما كنت تَكِيدُ (٤) هذه الأمّة عن دنياهم ، وتنْوى غِرّتهم (٥) عَنْ فيئهمْ . فلما أمكنَتْكَ الشّدّةُ فى خيانة الأمة أسْرَعْتَ الكرة وعَاجَلْتَ الوثْبَـةَ ، واختطفت ما قدرتَ عليـه من أموالهم المصـونة لأراملهـم وأيتَامِهِمْ ، واختطفْتَ اختطافَ الذئب الأزَلّ دَامِيَـةَ المِعْزَى الكَسيرَةِ فحَمَلْتَهُ الى الحجـاز رَحيبَ الصّـدْرِ (٦) بحَمْلِهِ غيرَ متأثّم (٧) من أخذه كأنك — لا أبا لغيرك (٨) — حَدَرْتَ الى أهلك تُرَاثًا منْ أبيكَ وأمك . فسبحانَ اللهِ ! أمَا تُؤْمِنُ بالمعاد ، أو مَا تخافُ نِقَاشَ (٩) الحساب أيها المعـدود كان (١٠) عندنا من ذوى الألباب . كيف تُسِيغُ (١١) شرابًا وطَعَامًا وأنت تعلم أنك تأكل حراما وتشربُ حراما .

---

(١) كلب : كفرح : اشتدّ وخشن ، وحرب : اشتدّ غضبه ، وخزيت : فسدت .

(٢) فتكت الجارية : مجنت ومجون الأمة أخذها بغير الحزم ومعنى شغرت خلت من الحماة .

(٣) المجن : الترس يكون ظهره جهة العدوّ فى الحرب ، وهذا مثل يضرب للغادر .

(٤) كاده عن الأمر : خدعه حتى ناله منه .

(٥) الغرة : الغفلة ، والفىء : مال الغنيمة والخراج .

(٦) الأزل : السريع الجرى ، والداميـة : المجروحة ، والكسيرة : المكسورة ، والمعزى : أخت الضأن اسم جنس كالمعز والمعيز . (٧) التأثم : التحرز من الاثم بمعنى الذنب .

(٨) لا أبا لغـيرك : توبيخ لطيف وأصـلها لا أبا لك المستعملة فى الذم غالبا ، ومعنى حدرت الى أهلك : أسرعت اليهم بتراث أى بميراث . (٩) النقاش : المناقشة بمعنى الاستقصاء فى الحساب .

(١٠) كان هنا زائدة لافادة معنى المضى فقط . (١١) ساغ الشراب : بلعه سهلا .

(٦) خطب معاويةُ حين قدم المدينة عام الجماعة : [١]

حمد اللهَ وأثنى عليه ثم قال :

أما بعدُ، فإنّى واللهِ ما وليتُها[٢] بمحبّةٍ علمتها منكم ، ولا مَسرةٍ بولايتِى ، ولكنّى جالدتُكم[٣] بسيفِى هذا مُجالدةً، ولقد رُضْتُ[٤] لكم نفسِى على عَمل ابن أبى قُحافة[٥]، وأردتها على عمل عمر، فنفرت من ذلك نِفارا شديدا، وأردتُها على سُنَيّات عثمان فأبت علىّ ، فسلكتُ بها طريقًا لى ولكم فيه مَنفعةٌ : مؤاكلةٌ حسنة ومُشاربة جميلة . فإن] لم تجدونى خيركم فإنى خيرٌ لكم ولايةً ، والله لا أحمِل السيفَ على مَن لا سيفَ له ، وإن لم يكنْ منكم إلا ما يَستشفِى[٦] به القائلُ بلسانه فقد جعلتُ ذلك له دَبْرَ[٧] أذنى، وتحتَ قدمى، وإن لم تجدُونى أقومُ بحقكم كلّه فاقبلوا مِنّى بعضَه ، فإن أتاكم منى خيرٌ فاقبلُوه، فإن السيلَ إذا جاء أثْرَى، وان قلَّ أغنى[٨]، وإيّاكم والفتنةَ؛ فإنها تُفسد المعيشةَ وتكدِّر النعمة .

---

(١) هو معاوية بن أبى سفيان بن حرب الأموى القرشى ، ولد عند ظهور الاسلام وأسلم عام الفتح، وورث عن آله الدهاء وسداد الفكر . نازع عليا الخلافة حتى غلبه عليها . وأقام الدولة الأموية ، ثم صالح عليها الحسن بن على عام ٤١ هـ . وهو المسمى عام الجماعة . وكانت وفاته سنة ٦٠ هـ .

(٢) الضمير فى وليتها يعود على الخلافة المفهومة من قرائن الأحوال .

(٣) جالد بالسيف : ضارب به .

(٤) ذللتها وطوّعتها .

(٥) هو أبو بكر .

(٦) يستشفى : يزيل غيظه .

(٧) دبر : خلف أى أطرحه .

(٨) أثرى الناس : جعلهم مثرين، وأغناهم : جعلهم يكتفون .

(٧) من خطبة زياد بالبصرة[١]

أمّا بعدُ، فإنّ الجَهالةَ الجَهْلاءَ[٢] والضَّلالَةَ العَمياءَ[٣]، والغيّ الموفِي بأهلِه على النارِ، ما فيه سُفَهاؤُكم[٤]، ويشتَمِل عليه حكماؤُكم[٥]: من الأُمور العظامِ ينبُت فيها الصغيرُ، ولا يتحاشَى عنها الكبيرُ، كأنكم لم تقرءُوا كتابَ اللهِ، ولم تسمعُوا ما أعد اللهُ من الثواب الكريم لأهل طاعتهِ، والعذاب الأليم لأهل معْصِيَتِهِ في الزمنِ السَّرْمدِي[٦] الذى لا يزول. أتكونونَ كَمَن طرفَتْ عينَيْه الدنيا[٧]، وسدَّتْ مسامعَه الشهواتُ[٨]، واختار الفانيَة على الباقيةِ، ولا تذكرون أنكم أحدثتم في الإسلام الحدثَ الذى لم تُسبَقُوا اليه: من تركِكم الضعيفَ يُقهرُ ويؤخذ ماله.

⁂

إنى رأيت آخر هذا الأمرِ[٩] لا يصلُح إلا بما صَلَح به أوّله: لِينٌ في غير ضَعفٍ، وشِدةٌ في غير عُنْف، وإنى أُقسم بالله لآخذَنَّ الوَلِيَّ بالمَوْلَى[١٠]، والمقيمَ بالظاعن[١١]،

---

(١) هو زياد بن أبي سفيان، نشأ فى الاسلام ذكى القلب حادّ اللسان داهية خطيبا. وقد تقلد عدّة مناصب فى الدولة منها ولايته البصرة لمعاوية حيث خطب هذه الخطبة التى تجدها بأكملها فى الجزء الثانى من هذا الكتاب وقد توفى زياد سنة ٥٣ هـ.

(٢) الجهلاء: الشديدة كقولهم: ليلة ليلاء للتوكيد. (٣) الشديدة: لا هداية معها.

(٤) السفيه: سيئ الخلق عديم الحلم. (٥) الحليم: ضدّ السفيه.

(٦) السرمدى: الدائم. (٧) أى جملته لا يبصر شيئا؛ فلا يعنى إلا بها.

(٨) أى أنه صار أسير شهواته يسمع لها فقط. (٩) يريد بالأمر: الحكومة الاسلامية.

(١٠) أى أعاقب السيد بجريرة خادمه. (١١) الظاعن: المسافر.

والمقبلَ بالمُدبرِ ، والمطيعَ بالعاصى ، والصحيحَ منكم فى نفسهِ بالسقيمِ ؛ حتّى يلقَى الرجلُ منكم أخاهُ فيقول : أَنجُ سَعْدُ، فقد هلَك سُعَيْدُ[1]، أو تستقيمَ قناتُكم[2] .

أيها الناسُ : إنا أصبحنا لكم ساسَةً ، وعَنكم ذادةً، نسوسكم بسُلطانِ اللهِ الذى أعطانا ، ونَذُودُ عنكم بفَىءِ[3] اللهِ الذى خوّلَنا ؛ فلَنا عليكم السمعُ والطاعةُ فيما أحبَبْنَا ، ولكم علينا العدلُ فيما وَلِينَا ؛ فاستوجِبُوا عدلَنَا وفيئَنَا بمُناصَحَتِكم لنا . واعلَموا أنّى مهما قصّرتُ عنهُ فلن أُقصِّرَ عن ثلاثٍ : لَستُ مُحتجِبًا عن طالِبِ حاجةٍ منكم ولو أتانى طارقا بِلَيــل، ولا حابِسًا عطاء ولا رِزقًا عن إبّانه[4] ، ولا مُجَمِّرًا[5] لكم بعثًا. فادعُوا اللهَ بالصَّلاحِ لأئمتِكم ؛ فإنّهم ساسـتُكم المؤدِّبون لكم ، وكهفكُم الذى اليه تأوُون ، ومتَى يَصلُحوا تصلُحوا . ولا تُشرِبوا قلوبَكم بُغضَهم ؛ فيشتدَّ لذلك غيظُكم ، ويطولَ له حزنكم، ولا تُدركوا له حاجَتكُمْ، مع أنه لو استُجيبَ لكم فيهم لكان شَرًّا[6] لكم، أسألُ اللهَ أن يُعينَ كُلًّا على كُلٍّ .

---

(١) مثل يضرب فى تتابع الشر .

(٢) القناة : الرمح أو عوده مشبه به .

(٣) الفىء : الخراج والغنيمة ، والفىء : الظل يستعار للسلطان . خوّلنا : ملكنا .

(٤) إبان الشىء : أوانه .

(٥) تجمير الجند أو البعث : إبقاؤهم فى عملهم وحبسهم فى أرض العدو .

(٦) أى لو نالهم شر لا تجدون مثلهم .

(٨) وخطب عُتبة بن أبى سُفيان[١] حين أرجف أهل مصر بموت معاوية

حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

يأهـلَ مصرَ قد طالَت مُعَاتبُتنا إياكُم بأَطرَاف الرِّماح وظُبَات السـيوف[٢] حتى صرنا شَجًا فى لَهَوَاتِكم[٣] ما تُسِيغُهُ حُلُوقُكُمْ وقَـذًى فى أعينكم ما تَطْرِف عليـه جفونُكم[٤] . أَبَعْدَ أَنِ اشتدَّت عُرَى الحق عليكم عَقْدًا[٥]، واسترخَتْ عُقَد الباطل منكم حلاًّ[٦]، أرجفتم[٧] بالخليفة ، وأردتُم توهيِينَ الخـلافة[٨] ، وخُضْتُم الحقَّ الى الباطل[٩] ، وأَقْدمُ عهـدِكم به[١٠] حديث، فاربَحُوا أنفسكم إذ خَسِرْتم دِينَكم . فهذا كتَابُ أميرِ المؤمنين بالخَبَر السارِّ عنه، والعهدِ القريب منه . واعلَمُوا أن سُلطانَنَا على أَبْدانِكُمْ دونَ قُلوبِكم ؛ فأَصْلِحُوا

---

(١) هو أخو معاوية كان خطيبا عظيما ، ولاه مصر . وكان أهلها يتنمرون له فكان يعتمد على الوعيد والتهديد .

(٢) الظبات : جمع ظبة حدّ السيف والسنان .

(٣) الشجا : ما اعترض فى الحلق من عظم ونحوه . واللهاة اللحمة المشرفة على الحلق فى أقصى سقف الفم . والمقصود أننا صرنا أعداءكم . تسيغه : تبلعه سهلا .

(٤) القذى : ما يقع فى العين فتدمع وتتألم منه . تطرف : تنطبق .

(٥) العرى : جمع عروة . عقدا : أى ربطا شديدا محكما . (المعنى) حينما حملناكم على الحق .

(٦) أى حينما حيل بينكم وبين الباطل .

(٧) أرجفتم : خضتم فى الأخبار السيئة .

(٨) أى أضعافها .

(٩) خضتم الحق الى الباطل : أى دستم الحق فى سبيل الوصول الى الباطل .

(١٠) أى أن آخر مرة تعرفون عنه خبرا قريبة ، فكيف ترجفون بموته .

لنا ما ظهر، ونَكِلكُمْ الى اللهِ فيما بَطَن، وأظهِروا خيرا وإن أضمرتُم شرًّا، فانكم حاصِدون ما أنتم زارعونَ، وعلى اللهِ أتوكَّلُ وبه أستعين .

(٩) وكتب الحجاج[(١)] الى عبد الملك فى شأن عُرْوَةَ بن الزُّبَيْر وكان عروةُ عاملا على اليمن ولجأ الى عبد الملك

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أما بعـدُ، فإنّ لَوَذانَ المعترضِينَ بك[(٢)] ، وحُلُولَ الجانِحِين الى المُكْثِ بساحتك، واستلانَتَهُم دَمَثَ أخلاقك، وسَعةَ عفوك، كالعَارِضِ المُبْرِقِ لأعدائه لا يَعْـدَمُ له شَائِمًا[(٣)] ، رَجاءَ استمالةِ عفوك ؛ وإذا أُدْنِي النـاسُ بالصفحِ عنِ الجـرائمِ كان ذلك تمرينا لهم على إضَاعَةِ الحقوق مع كل ضَالٍّ، والناس عَبِيـدُ العصا[(٤)] ، هم على الشدةِ أشـدُّ استبَاقًا منهم على اللين . ولنا قِبَـلَ عُرْوةَ بنِ الزُّبَيْرِ مالٌ من مال الله ، وفى استخراجه منه قَطْعٌ لطمَعِ غيره ؛ فليبعثْ به أميرُ المؤمنينَ إن رأى ذلك والسلام .

---

(١) هو أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفى ولد سنة ٤١ هـ . وتربى فى الاسلام مع الاحتفاظ بشخصية جاهلية عتيقة ظهرت آثارها فى أعماله وفى كلامه . وقد ولى عدّة مناصب لبنى أمية واشتهر بالخطابة القوية وسياسة العنف كما ترى ذلك فى خطبته التالية وفى الأخرى المذكورة فى الجزء الثانى لهذا الكتاب وقد توفى سنة ٩٥ هـ .

(٢) أى التجاءهم اليك .

(٣) العارض المبرق : السحاب ذو البرق . الشائم : الناظر الى البرق أين يتجه وأين يمطر ، والمراد أن هذا يحمل الأعداء على تأثر ذلك فيستهينون بأمر السلطان .

(٤) أى يحكمون بالرهبة لا باللين والرغبة .

(١٠) فكتب اليه عبد الملك[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعدُ، فإن أمير المؤمنين رآك مع ثِقَته بنصيحتك خابِطًا فى السياسة خَبْطَ عَشْوَاءِ الليل[٢]، فإن رأيك الذى يُسَوِّلُ لك أن الناس عبيد العصا هو الذى أخرج رِجَالَات العرب الى الوثوب عليك، واذا أحْرَجتَ العامَّة بِعُنْفِ السياسة، كانوا أوشكَ[٣] وُثُوبًا عليكَ عند الفرصةَ، ثُمَّ لا يَلْتَفِتُونَ الى ضَلالِ الداعى ولا هُدَاهُ إذا رَجَوْا بذلك إدراكَ الثَّأْرِ منك . وقد وليت العراقَ قبلَكَ سَاسَةٌ، وهم يومئذٍ أَحْمَى أُنُوفًا[٤]، وأقربُ من عَمْيَاءِ الجَاهِلِيَّة[٥]، وكانُوا عليهِمْ أصلحَ منهمُ عليك، وللشدَّة واللِّين أهلُون، والإفراطُ فى العفو أفضل من الإفراط فى العقوبة والسلام .

خطبَ الحجَّاجُ بنُ يُوسَف أهلَ العِراق بعدَ دَير الجماجم[٦] فقال :

يأهلَ العِراقِ : إنَّ الشَّيطانَ قد استبطَنَكُم[٧] فخالطَ اللحمَ والدَّمَ والعَصَبَ والمسامعَ والأطرافَ ، والأعضاءَ والشِّغافَ[٨] ، ثم أفضى الى الأمخاخِ والأصماخِ[٩] ، ثم ارتفع

(١) عبد الملك بن مروان خامس خلفاء بنى أمية شب عاقلا أديبا حازما وخلف أباه على الملك فكان من أنبه حكام المسلمين استطاع قمع الثائرين على بنى أمية وتقوية سلطانه فى البلاد الاسلامية . وكانت وفاته سنة ٨٦ هـ .

(٢) العشواء : الناقة لا تبصر ليلا فتدوس ما يصادفها . والمراد أنك تسلك فى السياسة سبيلا ضالة .

(٣) أوشك : أسرع . (٤) أعز نفسا . (٥) عمياء الجاهلية : جهالتها وسفهها .

(٦) دير الجماجم : موضع بظاهر الكوفة حيث كانت الوقعة الفاصلة بين الحجاج وعبد الرحمن بن الأشعث الذى خرج على بنى أمية ، وانتهى أمره بقتل نفسه .

(٧) استبطنكم : دخل بطنكم أى تمكن منكم . (٨) الشغاف من القلب : غلافه أو حبته .

(٩) الأصماخ : خروق الأذن ، وكل هذه العبارات تمثيل لسلطان الشيطان على نفوسهم .

فعشّش ثم باض وفرّخ ، فحشاكم نفاقًا وشقاقًا ، وأشعركم خلافًا ، أخذتموه دليلا تتّبعونه وقائدا تطيعونه ، ومؤامرًا تستشيرونه ، فكيف تنفعكم تجربة أو تعظكم وقعة أو يحجزكم إسلام أو ينفعكم بيان ؟

ألستم أصحابى بالأهواز (١) حيث رمتم المكر ، وسعيتم بالغدر ، واستجمعتم للكفر ، وظننتم أن الله يخذل دينه وخلافته ، وأنا أرميكم بطرفى (٢) وأنتم تتسللون لواذًا ، وتنهزمون سراعا ؟ ثم يوم الزاوية وما يوم الزاوية (٣) ؟ بها كان فشلكم وتنازعكم وتخاذلكم وبراءة الله منكم ونكوص وليكم عنكم ، إذ وليتم كالإبل الشوارد إلى أوطانها ، النوازع إلى أعطانها (٤) ، لا يسأل المرء عن أخيه ، ولا يلوى الشيخ على بنيه ، حتى عضكم السلاح ، وقعصتكم (٥) الرماح ، ثم يوم دير الجماجم ، وما يوم دير الجماجم ؟ بها كانت المعارك والملاحم (٦) ، بضرب يزيل الهام عن مقيله (٧) ، ويذهل الخليل عن خليله .

يأهل العراق ! الكفرات بعد الفجرات (٨) ، والغدرات بعد الختَرات (٩) ، والنزوة بعد النزوات (١٠) ، إن بعثتكم الى ثغوركم غللتم وخنتم ، وان أمنتم أرجفتم ، وإن خفتم

(١) الأهواز : مكان بين البصرة وفارس التقى فيه الحجاج مع ابن الأشعث .

(٢) أرميكم بطرفى : أنظر اليكم بشدة .

(٣) الزاوية : موضع قرب البصرة كانت فيه معركة لابن الأشعث على الحجاج سنة ٨٣ هـ .

(٤) الأعطان : جمع عطن : المناخ حول الموارد .

(٥) قعصه : قتله مكانه .

(٦) الملاحم : جمع ملحمة : الوقعة العظيمة أو القتل فى الحرب .

(٧) الهامة : الرأس . مقيله : مكانه .

(٨) الفجرات : جمع فجرة : الكذب .

(٩) الخترة : أقبح الغدر . (١٠) النزوة : الهرب .

نافقتُم، لا تذكرونَ حسنةً، ولا تَشكرونَ نِعمة، هل استخفّكم ناكِثٌ أو استغواكم غاوٍ، أو استنصرَكم ظالم، أو استعضدكم خالِعٌ (١) إلا اتّبعتموه وآويتُموه ونصرتُموه وزَجّبتُموه (٢)؟

يأهلَ العِراقِ! هل شَغَب شاغب، أو نَعَب ناعب، أو زَفَر زافِر، إلّا كنتم أتباعه وأنصارَه؟ يأهل العراق! ألم تنهكم المواعظُ؟ ألم تزجرْكم الوقائع؟ ثم التفت إلى أهل الشام فقال: يأهل الشامِ! إنما أنا لكم كالظَّليم الرَّامِح عن فراخِه يَنْفى عنها المدَر (٣)، ويُباعدُ عنها الحجر ويُكنّها من المطر، ويَحميها من الضِّباب، ويحرُسُها من الذئاب — يأهل الشامِ! أنتم الجُنّةُ والرداء وأنتم العُدّةُ والحذاء.

(١١) خطبة لِعُمَر بنِ عبد العزيز (٤) وهى آخرُ خطبَةٍ له

حمِد اللهَ وأثنَى عَليه ثم قال:

أيُّها الناسُ! إنكم لم تُخلَقُوا عَبثًا، ولم تُترَكوا سُدًى، وإن لكم مَعادًا (٥) يَتَولَّى الله فيه الحكمَ فِيكم، والفصلَ بينكم؛ فخابَ وخَسِرَ من خَرَج من رحمة الله التى وَسِعتْ كلَّ شىءٍ، وحُرِمَ الجنةَ التى عَرْضُها السمواتُ والأرض. واعلَموا أن الأمانَ

---

(١) استعضدكم: استعانكم. خالع: خارج ثائر.

(٢) رجبتموه: عظمتموه وساعدتموه.

(٣) المدر: الطين اليابس.

(٤) عمر بن عبد العزيز ثامن خلفاء بنى أمية كان مشهورا بالتقوى والعدالة. وكانت وفاته سنة ١٠١ هـ.

(٥) المعاد: يوم القيامة.

غدا لِمن حَذِر الله وخافَهُ، وباع قليلًا بكثير(١)، ونافِدًا بباق(٢)، وخوفا بأمان . أَلَا تَرون أنكم فى أَسْلابِ الهالكين وسيَخْلُفُها من بعدكم الباقُون كذلك حتى تُرَدُّوا إلى خير الوارثين(٣) . ثم إنكم فى كُل يَومٍ ولَيلةٍ تُشيِّعُونَ غاديًا إلى الله ورائحًا قد قَضَى نَحْبَه وانقضَى أجلُه ، ثم تَضَعُونَه فى صَدْعٍ من الأرض فى بطنِ لحدٍ ، ثم تَدَعُونَه غير مُوسَّدٍ ولا مُمَهَّدٍ قد خَلَعَ الأَسْلَابَ(٤) ، وفارق الأحباب ، ووُجِّه لِلحساب ، غنيًّا عما تَرَك ، فقيرًا إلى ما قَدَّم . وأَيْمُ الله إنى لأقول لكم هذه المقالةَ ولا أعلمُ عند أحَدٍ منكم أكثرَ مما عِندى . وأستَغفِرُ الله لى ولكم . وما يُبَلِّغُنَا أحد منكم حَاجةً يسعُها ما عندَنا إلا سَدَدْنا من حَاجَتِه ما قدرْنا عليه ، ولا أحدٌ يَتَّسعُ له ما عندنا إلا وَدِدْتُ أن يدَه مع يَدى ولُحْمَتِى الذى يَلُونَنى حتى يستوىَ عيشُنَا وعَيْشُكُمْ . وأَيْمُ الله لو أردت غيرَ هذا من عيش أو غضَارَةٍ لكان اللسان به منى ناطقا ذَلُولًا عالما بأسبابه ، ولكنَّه سَبَقَ مِنَ اللهِ عز وجل كتابٌ ناطقٌ وسُنةٌ عادلة دلّ فيهما على طَاعَته ، ونَهى فِيهما عن معصيته .

(١٢) خطبة أبى حمزة(٥) الخارجى بمكة

صَعِد المنبرَ متوكئا على قوس عربية فخطب خُطبةً طويلة ثم قال :

يأهل مكة ! تُعَيِّرُونَنِى بأصحابى ! تَزعُمونَ أنهم شَبابٌ ! وهل كان أصحابُ رسول الله إلَّا شَبابًا ؟ شبابٌ والله مُكْتَهِلُون فى شَبَابِهِم(٦) ، غَضِيضَةٌ عن الشر أعينُهم ،

(١) قليلا بكثير : أى متاعا دنيويا قليلا بمتاع أخروى كثير .

(٢) أى متاع الدنيا ينفد ومتاع الآخرة خالد . (٣) هو الله تعالى .

(٤) الأسلاب : جمع سلب ، وهو ما يسلب من سلاح ومال .

(٥) هو يحيى بن المختار بن عوف الأزدى الخارجى . خرج وتنقل باليمن والحجاز والشام . وقاتل جند بنى أمية حتى قتل سنة ١٣٠ هـ . وكان ناسكا واعظا بليغا يدعو الى الدين ومعصية الأمويين بأسلوبه الجزل المؤثر . (٦) أى كالكهول حزما وصلاحا .

ثقيلةٌ عن الباطل ارجلُهم ، أنضاءُ عِبادَةٍ (١) ، وأطلاحُ سَهَرٍ (٢) ؛ فنظرَ اللهُ اليهم فى جَوفِ الليل مُنحنيةً أصلابُهم على أجزاء القُرآن ، كلما مَرَّ أحدُهم بآيةٍ من ذِكر الجنة بكى شَوقًا اليها ، وإذا مَرَّ بآية من ذِكر النارِ شَهِق شَهقةً كأنَّ زَفيرَ جهنمَ بينَ أُذنَيه . موصولٌ كَلالُهم بكَلالهم (٣) : كَلالُ الليل بكَلال النَّهار . قد أكلت الأرضُ رُكَبَهم وأيديَهم وأنوفَهم وجِباهَهم ؛ واستقلُّوا ذلكَ فى جَنب الله ؛ حتَّى إذا رأَوا السِّهام قد فُوِّقَت (٤) ، والرِّماح قد أُشرِعت (٥) ، والسُّيوفَ قد انتُضِيت (٦) ، ورعَدَت الكتيبةُ (٧) بصَواعق الموت وبرَقَت ، استخفوا بوعيد الكتيبة لوَعيد الله ، ومضَى الشابُّ منهم قُدُمًا (٨) حتى اختلفت رِجلاهُ على عُنُق فرسه ، وتخضَّبت بالدِّماء محاسنُ وجهه ، فأسرعت اليه سِباعُ الأرض ، وانحطَّت اليه طَيرُ السماء ، فكم من عَينٍ فى مِنقار طيرٍ بكى صاحبُها فى جوفِ الليل مِنْ خوف الله .

(١٣) كتب عبد الحميد الكاتب إلى أهله وهو منهزم مع مروان (٩)

أمَّا بعدُ ، فإن اللهَ تعالَى جعلَ الدنيا محفوفةً بالمَكاره والسُّرور ، فمن ساعدَه الحظُّ فيها سكن اليها ، ومَنْ عَضَّته بنابها ذَمَّها ساخطا عليها ، وشكاها مستزيدا لها (١٠) ، وقد

(١) الأنضاء : جمع نضو : الهزيل المتعب ، والمراد أن العبادة : هزلتهم وأجهدتهم .
(٢) الأطلاح : جمع طلح : متعب . (٣) الكلال : الأعياء والتعب .
(٤) فوقت السهام : ركبت فى الأقواس قرى . (٥) أشرعت الرماح : سددت وصوبت .
(٦) انتضيت السيوف : استلت . (٧) الكتيبة : القطعة من الجيش .
(٨) قدما : الى الامام تواء ، والمراد أنه أقدم على الحرب جريئا .
(٩) هو عبد الحميد بن يحيى الكاتب نشأ بالأنبار بليغا وحصيفا وصاحب مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية أيام ولايته وخلافته حتى قتلا سنة ١٣٢ هـ . ويعد عبد الحميد من أساتذة البلاغة العربية وشيخ كتاب الرسائل عامة . (١٠) أى شكاها : حالة كونه يريد إقبالها عليه بالسعادة .

كانت أذاقتنا أفاويق(1) استحليناها، ثم جمحت(2) بنا نافرة، ورمحتنا مولّية، فملح عذبها، وخشن لينها، فأبعدتنا عن الأوطان، وفرقتنا عن الإخوان، فالدار نازحة(3)، والطير بارحة(4). وقد كتبت والأيام تزيدنا منكم بعدا، وإليكم وجدا، فإن تم البليـة إلى أقصى مدتها يكن آخر العهد بكم وبنا، وإن يلحقنا ظفر جارح من أظفار من يليكم نرجع إليكم بذل الإسار، والذل شر جار. وأسأل الله الذى يعز من يشاء ويذل من يشاء أن يهب لنا ولكم ألفة جامعة فى دار آمنـة تجمع سلامة الأبدان والأديان، فإنه رب العالمين، وهو أرحم الراحمين. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

(د) طائفة من أمثال العرب(5)

فى جاهليتها وإسلامها

إن العصا من العصية(6) — إن العوان لا تعلم الخمرة(7) — إنك لتكثر الحز وتخطئ المفصل(8) — أول الشجرة النواة(9) — إنك ريان، فلا تعجل بشربك(10) — أبرما قرونا(11).

(١) أفاويق: جمع أفواق جمع فيقة: اللبن يجتمع فى الضرع بين الحلبتين.

(٢) جمحت الفرس: غلبت راكبها وذهبت، ورمحته: رفسته.

(٣) بعيـدة. (٤) البارح من الطير ما مر من اليمين الى اليسار والعرب يتشاءمون منه.

(٥) الأمثال: جمع مثـل وهو قول مأثور يمتاز بحسن التعبير واصابة المعنى واتقان التشبيه وحسن الايجاز. والمثل مورد أى أصل قيل فيه، ومضرب أى موضع استعمال؛ فالغرض منه تشبيه الحال الثانية بالأولى.

(٦) يضرب للشىء يشبه أصله. (٧) العوان: التى سبق لها زوج والخمرة كيفية لبس الخمار. (الطرحة) يضرب للرجل العالم بالأمر المجرب له.

(٨) يضرب لمن يجتهد فى السعى ثم لا يظفر بالمراد. الحز: القطع، والمفصل: ملتقى كل عظمين فى الجسد حيث يكون القطع. (٩) يضرب للأمر الصغير يتولد منه الكبير.

(١٠) يضرب لمن أشرف على إدراك بغيته فيؤمر بالرفق. (١١) البرم الرجل الذى لا يدخل مع القوم فى الميسر لبخله. والقرون الذى يقرن بين الشيئين يأخذهما معا. يضرب لمن يجمع بين خصلتين مكروهتين.

أَحَشَفًا وسوءَ كِيلة (١) — الحَقُّ أبلجُ والباطل لجلَجٌ (٢) — أمكرًا وأنتَ فى الحديد (٣) — إنّ المُنْبَتَّ لا أرضًا قَطَعَ ولا ظهرًا أبْقَى (٤) — إن البَلاءَ مُوَكَّلٌ بالمَنْطِق (٥) — أنْ تَرِدَ المَاءَ بِمَاءٍ أكْيَسُ (٦) — إنَّ غدًا لنَاظِره قريبٌ (٧) — إن أخَاكَ من آسَاكَ (٨) — يَدَاكَ أوْكَتَا وفُوكَ نَفَخ (٩) — يُصْبِحُ ظمآنَ وفى البحرِ فمُهُ (١٠) .

أبيات تَجْرى مَجْرَى الأمْثَال

فإنَّكَ لَمْ يَفْخَرْ عليكَ كفاخِرٍ ضعيفٍ ولم يَغْلِبْكَ مِثْلُ مُغَلَّبِ (١١)

* * *

وهل يُنْبِتُ الخَطِّىَّ إلا وشيجُهُ وتُغْرَسُ إلا فى مَنَابِتِها النَّخْلُ (١٢)

---

(١) الحشف : أردأ التمر ، والكِيلة : طريقة الكيل . مضربه لمن يظلم من وجهين .

(٢) معناه أن الحق واضح بين والباطل يتردد فيه حيرة .

(٣) يضرب لمن أراد المكر وهو مقهور .

(٤) المنبت المنقطع عن أصحابه فى السفر بسبب إجهاده دابتــه . الظهر : الدابة . يضرب لمن يبالغ فى طلب الشىء بإفراط حتى يعجز عنه فيضيعه .

(٥) يضرب للكلمة تجلب الشر .

(٦) يضرب فى عدم التفريط فيما تملك اتكالا على الموهوم .

(٧) يضرب فى قرب المأمول .

(٨) يضرب للصديق المخلص .

(٩) أراد رجل عبور النهــر على زق فنفخ فيه فلم يحكمه ، فلما توســط النهر خرج منــه الهواء فغرق ، فاستغاث برجل ، فقال له هذا المثل . يضرب لمن يجنى على نفسه الحين .

(١٠) يضرب لمن يعاشر بخيلا مثريا .

(١١) المغلب : الضعيف الذى يغلب دائما ، فاذا قدر عليك لا يتركك (لامرئ القيس) .

(١٢) الخطى : الرمح نسبة إلى الخط فى البحرين . الوشيج : شجر الرماح ، المفرد وشيجة أى لا ينبت القناة إلا شجرها ولا تغرس النخل إلا بحيث تنبت وتصلح والمراد أنه لا يلد الكرام إلا الكرام (لزهير) .

ولستَ بمستَبقٍ اخا لا تَلُمُّـه على شَعَثٍ أىُّ الرجالِ المُهَـذَّبُ (١)

حَنَانَيْكَ بعضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعضٍ (٢)

إذاأنتلمتُعْرِضعنالجَهْلوالخَنَا أَصَبْتَ حكيماً أو أَصابَكَ جَاهِلُ (٣)

---

(١) تلمه : تصلحه ، والشعث : الفساد ، والمهذب : المنقى من العيوب . (المعنى) : ليس رجل مبرأ من العيب ، فاذا قطعت إخوانك بذنب لم يبق لك أخ (للنابغة الذبيانى) .

(٢) لطرفة وصدره : أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا . الحنان : الرحمة والتثنية هنا لقصد الدوام مثل لبيك وسعديك أى رحمة بعد رحمة والأكثر إضافتها الى ضمير المخاطب .

(٣) الجهل : السفه والشراسـة ، والخنا : الفحش ومعنى الشطر الثانى أنك تؤذى كريما أو يؤذيك جاهل مثلك ، وكلاهما شر .

العصر العباسى الاول

(١) الشـــــعر

(١) قال بشَّار بن برد[١] يهجو العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس وقد استمنحه فلم يمنحه

ظِلُّ اليســارِ علَى العباسِ ممدودُ   وقلبُــه أبدا بالبخل مَعقــودُ (٢)

إنَّ الكريمَ لَيُخفِى عنــك عُسْرتَه   حتى تراهُ غَنِيًّا وهــو مجهــود (٣)

وَلِلبخيـــل على أمــوالِه عِلَلٌ   زُرقُ العيونِ عليها أوجهٌ ســود (٤)

إذا تكرهتَ أن تُعطِى القليلَ ولم   تَقدِر على سَعةٍ لم يظهر الجــود (٥)

أَورِق بخــير تُرَجَّى للنوالِ، فــا   تُرجَى الثمار إذا لم يُورق العــود (٦)

بُثَّ النــوالَ، ولا تمنعْك قِلَّتُهُ،   فكل ما سَدَّ فقــرا فهْو محمــود

---

(١) هو أبو معاذ بشار بن برد العقيلى ولاء، الفارسى أصلا، أخذ العربية عن أعراب البصرة، ونبغ فى الشعر لشدة ذكائه وسعة خياله وحسن ابتكاره، وكان هجاء ماجنا مات مقتولا سنة ١٦٧ هـ.

(٢) اليسار: الغنى. معقود بالبخل مجتمع عليه ملازم له.

(٣) العسرة: الفقر. المجهود: المتعب من قلة المال.

(٤) علل: جمع علة بالكسر أى حجة وعذر يمنعه الكرم. ويريد بالشطر الثانى أنها حجج بغيضة كريهة.

(٥) تكرهت الشىء: تسخطته وفعلته على كره. السعة هنا: العطاء الكثير، أى اذا تأخرت عن بذل القليل، ولست قادرا على بذل الكثير فلا يظهر لك عطاء.

(٦) أورق الشجر: ظهر ورقه. النوال: العطاء، يسأله إظهار العطاء ولو قليلا؛ فانه إذا لم يعط القليل لا يرجى منه الكثير.

وقال يتغزل :

أيُّها السَّاقيانِ صُبَّا شَرابي واسقِياني من رِيقِ بيضاءَ رُودِ (١)

إنّ دائِي الصَّدى ، وإنّ دوائي شَربةٌ من رُضاب ثَغرٍ بَرود (٢)

ولها مبسم كغُر الأقاحى وحديثٌ كالوشي : وشيِ البُرود (٣)

نزلتْ فى السواد من حَبَّةِ القلـ ـب، ونالت زِيادةَ المستزيد (٤)

ثم قالت : نلقاك بعد ليالٍ والليالى يُبلِينَ كُلَّ جديد (٥)

عندها الصبرُ عن لقائى، وعندى زَفَراتٌ يأكلنَ قلبَ الحديد (٦)

وقال يتغزل وقد نهاه الخليفة المهدى عن الغزل :

يا مَنظرًا حَسَنًا رَأيتُهْ مِنْ وَجهِ جاريةٍ فَديتُهْ

بَعَثَتْ الىَّ تَسومُني ثَوبَ الشباب، وقد طَويتُهْ (٧)

وَاللهِ ربِّ مُحمّدٍ مَا إن غَدرتُ، ولا نَويتُهْ (٨)

---

(١) الرود : الشابة الحسنة الشباب .

(٢) الصدى : الظمأ . الرضاب : الريق . البرود : الرطب البارد .

(٣) الغر : البيض . الأقاحى : جمع أقحوان نبت طيب الرائحة ذو ورق ناصع البياض . الوشى : نقش الثوب ، و يكون من كل شىء . البرود : جمع برد وهو الثوب ، يريد أن حديثها جميل كالنقش المنمق .

(٤) السواد من القلب : حبته . يعنى أنها احتلت منه صميم الصميم ، وليس هناك حب أبلغ من هذا الحب .

(٥) بلى الثوب : يبلى رث وذهبت جدّته . يستكثر الشاعر هـذه الليالى التى واعدته اللقاء بعـدها . لأن مر الليالى يبلى كل جديد .

(٦) الزفرات : جمع زفرة وهى النفس الحار ولا يكون إلا من المتيم المقروح .

(٧) تسومنى ثوب الشباب : ترغب أن أغازلها .

(٨) نويته : أى الغدر .

أمسكتُ عنـك ، وربّمـا عَرَضَ البـلاءُ، وما ابتغيتُهْ

إن الخليفـةَ قــد أَبى وإذا أبى شـيئا أَبيتُــهْ

ومُخَضَّبٍ رَخْصِ البَنـا نِ بَكَى عَلَىّ ، وما بكيتُهْ (١)

ويَشُــوقُنى بيتُ الحبيـ ـبِ إذا ادّكرتُ، وأين بيتُهْ؟ (٢)

قام الخليفــةُ دونَــه ؛ فصبَرتُ عنهُ ، وما قَلَيْتُــهُ (٣)

ونَهـانِىَ المـلِكُ الهُـما مُ عن النسـاءِ، وما عصَيتُه (٤)

لا بل وفَيْتُ، فـلم أُضـع عهــدا ، ولا نأْيا رأيتُــهْ (٥)

وأنا المُطِـــلُّ على العِـــدَا وإذَا غَلَا الحمــدُ اشـتريتُهْ (٦)

أُصــفى الخليــلَ إذا دَنَا وَإذَا نأى عَــنِّى نأيتُــهْ (٧)

وأَميــلُ فى أُنسِ النـديـ ـمِ من الحيـاءِ، وما اشتهيتُهْ (٨)

---

(١) المخضب : الملوّن بالخضاب . رخص : لين ناعم . البنان أطراف الأصابع جمع بانة .

(٢) يشوقنى : يهيجنى . ادّكرت : تذكرت .

(٣) قليته : أبغضته .

(٤) الهمام : الملك العظيم الهمة .

(٥) النأى : البعد .

(٦) المطل على العدى المستمرّ فى إيذائهم . الحمد : الثناء . يقول : إنى مع خضوعى لأمر الخليفة لا زلت قويا على العدوّ كريما أشترى الثناء ببذل المـال .

(٧) أصفى الخليل : أخلص له الودّ . دنا : قرب . نأيته : بعدت عنه .

(٨) يميــل فى أنس النـديم : يقوم بمؤانسته . النديم : الرفيق والمصاحب وهو أيضا المشارك فى الشراب . اشتهيته : رغبت فيه . يصف نفسه بكرم الخلق وحسن المجاملة .

(٢) قال السَّيِّدُ الحِمْيَرِيّ[١] يخاطب أبا عبد الله السفاح لما استقام الأمر لبني العباس :

دُونَكُموها يا بَني هَاشِم فَجَدِّدُوا من عهدِهَا الدارِسَا[٢]

دُونَكُمُوها، فالبِسُوا تاجَها لا تَعْدَموا مِنكُمْ لـه لابسا[٣]
لو خُيِّرَ المِنبرُ فُرسَانَهُ ما آختارَ إلا منكُمُ فارِسا[٤]
قد سَاسَها قبلَكُمُ سَاسَةٌ لم يتركوا رَطْبا ولا يابِسا[٥]
ولستُ مِنْ أن تملكوها إلى مهبِطِ عيسى فيكُمُ آئسا[٦]

وقال :

ما جَرَتْ خَطْرَةٌ عَلَى القَلْب مِنِّي فِيكِ إلّا اسْتَتَرْتُ عَنْ أصْحَابي
مِنْ دُمُوعٍ تجْرِي، فإنْ كُنْتُ وَحْدِي خالِيًا، أسْعَدَتْ دُمُوعِي انْتِحَابي[٧]

---

(١) هو إسماعيل بن محمد اليمني علوى المذهب مخلص له غال فيه طول حياته يمدح عليا وآله ويسب الصحابة حتى توفى سنة ١٧٠ هـ .

(٢) درس : بلى وانمحى .

(٣) البيت : دعاء لبني العباس بدوام الخلافة فيهم .

(٤) فرسان المنبر من يعتلونه من الخلفاء .

(٥) ساس الأمور : يسوسها سياسة : تولاها ودبرها، فهو سائس والجمع ساسة : ولم يتركوا رطبا ولا يابسا، أى أنهم تركوا البلاد خرابا بسوء سياستهم وقبح رأيهم، وهو يريد بنى أمية .

(٦) أيس فهو (آئس) : قنط وقطع الرجاء، يريد أنه ليس يائسا من بقاء الخلافة فيهم الى أن يهبط عيسى عليه السلام فى آخر الزمان .

(٧) أسعده على الأمر : عاونه، والانتحاب : البكاء الشديد .

انَّ حُبِّي ايَّاكِ قد سَــلَّ جِسمِى ورَمَانِى بالشَّيْب قَبْـلَ الشَّبَاب (١)
لَوْ منحتِ اللقا! كَفَى بِكِ صَـبًّا هَائمَ القَلْب قَدْ ثَوَى فى الـتُّرَاب (٢)

وقال فى على بن أبى طالب رضى الله عنه :

سَائِلْ قُرَيشًا اذا ما كُنْت ذا عَمَهٍ مَن كانَ أثبتَهَا فى الدِّينِ أوْتَادَا (٣)
مَن كانَ أعْلَمَهَا عِلْمًا وأحلَمَها حِلْمًا وأصْـدَقَهَا قوْلًا وميعـادا
ان يَصْدُقُوكَ فَلَنْ يَعْدُوا أبا حَسنٍ إنْ أنْتَ لم تَلْقَ للأبْـرَارِ حُسَّادَا (٤)

(٣) قال مروان بن أبى حفصة (٥) من قصيدة يمدح بها مَعْنَ بن زائدة الشَّيبانى

وَمَا الغَيْثُ إذْ عَمَّ البِـلَادَ بِصَـوْبِهِ على النَّاسِ من مَعْرُوفِ مَعْنٍ بأوْسَعَا (٦)
تَدَارَكَ مَعْنٌ قُبَّـةَ الدِّينِ بَعْــدَ مَا خَشِينَا على أوْتَادِهَا أن تُنَزَّعَا (٧)

---

(١) سله : أهزله وأضعفه .

(٢) الصب : العاشق ذو الولع الشـديد ، وثوى بالمكان يثـوى بكسر الواو ثواء : أقام والثاوى فى التراب : الميت : يريد بالصب الهائم الميت نفسه مبالغة فيما أضناه من الحب .

(٣) العمه : بفتح العـين والميم : عمى البصـيرة ، والأوتاد : جمـع وتد وهو ما دق فى الحائط أو الأرض من خشب ونحوه ليربط به غيره وهو أيضا الجبل .

(٤) يصدقوك بضم الدال : يقولون لك الصدق و يعدوا يجاوزوا . أبو الحسن هو على بن أبى طالب رضى الله عنه . الأبرار : جمع بر بفتح الباء : الصالح ونحوه .

(٥) هو مروان بن سليمان بن أبى حفصة فارسى الأصل اشتهر بالشعر فى هـذا العصر يمدح المهدى ، ومعن بن زائدة الشيبانى ، وهارون الرشيد ، وكانت وفاته سنة ١٨١ هـ .

(٦) الغيث : المطر ، وصوب المطر انصبابه .

(٧) القبـة : الخيمة ، والأوتاد : جمع وتد بكسر التـاء وفتحها : ما دق فى الحائط أو الأرض من خشب ونحوه ليشـد به غيره . وأوتاد الخيمة هى التى يشد بها حبالها . يقول أنه تدارك أمر الدين بعد ما خيف عليه أن ينصدع بناؤه كما تسقط الخيمة اذا خلعت أوتادها .

له رَاحَتَانِ، الغيثُ والحتف مِنهما أبَى اللهُ إلا أن تَضُرّا وتَنْفَعَا(١)

لقد أصبَحتْ فى كُلِّ شَرْقٍ ومَغْرِب بِسَيْفِكَ أعْنَاقُ المُرِيبِينَ خُضَّعًا(٢)

ومن قوله يمدحه أيضا :

بَنُو مَطَرٍ يَوْمَ اللِّقَاءِ كَأنَّهُم أُسُودٌ لَهَا فِى بَطْنِ خَفَّانَ أشْبُلُ(٣)

هُمُ يَمْنَعُونَ الجَارَ، حَتَّى كَأنَّمَا لِجَارِهِمُ بَيْنَ السِّماكَيْنِ مَنْزِلُ(٤)

لَهَامِيمُ فى الإسْلامِ سَادُوا ولَمْ يَكُنْ كَأوَّلِهِمْ فى الجَاهِلِيَّةِ أوَّلُ(٥)

هُمُ القَوْمُ: إنْ قَالُوا أصابوا، وإنْ دُعُوا أجَابُوا، وإنْ أعْطَوْا أطابُوا وأجْزَلُوا(٦)

وَلا يَسْتَطِيعُ الفَاعِلُونَ فَعَالَهُمْ وإن أحْسَنُوا فِى النَّائِبَات وأجْمَلُوا(٧)

وقال لما مات المهدى وأفضت الخلافة الى ابنه الهادى :

لَقَدْ أصبحَتْ تَخْتَالُ فِى كُلِّ بَلْدَةٍ بِقَبْرِ أمِيرِ المُؤْمِنِينَ المقَابِرُ

وَلَوْ لَمْ تُسَكَّنْ بِابْنِهِ فِى مَكَانِهِ لَمَا بَرِحَتْ تَبْكِى عَلَيْهِ المَنَابِرُ

---

(١) الراحة : باطن اليد . والحتف : الموت . يقول انه فى مواطن الكرم شبيه بالمطر، أما فى موضع البأس فعنده الموت وباقى البيت واضح .

(٢) جمع خاضعة : ذليلة .

(٣) بنو مطر : معشر معن وبطن خفان : واد مشهور بالسباع الضارية، والأشبل : جمع شبل بكسر الشين وهو ولد الأسد .

(٤) منع جاره : حماه . السماكان : كوكبان يضرب بهما المثل فى المنعة . يريد أن من يحمونه كأنما سكنه بين السماكين فلا يستطيع أحد أن يصل اليه .

(٥) لهاميم : جمع لهميم، وهو السيد الجواد . يقول أنهم سادوا فى الاسلام وكذلك كانوا فى الجاهلية خيار الناس .

(٦) إن أعطوا أطابوا : أى أعطوا كرائم الأموال، وأجزلوا : أكثروا .

(٧) النائبات جمع نائبة : المصيبة، وأجملوا : أحسنوا : وتلطفوا .

(٤) قال أبو نواس فى الخمر : (١)

لا تَبْكِ هِنْدًا ولا تَطْرَبْ إلى دَعْدِ ... واشْرَبْ على الوَرْدِ من حمراءَ كالوَرْدِ (٢)

كَأْسًا اذا انحدرتْ فى حَلْقِ شارِبِها ... أَجْدَتْهُ حُمْرَتُها فى العَيْنِ والخَدِّ

فالخَمْرُ ياقُوتَةٌ ، والكأسُ لُؤْلُؤَةٌ ... من كفِّ لُؤْلُؤَةٍ مَمْشُوقةِ القَدِّ (٣)

تَسْقِيكَ مِن طَرْفِها خَمْرًا ، ومِن يَدِها ... خمرًا ، فما لَكَ من سُكْرَيْن من بُدِّ (٤)

لى نَشْوَتانِ وللنُّدْمانِ واحِدَةٌ ... شَىْءٌ خُصِصْتُ به من بَيْنِهِمْ وَحْدِى (٥)

وقال يتغزل :

حامِلُ الهوَى تَعِبُ ... يَسْتَخِفُّه الطَّرَبُ (٦)

إنْ بَكَى يَحِقُّ لَهُ ... لَيْسَ ما بِهِ لَعِبُ

كُلَّما انقضَى سَبَبٌ ... مِنكِ عادَ لى سَبَبُ (٧)

---

(١) هو الحسن بن هانئ نشأ فى البصرة ماجنا مستهترا بالشراب واللذات . وأخذ الشعر على والبة بن الحباب ، و برع فيه حتى بذ أهل عصره . ومدح الخلفاء واتصل اتصالا شديدا بالأمين العباسى و رفى له بعد نكبته وقد مات سنة ١٩٨ هـ .

(٢) يريد بالحمراء : الخمر . واشرب على الورد على رؤيته والاستمتاع بطيب عبيره . ينعى الشاعر على غيره من الشعراء ما جرت به عادتهم من استهلال قصائدهم بذكر نساء لا وجود لهن والتشبيب بهن والبكاء على من جفونهم ويدعو الى شرب الخمر على الصفة التى أبانها .

(٣) عاد فشبه الخمر فى حمرتها بالياقوت ، وشبه الكأس فى صفائها ونصاعتها باللؤلؤ . والمراد باللؤلؤة فى الشطر الثانى من البيت الجارية التى تسقيه . الممشوق الضامر الخفيف اللحم .

(٤) يشبه الشاعر ما يفعل سحر عينى ساقيه بالنفوس بما تفعل فيها الخمر .

(٥) النشوة : السكر . الندمان هنا : جمع نديم ، وهو جليس الشراب .

(٦) استخفه الغناء أطربه واستخفه الطرب : حمله على الخلاعة .

(٧) يريد كلما انقضى سبب من أسباب آلامى فى حبك جئت لها بسبب جديد .

تَضْحَكِينَ لَاهِيَةً ... والمُحِبُّ يَنْتَحِبُ (١)

تَعْجَبِينَ من سَقَمِي ... صِحَّتِي هي العَجَبُ

وقال من قصيدة يمدح الخصيب عامل الرشيد على مصر .

تَقُولُ الَّتِي من بَيْتِهَا خَفَّ مَرْكَبِي: ... عَزِيزٌ علينا أن نَرَاكَ تَسِيرُ (٢)

أمَا دُونَ مِصْرٍ لِلْغِنَى مُتَطَلَّبٌ ؟ ... بَلَى ! إنَّ أَسْبَابَ الغنى لكثيرُ (٣)

فَقُلْتُ لها ، واسْتَعْجلتها بَوادرٌ ... جَرَتْ فجَرَى فى جَرْيِهنَّ عَبِيرُ (٤)

ذَرِينى أُكَثِّرْ حَاسِدِيكِ بِرِحْلَةٍ ... إلى بَلَدٍ فيه الخَصِيبُ أمِيرُ

إذا لم تَزُرْ أَرْضَ الخصيبِ رِكَابُنَا ... فأَىَّ فَتًى بعد الخَصيب تَزُور

فَتًى يَشتَرِى حُسنَ الثَّناءِ بماله ، ... ويَعْلَمُ أن الدَّائِرَاتِ تدُور (٥)

فما جَازَهُ جُودٌ ، ولا حَلَّ دُونَهُ ، ... ولكِنْ يَصِيرُ الجُودُ حَيْثُ يَصِيرُ (٦)

فلم تَرَ عَيْنِى سُؤْدَدًا مثل سُؤْدَدٍ ... يحل أبو نَصْرٍ به ويسير (٧)

---

(١) الانتحاب : البكاء الشديد .

(٢) خف مركبه : نهض وسار . والضمير فى بيتها يعود على صاحبته .

(٣) تنكر عليه تجشم المشاق فى الرحلة من بغداد الى مصر فى طلب الغنى فى حين أن للغنى أسبابا كثيرة لا تتعب هكذا .

(٤) بوادر الدمع : أوائله . العبير : أخلاط الطيب . يريد أن ما جرى على خديها من الدموع أسال ما عليهما من الطيب .

(٥) الدائرات والدوائر هنا جمع دائرة . وهى المصيبة . يقال : دارت على فلان الدوائر أى حلت به النوائب . وشراء الثناء بالمال مكافأة الشعراء على المديح فالخصيب على علمه بطروق المصائب وتقلب الدهر لا يدخر المال للشدة ، بل يبذله فى طلب الثناء والمديح .

(٦) جازه : تركه . يريد أن الجود يلازمه فلا يتعداه الى غيره .

(٧) السؤدد : الشرف والمجد . أبو نصر : كنية الخصيب .

وأطْرُقُ حَيَّاتِ البـــلادِ لَحَيَّةٍ   خَصيبيّةِ التَّصميمِ حِينَ تَسُور (١)
فان تُولِني منكَ الجَميـلَ فأهْلُهُ ،   وإلّا فإنّى عاذِرٌ وشَكُورُ (٢)

(٥) قال مُسلمُ بن الوليد يمدح يزيدَ بن مَزْيد الشيبانى : (٣)

أُجرِرْتُ حبْلَ خَليـعٍ فى الصِّبا غَزِلٍ   وشَمّرَتْ هِممُ العُـذّالِ فى العَـذَلِ (٤)
هَاجَ البُكاءَ عَلَى العينِ الطَّمُوحِ هَوًى   مُفَرَّقٌ بينَ توديعٍ ومُرتَحَـلِ (٥)
كَيْفَ السُّلُوُّ لِقَلْبٍ راحَ مُخْتبِلاً   يَهْـذِى لِصَاحِبِ قلبٍ غيرِ مُخْتَبِلِ (٦)
عَاصَى العَـزاءَ ، غَداةَ البينِ ، منهمِلٌ   مِنَ الدمُوعِ جَرَى فى إثْرِ مُنهَمِـلِ (٧)
لولا مُداراةُ دمعِ العَـينِ لانكشَفَتْ   مِنّى سَرائرُ لم تَظهَـرْ ولم تُخَـلِ (٨)
أمَا كفَى البَينَ أن أُرمَى بأسْهُمِهِ   حَتّى رمَانِى بلحظِ الأعيُنِ النُّجُلِ (٩)

(١) الحية معروفة : ويقال على المجاز : فلان حية الوادى لحامى حوزته ، وهم حيات الأرض . يعنى دواهيها وفرسانها . تسور : تهيج وتشتد . والتصميم هنا من صمم فى عضته أثبت أسنانه . وخصيبية التصميم من إضافة الصفة للموصوف . والمراد بذلك الحزم والقوة والمضاء .

(٢) أولاه : أعطاه ، والجميل : المعروف ، فأهله : فأنت أهله ، وأنت الجدير به .

(٣) هو صريع الغوانى مسلم بن الوليد الأنصارى تأدب فى الكوفة ونبه شأنه فى الشعر حتى صار من متقدمى عصره وهو من متكلفى البديع وقد توفى بجرجان سنة ٢٠٨ هـ .

(٤) أجررت : تركت وشأنى . خليع : متهتك . الصبا الميل إلى الجهل والصبوة . غزل : كلف بالنساء .

(٥) الطموح : المستشرف الطامح .

(٦) السلو : النسيان . مختبل : فاسد . يهذى يقول ما لا يعقل . يهذى بمحبوبته .

(٧) عاصى . عصى . العزاء : الصبر على المكروه . منهمل : سائل فاعل عاصى .

(٨) سرائر : جمع سريرة ما يكتمه الانسان من أمره . تخال : تظن .. لولا دمع العين وأراه وحجبه لانكشفت سرائره .

(٩) النجل : جمع نجلاء ، والعين النجلاء : هى الحسنة الواسعة فهو يبين بعد وغرام .

مِمَّا جَنَى لِي وإنْ كانتْ مُنًى صَدَقَتْ ... صَبَابَةٌ خُلَسُ التَّسليمِ بِالمقلِ(١)

مَا ذَا عَلَى الدَّهرِ لو لَانتْ عريكتُهُ ... وَرَدَّ فِى الرأسِ مِنِّى سَكرةَ الغَزلِ(٢)

* * *

يَغشَى الوغَى وشِهابُ الموتِ فى يَدِهِ ... يَرمِي الفوارسَ والأبطالَ بالشُّعَلِ(٣)

يَفْتَرُّ عِندَ افْتِرَارِ الحرْبِ مُبْتَسِمًا ... إذا تغيَّرَ وجهُ الفارسِ البَطَلِ(٤)

مُوفٍ عَلَى مُهَجٍ واليومُ ذُو رَهَجٍ ... كأنَّهُ أجَلٌ يَسْعَى إلَى أَمَلِ(٥)

يَنَالُ بالرِّفقِ مَا يَعيا الرِّجالُ بِهِ ... كالموتِ مُستعجِلًا يأتِي عَلَى مَهَلِ(٦)

لا يَرحَلُ الناسُ إلَّا نَحوَ حُجرتِهِ ... كالبيتِ يُضحِي إليه ملتقَى السُّبُلِ(٧)

يَقْرِى المَنيَّةَ أرواحَ الكُماةِ كما ... يَقْرِى الضُّيوفَ شُحومَ الكُومِ والبُزُلِ(٨)

يَكْسُو السيوفَ دِماءَ الناكثينَ بِهِ ... ويَجعَلُ الهامَ تِيجانَ القَنَا الذُّبُلِ(٩)

---

(١) الخلس : جمع خلسة : الفوز بالشىء على غفلة صاحبه (الرقيب) والمقل جمع مقلة : العين .

(٢) العريكة : الخلق والطبيعة . لانت عريكته كان سهلا مواتيا .

(٣) الفارس : راكب الفرس . الشعل : جمع شعلة : لهبة النار .

(٤) افتر الرجل : ضحك ضحكا حسنا . افترار الحرب شدتها على سبيل الاستعارة . يقول إذا حميت الحرب وشحبت الوجوه كان ضاحكا لشجاعته .

(٥) موف مشرف . المهج : جمع مهجة : دم القلب . رهج غبار . فهو فى الحرب متمكن من أعدائه كالأجل المحتوم يمشى إلى غايته . وربما قرئ يسعى الى أجل .

(٦) يعيا : يعجز فهو أسرع من الموت الى النفوس .

(٧) البيت الحرام بمكة حيث يلتقى الحجاج .

(٨) يقرى : يطعم . المنية : الموت . الكماة : جمع كمى : الشجاع . الكوم : الجماعة من الابل . البزل جمع بازل : الناقة فى تاسع سنيها .

(٩) الناكث : الناقض عهده . الهام : جمع هامة الرأس . القنا : جمع قناة الرمح . الذبل الدقيقة . يرفع رءوس الأعداء على الرماح كأنها تيجان لها .

يَغْــدُو، فتغدُو المَنَـايا فى أسِنَّتِه ... شَوارِعًا تَتحَـدَّى النَّـاسَ بِالأَجَلِ (١)

وقال فى الغَزَل :

إذا التَقَيْنَا منَعْنَـا النَّومَ اعيُنَنَـا ... ولا نُلائِمُ نومًا حِينَ نَفــتَرِقُ (٢)

أُقِرُّ بالذنْب مِنِّى لَست أَعرِفُــهُ ... كَيْمَا أقــولَ كما قَالَتْ فنتَّفِقُ (٣)

حَبَستُ دمعِى عَلى ذَنْب تُجـدِّدُه ... فكلَّ يَومٍ دمُوع العــين تَستَبِقُ (٤)

(٦) قال أبو العتَاهِيَة فى القناعة : (٥)

شِدَّةُ الحِرص مَا علِمتَ وَضَاعَةْ ... وَعَنَـاءٌ وفَاقَــةٌ وضَــراعَةْ (٦)

إنمَـا الرَّاحَةُ المرِيحَــةُ فى اليأ ... سِ من النَّاسِ، والغِنَى فى القَنَاعَة

نَحنُ فِى دَارِ مَرْتَعٍ غِبُّــهُ المو ... تُ، ودارٍ سَــرَّاعَةٍ خَدَّاعَــة (٧)

عزَمَ الليــلُ والنهـارُ على أنْ ... لَا يَمَلَّا تَفْــرِيقَ كُلِّ جمَـاعَة

---

(١) يغدو : يسير . الأسنة : جمع سنان الرمح . شوارع مسدّدة مصوّبة . تتحدى : تدعو إلى مباراتها وتكذيبها . رماحه متمكنة من أرواح خصومه حتى أنها تنذرهم آجالهم وتدعوهم إلى معارضتها لو استطاعوا .

(٢) نلائم نوافق . نحن فى اللقاء نسهر لننعم بلذة القرب و إذا افترقنا سهرنا لألم الفراق .

(٣) يقول تجنى على ذنوبا لم أفعلها فأوافقها حتى لا أكون معها فى خلاف .

(٤) يبكى على ذنوب تختلقها عليه دائما فهو لذلك دائم البكاء . تستبق : يسابق بعضها بعضا .

(٥) هو اسماعيل بن القاسم ، نشأ بالكوفة يعالج الشعر مع السام بمذاهب المتكلمين والفلاسفة ، و يغلب على شعره الزهد والسهولة وقد مات سنة ٢١١ هـ .

(٦) وضاعة : خسة ولؤم . فاقة : فقر وحاجة . ضراعة : تذلل وخضوع .

(٧) مرتع : إقامة وتنعم . غبه : عاقبته .

وقال فى صبوته فى مطلع قصيدة يمدح بها الهادى :

لَهفِى على الزَّمَنِ القَصِيرِ بَيْنَ الخَوَرْنَقِ والسَّدِيرِ (١)

إذْ نَحنُ فى غُرَفِ الجِنَا نِ نَعُومُ فِى بَحرِ السُّرُورِ

فِى فِتيَةٍ مَلَكُوا عِنَا نَ الدَّهْرِ أمثَالِ الصُّقُورِ (٢)

مَا مِنهمُو إلّا الجَسُو رُ علَى الهَوى غيرُ الحَصُورِ (٣)

يتَعاوَرُونَ مُدَامَةً صَهْبَاءَ من حَلَبِ العَصِيرِ (٤)

عَذْرَاءَ رَبَّاهَا شُعَا عُ الشَّمْسِ فى حَرِّ الهَجِيرِ (٥)

لم تَدْنُ مِن نَارٍ، ولم يَعْلَقْ بِهَا وَضَرُ القُدُورِ (٦)

ومُقَرْطَقٍ يَمشِى أما مَ القَوْمِ كالرَّشَإِ الغَرِيرِ (٧)

بزجاجة تستخرج الـ ـسِّرَّ الدَّقيق من الضَّمِيرِ (٨)

---

(١) لهفى : أى أتحسر . الزمن القصير ؛ لأنه زمن سرور . الخورنق والسدير قصران كانا بظاهر الحيرة للنعمان بن المنذر يطلقان على نهرين .

(٢) عنان الدهر : تصريف شئونه ، والعنان : الزمام ، والصقور : جمع صقر ، وهو جارح شديد حاد النظر يشبه به الفتيان فى الصولة .

(٣) الحصور : الحيى العاجز .

(٤) يتعاورون : يتعاطون ويتداولون . مدامة : خمرا . صهباء : حمراء . عصير العنب : ما تحلب منه .

(٥) عذراء : بكر . الهجير : شدة الحر . يقول : وهى خمر معتقة لم تطبخ بالنار بل بالزمن وحرارة الطبيعة .

(٦) وضر : قذر . القدور : جمع قدر .

(٧) مقرطق ، لابس القرطق : وهو نوع من الثياب . الرشأ : ولد الظبية . الغرير : غير المجرب ، أى الصغير الظريف .

(٨) يقول أن الخمر تدع شاربها ثملا ؛ فيظهر ما فى نفسه من الأسرار .

زَهْرَاءَ مِثلِ الكوكَب الـ ـدُّرِّىِّ فى كَفِّ المدِيرِ (١)
تَدَعُ الكَرِيمَ وليسَ يَدْ رِى مَا قَبِيلٌ مِنْ دَبِيرِ (٢)

ومن قوله يمدح المهدى :

أَتَتْــهُ الخلافَةُ مُنقادَةً إليهِ تُجَــرِّرُ أَذْيالَهَــا (٣)
فلَمْ تَكُ تَصْــلُحُ إلَّا لَهُ ولم يَكُ يَصلُحُ إلَّا لَهَــا
ولَوْ رَامهــا أحدٌ غيره لزُلزِلَتِ الأرضُ زِلْزَالَهَــا
ولَو لَمْ تُطعْهُ بَنَاتُ القُلو بِ ما قَبِـلَ اللهُ أعمالَهَا (٤)
وإنَّ الخَلِيفَةَ من بُغضِ لَا إلَيْهِ لَيُبْغِضُ مَنْ قَالَهَــا (٥)

(٧) وقال أبو تمَّــام (٦) يصف الربيع :

مَطَرٌ يَذُوبُ الصَّحوُ منــهُ وبعدَهُ صَحْــوٌ يكادُ من الغَضَارَةِ يُمطِــرُ (٧)
غَيْثَانِ : فَالأنــواءُ غيث ظَاهِرٌ لَكَ وَجهُهُ، والصحو غَيثٌ مُضْمَرُ (٨)

(١) الدرى : المتلألئ كالدر، والمدير : الساقى .

(٢) لا يعرف قبيلا من دبير : أى لا يدرى ما يصنع .

(٣) جرر ذيله : تاه ودل فالخلافة تفخر به .

(٤) بنات القلوب : حباتها . من لم يخلص للخليفة لا يتقبل الله عمله .

(٥) بغض لا أى يكره كلمة لا عند السؤال .

(٦) هو حبيب بن أوس الطائى نسبة . ولد فى قرية جاسم بحوران من أرض الشام ولكنه تأدب فى مصر، وبرع فى الشعر . و يمتاز بجرى البديع ولا سيما الجناس والطباق . وكانت وفاته سنة ٢٣١ هـ .

(٧) الصحو : ذهاب الغيم . يقال : يوم صاح اذا لم يكن فى سمائه سحب . والغضارة : النعمة والخصب . يقول : أن هذا المطر، وان ذهب بالصحو يعقبه صحو ولكنه يكاد لطيبه وخصبه يمطر .

(٨) غيثان : مثنى غيث . وهو المطر . والأنواء : جمع نوء، وهو هنا المطر . يقول : انك واجد فى هــذه الحالة مطرين لا واحدا : أحدهما هو الظاهر الذى تسح به السماء، وثانيهما مخفى وهو الذى تكاد تجود به النضارة فى الصحو على ماذكر فى البيت السابق .

ما كانت الأيامُ تَسلُبُ بهجةً لَوْ أنَّ حُسنَ الروضِ كانَ يُعَمَّر (١)

أَوَلا تَرى الأشياءَ إن هي غُيِّرتْ سَمُجتْ وحُسنُ الأرضِ حينَ تَغَيَّرُ (٢)

يا صاحِبَيَّ تقصَّيا نظرَيْكُما تَرَيا وُجوهَ الأرضِ كيفَ تصوَّرُ (٣)

تَرَيا نهارًا مُشْمِسًا. قد شابَه زَهْرُ الرُّبَى فكأنما هُوَ مُقْمِرُ (٤)

دُنيا مَعاشٌ للوَرى ، حَتَّى إذا حَلَّ الرَّبيعُ فإنَّما هِيَ مَنْظَرُ (٥)

أضحتْ تَصوغُ بُطونَها لِظُهورِها نَوْرًا تكادُ له القلوبَ تَنَوَّر (٦)

مِنْ كُلِّ زاهرةٍ تَرَقرَقُ بالنَّدى فكأنَّها عينٌ اليكَ تَحَدَّرُ (٧)

تبدو ، ويحجبُها الجميمُ كأنَّها عَذْراءُ تبدو تارةً وتَخَفَّرُ (٨)

حَتَّى غدتْ وهَداتُها ونِجادُها فِئتينِ في خِلَعِ الرَّبيعِ تَبَخْتَرُ (٩)

---

(١) يعمر بالبناء للمجهول يطول عمره .

(٢) سمج الشيء سماجة : قبح وتغير . يقول : أن الأشياء إذا تغيرت قبحت أما حسن الأرض ففى تغييرها بنضارتها وتفتح الأزهار فى رياضها .

(٣) تقصيا : تتبعا .

(٤) شابه : خالطه . الربى : جمع ربوة ، وهى المرتفع من الأرض . يقول مع أن النهار صاح تتألق فيه الشمس فان زهر الربى يكاد يريك فيه القمر .

(٥) يقول : ان الدنيا ما تزال للسعى فى سبيل العيش ، حتى اذا جاء الربيع تحولت الى منظر للبهجة والنعمة .

(٦) النور بفتح النون : الزهر الأبيض ، والضمير فى (بطونها) يرجع الى الأرض .

(٧) ترقرق : ترقرق الماء : جرى جريا سهلا ، وترقرق الدمع فى العين : دار فيها دون أن يسيل . ويقال حدرت العين الدمع : أرسلته ومثله تحدر فى البيت .

(٨) الجميم : النبات . وتخفر : أى تستحى أشدّ الحياء وهى اذا استحت استخفت .

(٩) الوهدات : جمع وهدة ، وهى الأرض المنخفضة . ويقال : وهد جمعه وهاد . النجاد : جمع نجد وهو ما ارتفع من الأرض . والخلع : جمع خلعة ، وهى الثوب ، و (تبختر) : تتبختر .

مُصــفرةٌ مُحْمــرةٌ ؛ فكأنّهــا ... عُصَبٌ تَيَمّنُ فى الوَرى وتَمَضّرُ (١)

منْ فَاقِعٍ غَضِّ النَّبَاتِ كأنّهُ ... دُرٌّ يُشَــقَّقُ قبــلُ ثمُ يُزَعفَــرُ (٢)

أو سَاطِعٍ فى حمــرة فكأنّ ما ... يدنُو اليــه من الهــواءِ مُعَصْــفَرُ (٣)

صِبغُ الذى لولَا بَدَائِعُ لُطفِــه ... ما عادَ أصفرَ بَعــدَ إذ هُوَ أخضَرُ (٤)

وقال يرثى ولدين لعبد الله بن طاهر ماتا فى يوم واحد :

نجمَــانِ شاءَ اللهُ ألا يَطْلُعــا ... إلّا ارتِدادَ الطَّرف حَتّى يأفِلا (٥)

أن الفجيعَة بالرياضِ نَوَاضِرا ... لَأجَلُّ منهــا بالرياضِ ذوابِلَا (٦)

لو يُنْسَآنِ لكَان هـــذا غاربًا ... لِلْمَكْرُمَات، وكَان هذا كَاهِلَا (٧)

لهْفِى على تلكَ المخَــايِلِ فيهما ... لَو أُمهِلتْ حَتّى تكون شَمَــائِلا (٨)

---

(١) كان أهل اليمن يتخذون العمائم والرايات الصفراء، وكانت مضر تتخذها حمراء وهذا تفسير البيت . العصب : جمع عصبة : العمامة .

(٢) فاقع : شديد الصفرة . غض : طرى ناعم . يزعفر : يصبغ بالزعفران . وهو نبات أصــفر الزهر . يشبه الزهر الأبيض مع صفرة باطنه باللؤلؤ المثقوب المدهون من الداخل بالزعفران .

(٣) ساطع : مرتفع منتشر . معصفر : مصبوغ بالعصفر، صبغ أصفر أى كأن الهواء الذى يقاربه معصفر .

(٤) يريد أن هذا من صنع الله الذى يبدع فى خلقه ما يشاء .

(٥) أفل النجم : غرب . ارتداد الطرف : أى مقــدار ارتداده ، والطرف : العين يعبر بهذا عن سرعة موتهما قبل البقاء القصير فى الحياة .

(٦) يقول الشاعر أن موتهما فى حداثة السن أدعى الى جلالة المصاب فيهما مما لو ماتا مسـنين فان الخسارة فى ذهاب الروض ناضرا أعظم منها اذا ذبلت أزهاره و يبست غصونه .

(٧) نسأه : أخره وأجله . وغارب البعير : ما بين سنامه وعنقه . والكاهل : أعلى الظهر ممــا يلى العنق . يريد أنهما لو عاشا لكانا المتقدمين فى المكرمات .

(٨) المخايل : المظان، واحدها مخيلة بفتح الميم وكسر الخاء . والشمائل : جمع شمال، وهو الطبع .

لَغَدا سكوتُهما حِجًى، وصِباهُمَا حِلْمـا ، وتلك الأَرْيحيَّةُ نائلا (١)

إن الهِـلَال اذا رأيتَ نُموَّه أيقنتَ أن سَيصيرُ بدرا كامِلا (٢)

(٨) من قصيدة للبُحْتُرِىّ يعتذرُ للفتح بن خاقان : (٣)

لَوَتْ بالسلام بَنـانًا خَضِيبًا ولَحْظًا يَشوقُ الفؤادَ الطروبا (٤)

* * *

فدَينـاكَ من أى خطب عَرا ونائبـةٍ أوشكت أن تَنُوبا

وإن كان رأيُك قـد حال فِىَّ ولقَّيتَنِى بعـد بِشر قُطُوبَا (٥)

وخَيَّبتَ أسبابىَ النازعات إليكَ ، وما حَقُّهـا أن تَخيبا (٦)

يَرِيبُنِـىَ الشىءُ تأتى بهِ وأُكبِرُ قـدرَك أن أستَرِيبـا (٧)

(١) الحجى : العقل . والأريحية : الارتياح للمعروف . والنائل : العطاء .

(٢) هـذا البيت بمثابة التدليل على ما قبـله ؛ فانه فى البيتين السابقين ادعى أنه لو أمهلت المخايل فى هذين الغلامين حتى تنعقد خلالا لأصبح ما يرى فيهما سكوتا عقلا وصباهما حلما وارتياحهما للمعروف عطاء؛ فان المرء إذا شهد الهلال فى أول الشهر لا يشك فى أنه سيصير فى منتصفه بدرا كاملا .

(٣) هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائى . ربى فى ناحية منبج بين أعراب طيئ وتخرج رقيق الشـعر بديع الخيال سلس الأسلوب واتصل بالمتوكل والفتح بن خاقان وقد مات سنة ٢٤٨ هـ .

(٤) لوت : أشارت . والبنـان : أطراف الأصابع المفرد بنانة . خضيب : مخضب بالحنـاء . واللحظ : طرف العين ممـا يلى الصدغ . يشوق الفؤاد : يهيجه . يقول : أنها سلمت عليه بأناملها ولحظها الجميل الساحر .

(٥) حال : تحوّل وتغير .

(٦) الأسباب : جمع سبب . الحبل والمراد الآمال المتعلقة بك .

(٧) يريبنى : يبعث فى الريب أى الشك أو الألم . يقول : تعرض عنى ، فأتألم أو أشك فى رضاك عنى، ثم أعود فأرى أنك أكبر من أن أظن فيك الاعراض عنى .

وأكرهُ أنْ أتمادى على سبيلِ اغترارٍ، فألقَ شَعُوبا (١)
أكذِّبُ ظنّي بأن قد سخِطتَ وما كنتُ أعهد ظنّي كذوبا
ولو لم تكن ساخطا لم أكن أذُمُّ الزمان، وأشكو الخطوبا
وما كان سخطُك إلا الفراقَ أفاضَ الدموع وأشجى القُلوبا
ولو كنتُ أعرِف ذنبًا لما كا نَ خامَرَنى الشكُّ فى أنْ أتوبا
سأصبِر حتى ألاقى رضاك فإمّا بعيدا، وإمّا قريبا
أراقبُ رأيكَ حتى يَصحّ وأنظُر عطفَك حتّى يثُوبا (٢)

وقال يصف بركة المتوكل من قصيدته التى مطلعها :

ميلُوا إلى الدارِ من ليلى نُحيّيها نعم، ونسألها عن بعضِ أهليها (٣)

***

ما بالُ دِجْلةَ كالغَيْرَى تُنافسُها فى الحُسنِ طوراً، وأطوَارًا تُباهيها (٤)
تَنْصَبُّ فيها وفودُ الماء مُعجَلةً كالخيل خارجةً من حَبْل مُجريها
كأنما الفِضّةُ البيضاءُ سائلةً من السّبائك تجرى فى مجاريها (٥)

---

(١) الاغترار : الخديعة . وشعوب بفتح الشين : الموت . يقول : إنى أكره طول المكث على هذا الشك خوف الهلاك .

(٢) يصح : يثبت له برائى . و يثوب يرجع .

(٣) ميلوا الى الدار : عرجوا عليها ومن ليلى أى دار ليلى .

(٤) دجلة : نهر معروف بين العراق وفارس . والضمير فى تنافسها : يعود على البركة المذكورة فى بيت لم يذكر . تباهيها : تفاخرها .

(٥) السبائك : جمع سبيكة القطعة من الفضة ونحوها أذيبت وأفرغت فى قالب .

إذا علتها الصَّبَا أبدت لها حُبُكا ... مثلَ الجوَاشِنِ مصقولًا حواشيها (١)
فحاجِبُ الشمس أحياناً يضاحكُها ... ورَيّق الغيثِ أحيانا يُباكيها (٢)
إذا النجومُ تراءتْ فى جَوانبها ... ليلًا حسِبتَ سماءً رُكِّبتْ فيها (٣)

(٩) وقال ابن الرومى يصف السحاب : (٤)

مُتَهَلِّلٌ زَجِلٌ تُحَلّ رَوَاعِدُ ... من حُجْزَتَيْه وتستطير بُروق (٥)
سَدت أوائلُه سبيلَ أواخرٍ ... لم يدر سائقهُن كيف يَسوقُ (٦)
فسخَا، وأسعدَ حَالِبَيْه بِدِرَّةٍ ... منه سواعدُ ثَرَّةٌ وعُروقُ (٧)
وتَنَفّست فيه الصَّبَا فتبجّستْ ... منه الكُلَى؛ فأديمهُ معقُوقُ (٨)

(١) الصبا : ريح شرقية . الحبك : طرائق سطح الماء وغضونه . والجواشن : جمع جوشن : الدرع ، يشبه غضون وجه الماء الناشئة عن الريح بغضون الدرع المصقولة .

(٢) ريق الغيث : أوّله وأفضله . والغيث : المطر . ومعنى يباكيها يهبط عليها فترتد منها قطرات صعدا فهما متباكيان وكذلك يضاحكها حاجب الشمس بالقع الذى يبدو على صفحة البركة مقابلا نور الشمس .

(٣) تراءت : ظهرت منعكسة . يشبه البركة وخيال النجوم بالسماء الصافية واضحة النجوم .

(٤) هو أبو الحسن على بن العباس بن جريج الرومى ولد ببغداد سنة ٢٢١ هـ . وعاش فيها وأجاد الشعر ولا سيما الوصف والهجاء، وكان كثير التطير والتشاؤم مات سنة ٢٨٣ هـ .

(٥) متهلل : متلألئ بالبرق ، وزجل : أى مصوت بالرعد ، ومن معانى زجل طروب . الحجزة : فى الأصل معقد الازار استعارها للتق قطع السحاب .

(٦) يعنى أن مقدّمة السحاب كثيفة متراكة الأجزاء ، سدّت الطريق على مؤخرتها فلا سبيل الى سيرها .

(٧) سخا : كرم . والدرة : اللبن يشبه به الماء . ومعنى ثرة : غزيرة الماء فياضة .

(٨) الصبا : ريح شرقية . وتبجست : انفجرت . والكلى : جمع كلية أى الجانب . الأديم : الجلد ، ومعنى معقوق : مشقوق . يذكر تأثير الرياح فى نزول المطر .

حتى إذا قُضِـيتْ لِقيعان المـلا ... عنـهُ حقُوقٌ بعـدهنّ حقُوق (١)

طَفِقتْ رواياهُ تَجُـرُّ مَزادَهـا ... فَوق الرُّبَى ومزادُهَـا مشـقوق (٢)

وتضَاحك الروضُ الكئيبُ بصوبهِ ... حتى تَفَتَّـقَ نَورُهُ المـرتُوق (٣)

وتبسَّـمتْ نَفحاتُه فكأنه ... مِسـكٌ تَضوّع فأْرُه مفتـوقُ (٤)

وتغـرَّد المُكَّاءُ فيـه كأنهُ ... طـرِبٌ تعـلَّل بالغنـاء مشُوقُ (٥)

وقال فى العزلة :

ذُقتُ الطُّعومَ فما التذذتُ براحَةٍ ... من صُحبةِ الأخيـارِ والأشرار

أمّا الصَّـديق فـلا أحبُّ لِقاءَهُ ... حَذَر القِـلَى وكراهَةَ الأعوار (٦)

وارى العـدوَّ قذًى فأكرَه قُربه ، ... فهَجرتُ هـذا الخَلْقَ عن أعذار (٧)

أرِنِى صـديقًا لاينـوءُ بِسَـقطةٍ ... مِن عَيبه فى قَـدرِ صَـدر نَهارِ (٨)

أرِنى الذى عاشرتَه فوجـدتَه ... مُتغاضِياً لك عن أقلِّ عِثـارِ

---

(١) القيعان : جمع قاع : أرض سهلة مطمئنة انفرجت عنها الجبال .

(٢) الروايا : السحب العظيمة القطر . والمزادة : جلدة المـاء (القربة) . والربى : جمع ربوة : الأرض المرتفعة . يصف المطر بالغزارة حتى عم الوديان والهضاب .

(٣) النور : الزهر . والصوب : دفعة المطر . يذكر ازدهار الرياض من تأثير المطر .

(٤) تبسمت النفحات : أى هب شذاها ، وفأرة المسك : وعاؤه .

(٥) المكاء : طائر أبيض له صفير . تعلل : تلهى وتصبر . ومشوق : صفة لطرب .

(٦) القـلى : البغض ، والأعوار : العيـوب (والمعنى) لا أحب مجالسـة صديق خوف حدوث ما يكدر صلتنا أو ظهور معايبنا .

(٧) القذى : ما يقع فى العين ، فيجعلها تدمع يشبه به العدوّ فى الكراهية والتأذى به .

(٨) ينوء بسقطة : يعيا بحملها فتسقطه . ومعنى (فى قدر صدر نهار) فى فترة قصيرة .

مِنْ جَورِ إخوانِ الزمانِ سُرورهم ... بتفاضُلِ الاحوالِ والأخطار [1]

لو أنَّ إخوانَ الصفاء تناصفُوا ... لم يفرَحوا بتفاضُلِ الأعمار

أأحب قوما لم يُحِبُّوا ربَّهمْ ... إلَّا لِفِردَوسٍ لديه ونار؟

(١٠) قال ابن المعتز : [2]

ولَرُبَّ هَاجِرَةٍ يَقِـ ... ـلُّ بِحَرِّها صَبْرُ الركائبْ [3]

كلَّفْتُها وجناءَ يَذْ ... رَعُ خَطْوُها عَرضَ السَّباسِبْ [4]

والشمس تأكُلُ ظِلَّها ... أكلَ اللظَى عِيدانَ حَاطِبْ [5]

وقال :

ونسيمٍ يُبشِّرُ الأرضَ بالرَّو ... ضِ كذَيلِ الغِلالَةِ المبلُولِ [6]

ووُجُوهُ البلادِ تنتظرُ الغَيْـ ... ـثَ انتظارَ المُحبِّ رَجْعَ الرسولِ [7]

---

(١) الجور : الظلم . يقول من مظاهر ظلم الإخوان بعضهم بعضا أن يسر أحدهم لفوزه على إخوانه مما يدل على الاثرة وعدم الاخلاص . والبيت الذى يليه مؤكد له .

(٢) هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله الخليفة العباسى ولد سنة ٢٤٩ هـ . وتربى تربية الخلفاء، وأولع بالشعر ونبغ فيه ولا سيما الوصف . وبويع بالخلافة بعد خلع المقتدر، ولكنه قتل أول ليلة من حكمه سنة ٢٩٦ هـ . وعاد المقتدر للخلافة .

(٣) الهاجرة : نصف النهار فى القيظ .

(٤) كلفتها : جشمتها . الوجناء : الناقة الشديدة . يذرع : يقطع، وأصل ذرع : قاس بالذراع . السباسب : جمع سبسب : المفازة : يريد أنه يقطع المفاوز فى الهواجر كأنه مكلف قياسها .

(٥) اللظى : النار . الحاطب : من يجمع الحطب .

(٦) الغلالة : القميص يريد أنه نسيم ندىّ ..

(٧) وجوه البلاد : جوانبها، والمراد الأرض . الغيث : المطر . رجع : رجوع .

وقال يَصفُ قلمَ القاسم بن عبيد الله :

قَــلمٌ ما أراهُ أمْ فلكٌ يجـ ـرِى بما شَاءَ قاسِمٌ ويسـيرُ؟ (١)

ساجِدٌ خاشِعٌ يُقبِّــلُ قرطا ساً كما قَبَّــلَ البِسَاطَ شَكُور (٢)

مرسَــلٌ لا تراه يحبسه الشَّـ ـكُّ اذا مَاجَرى ولا التفكيرُ (٣)

كم منَايا وكم عطايا وكم عيـ ـشٍ وَحَتْفٍ تَضُم تِلكَ السطور (٤)

وقال :

كُنْ جَاهِـلًا أو فتجاهل تَفُـزْ للجهل فى ذا الدهرِ جاهٌ عَريضْ (٥)

والعَقلُ محــرومٌ يرَى ما يرى كما ترَى الوارثَ عينُ المرِيضْ (٦)

وقال فى مثل هذا المعنى :

لمــا رأيتُ العيشَ عيشَ الجَاهِل ولم أرَ المغبُونَ غيرَ العـاقِل (٧)

---

(١) شبه قلم الممدوح بالفلك لأنه لا يقف ولا يعوقه فى مداره شىء .

(٢) القرطاس : الصحيفة التى يكتب فيها يشبه القلم كاتبا فى القرطاس بمن يكب رأسه على الأرض ليقبل البساط بين يدى الأمير .

(٣) مرسل : ماض فى الكتابة لا يقف لأن صاحبه حاضر الرأى سديد الفكر .

(٤) المنايا : جمع منية الموت . العيش : الحياة . الحتف : الموت . يقول : ان توقيعاته تتضمن كثيرا من أسباب الحياة والموت لعظم منصبه ونفوذ أمره .

(٥) الجاه : القدر وعلو المنزلة .

(٦) يرى ما يرى من تمتع الجهال بالسلطان والنعمة وبعدهما عن أهل الفضل . شبه هــذه الحال بالمريض يرى أن كل ما كد فى جمعه من المــال صائر الى وارثه بلا كد ولا عناء ، فيتألم ولا يستطيع أى عمل .

(٧) العيش هنا : الحياة السعيدة . المغبون : المضيع الحق .

رَكِبْتُ عَنْسًا من كُرومِ بَابِلِ فَصِرتُ من عَقْلِي عَلَى مَراحِلِ (١)

وقال :

أعاذِلُ قد كبرتُ على العِتَاب وقد ضحِكَ المشيبُ على الشبَاب (٢)

رَدَدْتُ الى التُّقَى نَفْسِي فقَرَّتْ كما رُدَّ الحسَامُ الى القِراب (٣)

وقال يَصفُ حال الموتى فى قبورهم :

وَسُكَّانِ دَارٍ لا تَزاوُرَ بينهُمْ على قُرْبِ بَعْضٍ فى المَحَلَّة من بَعِض (٤)

كأنَّ خَواتِيمًا منَ الطينِ فوقَهمْ فليسَ لهَا حتى القِيامَةِ من فَضّ (٥)

وقال يصفُ الخيل فى حلبة السباق :

خَرجْنَ وبعْضُهنَّ قريبُ بَعْضٍ سِوَى فوْت العِذَارِ أو العِنانِ (٦)

تَرَى ذا السَبْقِ والمسبُوقَ مِنها كما بسطتْ أنامِلَها اليدانِ (٧)

---

(١) العنس : الناقة الصلبة . ويريد بها الخمر الجيدة المعتصرة من كروم بابل وهى مدينة كلدانية قديمة على الجانب الأيسر للفرات معروفة بالسحر والخمر . الركوب هنا : الشرب . يقول : لما رأيت أن الظلم واقع على العقلاء، شربت الخمر لمفارقة عقلى .

(٢) العاذل : اللائم . كبرت سنى فلا عتب؛ واذا فلا أستحق لوما .

(٣) يريد أنه عاد الى التقى بعد اللهو كما يعود السيف الى قرابه بعد بلائه فى الحروب .

(٤) سكان الدار : الموتى . المحلة : المكان ينزل فيه الناس .

(٥) الخواتيم : جمع خاتام، وهو ما يختم به على الشىء كالختم . فض الختم عن الكتاب كسره وفتحه .

(٦) عذار الفرس : شعر ناصيته . العنان : سير اللجام . يعنى أنها متتابعة لا تفاوت بينها إلا قليلا .

(٧) الأنامل : جمع أنملة : طرف الأصبع . يقول : إن الفرق بين السابق والمسبوق كالفرق بين أنامل اليدين اذا بسطت . يصف الخيل بالكرم والاصالة .

وقال :

ولقــد قضَــتْ نفسِى مآربهـا وقضيتُ غيًّـا مرّةً ورَشَــدْ [١]

ونهـارُ شيْب الرأس يوقــظ مَن قدكان فى ليــل الشّـبَاب رقَــدْ [٢]

(ب) النـــــثر

(١) كتب ابنُ المقفَّع [٣] فى السلامة

أما بعــدُ ، فقد أتانى كتابُك فيما أخبرتَنا عنــهُ : من صَلاحِك ، وصلاحِ مَن قبلَك ؛ وفى الذى ذكرتَ من ذلك نِعمةٌ مجلّلةٌ عظيمةٌ يُحمَد عليها ولِيُّها المنعِمُ المتفضلُ المحمود . ونسألُه أن يُلهمَنا وإياكَ من شُكرِهِ وذِكرِه ما به مَزيدُها وتأديةُ حقّها .

وسألتَ : أن أكتب إليــك بخبرنا ، ونحنُ من عافيــة اللهِ وكفايتِــه ودفاعه على حال لو أطنبتُ فى ذكرها لم يكن فى ذلك إحصاءٌ للنعمــة ، ولا اعترافٌ بكُنه الحق . فنرغَبُ للذى تزدادُ نِعَمُهُ علينَا فى كُلِّ يوم وليلة تظاهرًا [٤] — ألا يجعلَ شكرَنا مَنقوصا ، ولا مدخولا [٥] ، وأن يرزقنَا من كُلِّ نعمة كِفاءَها [٦] : من المعرفة بِفضله فيها ، والعمل فى أداء حقها ؛ إنه ولى قدير .

---

(١) الغى : الضلالة . والرشد : الهدى . قضت نفسه مطالبها مما تشتهى بين الهدى والضلال .

(٢) شبه الشيب بالنهار لبياض الشعر والشباب بالليل لسواده والرقاد هنا : الغفلة عن حساب الآخرة .

(٣) هو أبو محمد عبد الله بن المقفع ، فارسى ، نشأ نشأة عربية متأثرة بالثقافة الفارسية واليونانيــة فظهر كاتبا بليغا ومترجما مجيدا مات بالبصرة سنة ١٤٢ هـ .

(٤) التظاهر : الظهور .

(٥) المدخول : ما دخله الرياء .

(٦) كفاءها : جزاءها .

(٢) وكتب عمرو بن مسعدة[1] الى المأمون فى رجل يستشفع له بالزيارة فى منزلته وجعل كتابه تعريضا لنفسه

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ اسْتَشْفَعَ بِي فُلَانٌ (يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ) لِتَطَوُّلِكَ[2] عَلَيَّ فِي إِلْحَاقِهِ بِنُظَرَائِهِ مِنَ الْخَاصَّةِ فِيمَا يَرْتَزِقُونَ . وَأَعْلَمْتُهُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يَجْعَلْنِي فِي مَرَاتِبِ الْمُسْتَشْفِعِينَ وَفِي ابْتِدَائِهِ بِذَلِكَ تَعَدَّى طَاعَتِهِ وَالسَّلَامُ . فوقع المأمون : قد عرفنا تصريحك له وتعريضك لنفسك . وأجبناك اليهما ووقفناك عليهما .

وكتب الى الحسن بن سهل :

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكَ مِمَّنْ إِذَا غَرَسَ سَقَى وَإِذَا أَسَّسَ بَنَى، لِيَسْتَتِمَّ تَشْيِيدَ أُسِّهِ، وَيَجْتَنِيَ[3] ثِمَارَ غَرْسِهِ . وَثَنَاؤُكَ عِنْدِي قَدْ شَارَفَ الدُّرُوسَ[4]، وَغَرْسُكَ مُشْفٍ[5] عَلَى الْيُبُوسِ، فَتَدَارَكْ بِنَاءَ مَا أَسَّسْتَ، وَسَقْيَ مَا غَرَسْتَ . إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

---

(١) هو عمرو بن مسعدة بن سعيد بن صول أحد وزراء المأمون كان جدّه من الترك المجوس ثم أسلم ونشأ عمرو ببغداد وأخذ على علمائها ، ثم اندمج فى كتاب الديوان وصار كاتب التوقيع بين يدى جعفر بن يحيى وتولى ديوان الخاتم للأمون وديوان التوقيع وبقى فى خدمة المأمون حتى مات فى غزوة معه سنة ٢١٦ هـ . وكان من كبار الكتاب وبلغائهم اشتهر بكثير من رسائله البليغة الموجزة .

(٢) تطول عليه : امتن عليه .

(٣) اجتنى الثمر بمعنى جناه .

(٤) شارف الشيء : قاربه ودنا منه ، ودرس الشيء دروسا عفا وامحى فهو دارس . يريد أن ثناءه عنده أوشك أن يمحى ولا يبقى له داع .

(٥) أشفى المريض على الموت قاربه .

(٤) كتب الجاحظ[1] فى الاستعطاف

ليس عندى أعزّك الله سببٌ ولا أقدرُ عَلَى شفيع إلا ما طَبَعكَ[2] الله عليه من الكرمِ والرحمةِ والتأميلِ[3] الذى لا يكون إلا من نتاج[4] حُسْنِ الظنّ وإثبات الفضل بحالِ المأمولِ[5]؛ وأرجو أن تكونَ مِنَ الغافرين؛ فتكونَ خيرَ مُعتِب، وأكونَ أفضلَ شاكرٍ . ولَعَلّ اللهَ يجعل هذا الأمر سَبباً لهذا الإنعامِ، وهذا الإنعامَ سبباً للانقطاعِ[6] اليك والكونِ تحت أجنحتكم؛ فيكونَ لا أعظمَ بركة[7]، ولا أنمى بَقيةً من ذنب أصبحتُ فيه وبمثلك — جُعِلتُ فِدَاك — عادًا الذنب وسيلةً والسيئةَ حسنة . ومثلُك من انقلب به الشر خيرا والغرمُ غُنْماً[8] .

من عاقب فقد أخذَ حَظّه ، وإنما الأجْرُ فى الآخرةِ وطيبُ الذكرِ فى الدنيا على قدرِ الاحتمالِ وتجرع المرائر[9]، وأرجو ألّا أضيعَ[10] فيما بين كَرَمِك وعقلِك وما أكثرَ

(١) هو أبو عثمان عمرو الجاحظ بن بحر بن محبوب الكنانى البصرى من أئمة العلم وكان له علم بكل نواحى الثقافة الإسلامية لعهده مع امتياز بمذهب المعتزلة والأدب، توفى فى سنة ٢٥٥ هـ .

(٢) الطبع : السجية . طبع على الكرم : جبل عليه .

(٣) التأميل : كالأمل : مصدر أمل بتشديد الميم المفتوحة .

(٤) نتج الشىء من الشىء : خرج ونشأ .

(٥) حال الذى يستعطفه الكاتب . (٦) انقطع إلى فلان : انفرد بصحبته .

(٧) يريد أنه إذا كان الانقطاع اليه نتيجة ذنبه فما أعظم بركة هذا الذنب وما أكثر ما يعود عليه به من فضل ونعمة .

(٨) الغرم : ما يلزم أداؤه . الغنم : ما يحصل عليه الانسان بلا بدل . يريد يصبح الذنب وسيلة التقرب اليه . وتصير السيئة حسنة لأنها تجعل الشر خيرا .

(٩) تجرع الماء شربه شيئا فشيئا . والمرارة المراد بها هنا الشىء المؤلم .

(١٠) أى أن لى أملا فى العفو لانك عاقل كريم .

من يعفُو عمن صَغُر ذنبه وعَظُمَ حقُّهُ ؛ وإنما الفَضْلُ والثناء، العفو عن عَظِيم الجُرمِ (١) ضَعيفِ الحُرْمَةِ . وإن كان العفوُ عظيما مُسْتَطْرَفًا (٢) من غيرِكم فهو تِلادٌ (٣) فيكم؛ حتى رُبَّمـا دَعَا ذلك كثيرا مِنَ الناسِ الى مُخَالفةِ أمرِكُم؛ فلا أنتم عن ذلك تنكلون (٤)، ولا على سالِفِ احسانكم تندمون . وما مثلُكم إلا كمَثَل عيسى بن مريم عليه السلام حين كان لا يَمُرّ بملأٍ مِن بنى إسرائيـل إلا أسمَعُوه شراً وأَسْمَعَهُم خيرا، فقال له شمعون الصفا (٥) : ما رأيت كاليوم كلما أسمعوكَ شراً أسْمَعْتَهُمْ خَيرا . فقال : كل امرئٍ يُنفِقُ (٦) ما عِندَهُ . وليسَ عِندكُم إلا الخيرُ، ولا فى أوعيتِكُم إلّا الرَّحمةُ . وكل إناءٍ بالذى فيه ينضَـح .

من توقيعات بنى العبـاس

وهو ما يعلقه الخليفة على القصص والرقاع

للسفاح : وَقَّع فى كِتَاب أبى جَعْفَرٍ، وَهُوَ يُحَارِبُ ابْنَ هُبَيْرَة بِوَاسِطٍ .

« إنَّ حِلْمَكَ أَفْسَدَ عِلْمَكَ وتَرَاخِيكَ (٧) أثَّر فى طَاعتِكَ ؛ فخُذْ لى مِنْـكَ، ولك من نَفْسِكَ (٨) » .

---

(١) الجرم : الذنب والحرمة : الصيانة .

(٢) المستطرف : الحديث أو المستحدث ومن المـال المكتسب حديثا .

(٣) التلاد : ما كان لك من قديم مال وغنم، والمراد أصيل .

(٤) نكل عن الأمر : رجع عنه وجبن .

(٥) من أتباع عيسى .

(٦) أنفق المـال : صرفه . وينفق ماعنده : يجود بما لديه .

(٧) التراخى : التأخر والتباطؤ .

(٨) يريد بذلك أن تنتقم له ولمولاه من نفسه بأن يرجع عن هذا الاهمال .

لأبى جَعْفَرٍ : وقع إلى عَامِلِهِ عَلَى حِمْصَ وَجَاءَهُ مِنْـهُ كِتَابٌ فيه خَطَأٌ « استبدل بكاتبك وإلا استُبدل بك » .

لِهرُونِ الرَّشـيد : وقع فِى قصَّةِ البَرَامِكَةِ «أنبتهُ الطَّاعَةُ، وَحَصَدَتْهُ المَعْصِيَةُ» .

لِلْمَأْمُون : وَقَّع الى ابن هِشَام فِى أَمْرٍ تَظلَّمَ فِيهِ « من عَلَامَةِ الشَّرِيفِ أَنْ يَظْلِم من فَوْقَهُ وَيَظْلِمَهُ مَنْ دُونَهُ فَأَىُّ الرَّجُلَيْنِ أَنْتَ ؟ » .

وإلى عَامِلٍ فى قصة مَنْ تَظَلَّمَ مِنْهُ «لَيْسَ مِنَ المُرُوءَةِ أَنْ تَكُونَ آنِيَتُكَ مِنْ ذَهَب وَفِضَّةٍ، وغَرِيمُكَ خَاوٍ وجَارُكَ طَاوٍ» (1) .

وكَتَبَ إِلَيْهِ إبراهيمُ بن المَهْدِىِّ فِى كَلَامٍ لَهُ إِنْ غَفَرتَ فَبِفَضْلِكَ، وَإِنْ أَخَذْتَ فَبِحَقِّكَ فَوقَّعَ فى كِتَابِه « القُـدْرَة تُذْهِبُ الحَفِيظَةَ (2)، والنَّـدَمُ جُزْءٌ مِنَ التَّوبَةِ وبينهما عَفْوُ اللهِ » .

لِجَعْفَرِ بن يَحْيَى : وَقَّعَ فى رَجُل شَكَاهُ بَعْضُ عُمَّـالِهِ « قَدْ كَثُرَ شَاكُوكَ ، وقل شَاكِرُوكَ، فَإِمَّا اعْتَدَلْتَ، وإما اعتزلْتَ، وإلى صَاحب الشُّرْطَة : (تَرَفَّقْ تُوَفَّقْ) .

الكتابة العلمية التأليفية فى هذا العصر

من كتاب كليـــلة ودمنـــة لابن المقفع :

باب السائح والصائغ

قَالَ دبْشَلِيم المَلِكَ لِبَيْدَبَا الفَيلَسُوفِ : قد سَمِعْتُ هذا المَثَلَ . فاضْرِبْ لى مثلا فى شأن الذى يَضَعُ المعْرُوفَ فى غَيْرِ مَوْضِعِهِ، ويَرْجُو الشكْرَ عَلَيْه . قال الفَيْلَسُوفُ :

(١) خوى جوفه من الطعام : خلا ، وطوى بفتح الطاء وكسر الواو وفتح الياء يطوى جاع فهو طاو .

(٢) الحفيظة : هنا الغضب .

أيها الملكُ ! إنّ طَبَائِعَ الخَلْقِ مُختلِفةٌ . ولَيْسَ مما خَلَقَهُ اللهُ فى الدُّنيا مِمَّا يَمْشِى على أَرْبَعٍ أو على رِجْلَيْنِ و يَطِيرُ بِجَنَاحَيْنِ شىء هو أفْضَلُ من الإنسانِ، ولكنْ من الناس البَرُّ (١) والفَاجِرُ. وقَدْ يكُونُ فى بَعْضِ البَهَائِمِ والسِّبَاعِ والطيرِ ما هوَ أوْفَى مِنْهُ ذِمةً (٢) وأشَدُّ مُحَامَاةً على حَرَمِه (٣) وأشْكرُ لِلْمَعْرُوفِ، وأَقْوَمُ (٤) بِهِ . وحينَئِذٍ يَجِبُ على ذَوِى العقل من المُلُوكِ وغيرِهِم أنْ يَضَعُوا مَعْرُوفَهم مواضِعَه، ولا يَضَعُوه عِنْد مَنْ لا يَحْتَمِلُه (٥)، ولا يَقُومُ بشُكرِه، وَلَا يَصْطَنِعُوا (٦) أحدًا إلا بَعْدَ الخِبْرَةِ بِطَرَائِقِه (٧) والمَعْرِفَةِ بِوَفَائِه وَمَوَدَّتِه وشُكرِه . ولَا يَنْبغِى : أنْ يَخْتَصُّوا (٨) بذلك قَرِيبًا لِقَرابَته، إذا كان غيرَ مُحْتَمِل للصَّنِيعَةِ (٩)، وَلَا أنْ يمنعُوا مَعْرُوفَهم (١٠) ورِفْدهم لِلبَعِيدِ إذا كَانَ يَقِيهِم (١١) بنَفْسِه ومايَقْدِرُ عليْه ؛ لأنه يَكُونُ حِيئَئِذٍ عارفًا بحق ما اصْطُنِعَ إليْه، مُؤَدِّيًا لِشُكْرِ ما أُنعِم عَلَيْه، مَحْمُوداً بِالنُّصْحِ، مَعْرُوفًا بالخيْرِ، صَدُوقًا عارفًا (١٢)، مُوثِرًا لِجَمِيلِ الفِعَالِ والقَولِ ، وكَذَلِكَ كُلُّ مَنْ عُرِفَ

---

(١) البر الصالح المحسن .

(٢) الذمة : الأمان والعهد والضمان يقال فى ذمتى كذا أى فى ضمانى .

(٣) الحرم : ما يحميه الرجل و يدافع عنه .

(٤) أقوم : أحق به من غيره .

(٥) احتمل الأمر : أطاقه وصبر عليه .

(٦) اصطنع فلانا : اختاره .

(٧) الطريقة : السيرة والحالة والمذهب ، وجمعها طرائق .

(٨) اختص : به أفرد .

(٩) اصطنع عنده (صنيعة) أحسن اليه . و(الصنيعة) الاحسان .

(١٠) المعروف : الخير و (الرفد) والعطاء والمعونة .

(١١) وقاه : صانه وستره عن الأذى .

(١٢) العارف : الصبور .

بالخِصَالِ المَحْمُودَةِ وَوُثِقَ مِنه بِهـا ، كانَ لِلمَعْرُوفِ مَوْضِعًا ، ولِتَقرِيبِـه واصْطِنَاعِه أَهْلًا : فإنَّ الطَّبِيبَ الرفيقَ العَاقِل لا يَقْـدِرُ على مُدَاوَاةِ المَرِيض إلا بَعْدَ النَّظَرِ إليْه والجَسِ لِعُرُوقِه ومَعْرِفَةِ طَبِيعَتِه وسَبَب عِلَّتِه ، فإذا عَرِفَ ذَلِكَ كُلَّه حَقَّ مَعْرِفَتِه أَقْدَمَ على مُدَاوَاتِه . فَكَذَلِكَ العَاقِلُ لا يَنْبَغِي لَه أن يَصْطَفِيَ أحدًا ولا يَسْتَخْلِصَهُ(١) إلا بَعْدَ الخِبرةِ ؛ فإنَّ مَنْ أقْدَمَ على مَشْهُورِ العَدَالَة من غَيرِ اختبارٍ كان مخاطِراً فى ذلِك ومُشْرِفاً مِنْهُ على هَلَاكٍ وفسادٍ .

ومَعَ ذَلِكَ رُبَّمـا صَنَعَ الإنسَانُ المَعْرُوفَ مع الضَّعِيفِ الذى لَمْ يُجَرِّبْ شُكْرَهُ ، وَلَمْ يعْرِفْ حَالَه فى طَبَائِعِه ، فَيَقُومُ بِشُكْرِ ذَلِكَ ويُكَافِئُ عَلَيْه أَحْسَنَ المُكَافَأة . ورُبَّمـا حَذِرَ العَاقِلُ الناس ولم يأمَن عَلَى نَفْسِه أَحَدًا مِنْهُمْ . وقَدْ قِيـلَ لا يَنْبَغِي لِذِى العَقْلِ أن يَحْتَقِرَ صَـغِيراً ولا كَبِيراً مِنَ النَّـاسِ ولَا مِنَ البَهَائِمِ ، ولَكِنَّهُ جديرٌ بأن يَبْلُوَهُم ، وَيَكُون ما يَصْنَعُ إلَيْهِم على قَدْرِ مَا يَرَى مِنْهُم .

(٣) مِنْ طِبقَاتِ الشُّعَرَاء لِابْنِ سلّامٍ الجُمَحِى (٢)

وَرَتَّبْتُ هَذَا المُؤَلَّفَ عَلَى عَشْرِ طبقات . كُلُّ طَبَقَةٍ تَجْمَعُ أَرْبَعَةً من فُحُولِ شُعَراءِ الإسلَامِ . وَكَانَ الشِّعرُ فِى الجَاهِلِيَّةِ دِيوانَ عِلمِهِمْ ، ومُنْتَهَى حِكَمِهِمْ ، بِهِ يَأْخُذُون ، وإلَيْهِ يَصِيرُونَ(٣) . قَالَ ابنُ عَوْنٍ عَنِ ابْنِ سِيرِينَ : قَالَ : قَالَ : عُمَرُ بنُ الخَطَّاب .

(١) استخلصه : اختاره .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن سلام البصرى من علماء الشعر والأخبار ، وضع كتاب طبقات الشعراء الذى يعدّ من المصادر الأولى لعلم الشعر وقد توفى سنة ٢٣٢ هـ .

(٣) صار اليه : رجع وانتهى اليه .

«كَانَ الشِّعْرُ عِلْمَ قَوْمٍ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ عِلْمٌ أَصَحُّ مِنْهُ فَجَاءَ الإِسْلَامُ وَتَشَاغَلَتْ عَنْهُ الْعَرَبُ، تَشَاغَلُوا بالجهادِ وغزوِ فارسَ والرُّومِ. ولَهِيَتْ[1] عن الشِّعْرِ وروايتِهِ فلما كَثُرَ الإسلامُ وجاءت الفُتُوحُ واطْمَأَنَّت الْعَرَبُ بالأَمْصَارِ رَاجَعُوا رِوَايَةَ الشِّعر، فلم يَئِلُوا[2] إلى دِيوانٍ مُدَوَّنٍ ولَا كتَابٍ مكْتُوب. فألفَوْا ذلك وقد هَلَكَ من الْعَرَب من هَلَكَ بالمَوْت والْقَتْل فحفِظُوا أَقَلَّ ذَلِكَ وذَهَبَ عَنْهُمْ مِنْهُ أكْثره». وقد كَانَ عِنْدَ النُّعْمانِ بنِ المُنذِرِ مِنْهُ دِيوانٌ فِيهِ أَشْعَارُ الفُحُولِ وَمَا مُدِحَ فِيهِ هُوَ وَأَهْلُ بيتِهِ. فَصارَ ذلِكَ إلَى بَنِي مَرْوَانَ أَوْ مَاصَارَ مِنْهُ. قَالَ يُونُس بنُ حَبِيب قَالَ أَبُو عَمْرو بنُ العَلَاء: ما انْتَهى إليكُمْ مِمَّا قَالَهُ الْعَرَبُ إلا أقلُّهُ وَلَوْ جَاءَكُمْ وافِرًا لجَاءَكُمْ عِلْمٌ وشِعرٌ كثِيرٌ.

* * *

وَلَمْ يَكُنْ لِأَوَائِلِ العَرب مِنَ الشعْرِ إلَّا الأَبْيَاتُ يَقُولُهَا الرَّجُلُ فِي حَادِثَةٍ. وإنَّمَا قُصِّدَت القَصَائِدُ، وطُوِّلَ الشِّعْرُ على عَهْد عَبْدِ المطَّلب وهَاشِم بْنِ عَبْدِ مناف.

* * *

وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ قصَّدَ القَصَائِدَ وذَكَرَ الوَقَائعَ المُهَلْهِلُ بْنُ ربيعة التَّغْلِبِي فِي قَتْل أَخِيهِ كُلَيْب وائِل، قَتَلَتْه بَنُو شَيْبَانَ. وكان اسْمُ المُهَلْهِل عَدِيًّا، وإنَّمَا سُمِّيَ مُهَلْهِلًا لهلْهَلَة شعره كَهَلْهَلَةِ الثَّوْب وهُوَ اضْطِرَابُهُ واختلافُهُ. من ذلِك قَوْلُ النابغَةِ:

* أتاكَ بقولٍ هَلْهَلِ النَّسْجِ كاذبِ *

وزَعَمَت العَرَبُ أنه كَانَ يَتَكَثَّرُ[3] وَيَدَّعِي فى قولِهِ بأكْثَرَ مِنْ فعْلِه.

(١) لهى عن الشيء: سلاعنه وغفل وترك ذكره.

(٢) أى لم يرجعوا و يعتمدوا.

(٣) تأخذ من الشيء: أخذ منه كثيرا، وتكثر من الكلام: أكثر منه.

* * *

قَالَ ابْنُ سلامٍ[١] : فلَمَّا رَاجَعَت العَرَبُ رِوَايَة الشِّعرِ وَذِكْرَ أيَّامِهَا ومآثرِها اسْتَقَلَّ بَعْضُ العَشَائِرِ شِعْرَ شُعَرائِهِمْ وَمَا ذَهَبَ مِن ذِكْرِ وقَائِعِهِم. وكان قَوْمٌ قَلَّتْ وقَائِعُهمْ وأشعارُهُمْ وأَرَادوا أن يَلحقُوا بِمَنْ لَهُ الوقائعُ والأشعَار، فقالوا عَلَى أَلْسُنِ شُعَرائِهم . ثُمَّ كَانَتْ الرُّوَاةُ بَعْدُ فزادُوا في الأشعارِ؛ ولَيْسَ يُشْكِلُ عَلَى أهْلِ الْعِلْمِ زِيَادَةُ ذلِكَ . ولَا ما وَضَعَ المُوَلَّدُونَ، وإنَّمـا عضُلَ[١] بهم أن يَقُولَ الرجلُ مِنْ أهْلِ باديةٍ مِن وَلَدِ[٢] الشُّعَراءِ أو الرجل لَيْسَ من ولدِهِم فَيُشكِل ذلك بَعْضَ الأشكالِ .

(٥) للبـــلاذرى[٣]

من كتاب فتوح البلدان

فتح الاسكندرية

قالُوا : لمـا فتح عمرو بن العاص مِصر أقام بها . ثم كتب الى عُمَر بن الخطاب يستأمِرُهُ[٤] فى الزحفِ على الاسْكندريةِ ، فكتب اليـه يأمره بذلكَ . فسار اليْهـا فى سنةِ ٢١ هـ . واستَخْلَفَ على مصر خَارجةَ بن حُذَافَة وكانَ من دُونِ[٥] الاسكندريةِ الرُّومُ والقِبْطُ قـد تجمّعوا لَهُ، وقالُوا : نَغزُوهُ بالفُسْطَاطِ قبلَ أنْ يبلُغَنَا ويَرُومَ الاسكنْدريّةَ . فَلَقِيَهُمْ بِالكريون، فهزَمَهمْ، وقتَلَ مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمةً . وكان فِيهم

---

(١) عضل به الأمر : اشتد .

(٢) الولد بفتح الواو واللام ، والولد بضم الواو وسكون اللام : كل ما ولد و يطلق على الذكر والأنثى والمثنى والجمع .

(٣) هو أبو جعفر أحمد بن يحيى بن جابر البلاذرى نشأ فى بغداد واتصل بالخلفاء وله مؤلفات أشهرها كتاب فتوح البلدان وكان شاعرا ومؤرخا توفى سنة ٢٧٩ هـ .

(٤) استأمره : طلب منه الأمر . (٥) دوْن هنا : أمام .

من أهل سخا وبلهيب والخيس وسلطيس وغيرهم قوم رفدوهم (١) وأعانوهم . ثم سار عمرو حتى انتهى الى الاسكندرية فوجد أهلها معدين لقتاله إلا أن القبط فى ذلك يحبون الموادعة (٢) . فأرسل اليه المقوقس يسأله الصلح والمهادنة الى مدة . فأبى عمرو ذلك فأمر المقوقس النساء أن يقمن على سور المدينة مقبلات بوجوههن الى داخله ، وأقام الرجال فى السلاح مقبلين بوجوههم الى المسلمين ليرهبهم بذلك فأرسل اليه عمرو . إنا قد رأينا ما صنعت . وما بالكثرة غلبنا من غلبنا ، فلقد لقينا هرقل ملككم ، فكان من أمره ما كان . فقال المقوقس لأصحابه : قد صدق هؤلاء القوم : أخرجوا ملكنا من دار مملكته حتى أدخلوه القسطنطينية فنحن أولى بالإذعان . فأغلظوا له القول ، وأبوا إلا المحاربة فقاتلهم المسلمون قتالا شديدا ، وحصروهم ثلاثة أشهر . ثم إن عمرا فتحها بالسيف ، وغنم ما فيها واستبقى أهلها ، ولم يقتل ، ولم يسب (٣) وجعلهم ذمة (٤) كأهل أليونة : فكتب الى عمر بالفتح مع معاوية ابن حديج الكندى ثم السكونى وبعث اليه معه بالخمس .

(١) رفدوهم : مثل أعانوهم .
(٢) وادعه (موادعة) : صالحه وسالمه ، و(الموادعة) المسالمة وترك العداوة .
(٣) سبى العدو : أسره .
(٤) الذمة : الضمان يريد أنه جعلهم فى أمان .

العصر العباسي الثاني

خراسان والعــــراق

(ا) الشـــــعر

(١) قال الشريف الرضيّ[١] يفتخر من قصيدة يمدح بها أهل البيت

لغيرِ العُــلا منّى القِـــلَى والتجنُّبُ ولولا العلا ما كنتُ فى الحبّ أرغبُ[٢]

إذا اللهُ لم يعــذِرْك فيما ترومُــهُ فمـا النـاسُ إلا عاذلٌ ومُــؤنّبُ

ملكتُ بحلمى فرصــةً ما استرقّها من الدهر مفتــولُ الذّراعينِ أغلبُ[٣]

فإنْ تكُ سِــنّى ما تطـاول باعُهـا فلى مِن وراءِ المجــد قلبٌ مُذَرَّبُ[٤]

فحسبيَ أنّى فى الأعادِى مُبَغَّــضٌ وأنّى الى غُــرّ المعالى محبَّبُ

وللحــلم أوقاتٌ ، وللجهــل مثلُهـا ولكنّ أيامى الى الحــلم أقربُ

يصــولُ علىّ الجاهلونـــ ، وأعتلِى ويُعجِم فىّ القائلونــ ، وأُعرِبُ[٥]

يرَوْنَ احتمالى غُصّــةً ، ويَزيدُهم لواعجَ ضِــغْنٍ أننى لستُ أغضَبُ[٦]

---

(١) هو أبو الحسن محمــد بن الحسين الرضى العلوى الموسوى نقيب أشراف بغداد وأشعر بنى هاشم توفى سنة ٤٠٦ عن خمس وأربعين سنة .

(٢) القلى : البغض والكراهة والهجر ، أى لولا حب المعالى ما كان لى رغبة فى أى حب .

(٣) الأغلب : الغليظ الرقبــة . والمفتول الذراعين ، والأغلب : من أوصاف الأســد وكل قوى العضل .

(٤) المذرب : المحدد الماضى .

(٥) أى أن المتحدثين عنى لا يعرفون كل فضائلى ؛ فهــم لا يبينون عن حقيقتى : إما بغضا ، وإما جهلا ، مع أنى أعرب عن فضائلى بفعالى .

(٦) أى أضغان وحقود محرقة فى الصدر .

وأُعرِضُ عن كأسِ النـديم كأنها — وميضُ غمامٍ غائرِ المُزْنِ خُلَّبُ(١)

وقـورٌ، فلا الألحانُ تأسِرُ عزمتي — ولا تمكُرُ الصهباءُ بي حين أشْرَبُ

ولا أعرِفُ الفحشاءَ إلا بوصفها — ولا أنطِق العَـوْراءَ والقلبُ مُغْضَبُ

تَحَـلُّمُ عن كرِّ القوارص شيمَتي — كأنّ مُعيـدَ الذمّ بالمـدح مُطنِبُ(٢)

لسانِي حَصاةٌ يقـرَع الجهلَ بالحِجى — إذا نال مـنى العاضـهُ المُتَـوثِّبُ(٣)

ولست براضٍ أن تَمَسَّ عزائمي — فُضالاتُ ما يُعطِي الزمان ويسلُبُ

غرائبُ آداب حبـاني بحفظها — زماني، وصَرْفُ الدهرِ نعم المـؤدِّب

وقال في صغره :

ستعلمونَ ما يكونُ مِنّي — إن مَدَّ مِنْ ضَبْعَيَّ طولُ سِنِّي (٤)

أأَدعُ الدنيـا ، ولم تدعْني — يلعَبُ بي عناؤُها المعَـنِّي (٥)

وَسِعْتُ أيّامي، ولم تَسَعْني — أفضُل عنها، وتَضيقُ عني (٦)

---

(١) الوميض : لمعان البرق . والبرق الخلب : الخادع الذى ليس وراءه مطر، والمزن : السحاب .

(٢) أى اذا أوجعنى غيرى بقوارص الكلام فلسْتُ أكثر عليـه بل أتحلم عنه حتى كأن إعادته لذمى إطناب فى مدحى .

(٣) العاضـه : الذى يكذب على المرء فى وجهـه ، أى اذا آذانى متوثب على ذمى بالكذب على فى وجهى لا أتحلم عليه، بل أقرعه بحصاة لسانى .

(٤) الضبع : العضد ، أى إن كبرت سنى، وطال عضدى .

(٥) أى أ أترك الدنيا يلعب بى عنادها وهى لم تتركنى .

(٦) أى أنى أسع الدهر باحتمالى ، وهو يضيق عنى .

لِمْ أنَا مثـلُ العَاطن المُبنّ ... أسحب بُرْدَىْ ضَرَعٍ وأفْنى (١)

ولى مضاءٌ قـطُّ لم يخُنّى : ... ضميرُ قلبى ، وضميرُ جفنى (٢)

راضٍ بما يُضوِى الفتى ويُضنى ... أسس آبائى وسوف أبنى

قد عَزَّ أصلى ، ويَعِزّ غصنى ... غَنِيتُ بالمجـد ولم أستغن

وَقَالَ :

ولقـد مررتُ على دِيارهمُ ... وطلولُهـا ليد البِـلى نَهْبُ

فوقفتُ حتى ضجّ من لَغَبٍ ... نِضْوى ، ولجّ بعذلىَ الركب (٣)

وتلفّتَتْ عينى فمذ خفِيَتْ ... عنّى الطلولُ تلفّتَ القلب

وَقَالَ :

رُبَّ أَخٍ لى لم تَـلِدْه أُمى ... ينْفى الأذى عنى ، ويجلوهمّى

ويصـطلى دونىَ بالمُـلِمّ ... اذا دُعيتُ اشتدّ ماضى العزم (٤)

كأنمـا كان يُنادَى باسمى

---

(١) العاطن : الجمل البارك بجانب الماء ، والمبن : المقيم والكريه الرائحة : أى لم أكون مقيما فى الدار مثل الجمل المديم المكث فى المعاطن الكريهة الرائحة بالاقامة فيها ؛ آما آن لى أن أرحل لأطلب المجد ، ولا أسحب ثوب الضرع والذل حتى أفنيه .

(٢) أى أن قلبى ونظرى ما ضيان صادقان فى معرفة الأمور .

(٣) النضو : المهزول من الابل وغيرها . واللغب : أشدّ التعب والاعياء .

(٤) أى ناب عنى فى النائبات والمهمات .

(٢) وقال مهيار الديلمي[١] في الفخر بقومه فارس وبالاسلام :

أعجبت بي بين نادي قومها | أم سعد ، فمضت تسأل بي
سرها ما علمت من خلقي | فأرادت علمها ما حسبي
لا تخالي نسباً يخفضني ؛ | أنا من يرضيك عند النسب
قومي استولوا على الدهر فتى ، | ومشوا فوق رءوس الحقب
عمموا بالشمس هاماتهم ، | وبنوا أبياتهم بالشهب
وأبي كسرى علا إيوانه | أين في الناس أب مثل أبي؟
قد قبست المجد من خير أب ، | وقبست الدين من خير نبي
وضممت الفخر من أطرافه : | سؤدد الفرس ، ودين العرب :

وقال من قصيدة :

يا نسيم الصبح من كاظمة | شد ما هجت الجوى والبرحا[٢]
الصبا — إن كان لا بد الصبا — | إنها كانت لقلبي أروحا
يانداماي بسلع ! هل أرى | ذلك المغبق والمصطبحا ؟ [٣]

---

(١) هو أبو الحسن مهيار بن مرزويه الديلمي . كان مجوسيا يتكسب بالكتابة في الدواوين ، تخرج على الشريف الرضي في الشعر حتى كاد يرق قوله عن قوله . وأسلم على يده وتشيع بمذهبه ، وغلا في التشيع وتوفي سنة ٤٢٨ هـ .

(٢) كاظمة : موضع من بلاد العرب بقرب البصرة على ساحل خليج فارس ، والبرحا : مقصور البرحاء بالمد ، وهي شدة الألم .

(٣) سلع : جبل بالمدينة . والمغبق : مكان الغبوق ، أي الشرب مساء . والمصطبح : مكان الشرب صباحا .

فاذكرونا مثلَ ذِكرانا لكم ، رُبَّ ذِكرى قرَّبتْ مَن نزَحا
واذكروا صَبّاً إذا غنَّى بكم شرِبَ الدمعَ وعافَ القدَحا

وقال من قصيدة :

خَليلُكَ مَن صَفَا لكَ فى البِعادِ وجَارُك من أذَمَّ على الوداد (١)
وحظُّكَ مِن صديقِك أن تراه عَدُوّاً فى هواك لمن تُعادى
ورُبَّ أخٍ قَصِىِّ العِرْق ، فيه سلوٌّ عن أخيك مِن الوِلاد (٢)
فلا تَغْرُرْك ألسِنةٌ رِطابٌ بَطائنُهنَّ أكبادٌ صوادى (٣)
وعِشْ إما قَرينَ أخٍ وَفِىٍّ أمينِ الغيب ، أو عيشَ الوِحاد
فإنى بَعدَ تجريبى لأمرِى أنِستُ ولا أغُشُّك بانفرادى
تريد خلائقُ الأيامِ مَكْراً لتغصِبنى على خُلُقى وعادى (٤)
وتغمِزُنى الخُطوبُ تَظنُّ أنّى أَلِينُ على عَرائكِها الشِّداد (٥)
وما ثَهلانُ تُشرِق قُنّتاهُ بأحملَ للنوائب مِن فؤادى (٦)
تُغرِّبُ فى تقلُّبها الليالى علىَّ بكُلِّ طارقةٍ نآد (٧)

---

(١) أذم : أعطى عهدا وذمة على الوداد .

(٢) قصى العرق : أى بعيد النسب .

(٣) أى حرى ملتهبة من الحقد .

(٤) أى تريد خلائق الأيام لتغلبنى على أخلاقى وعاداتى وتسلبها منى أو تقهرنى على تغييرها .

(٥) العرائك : جمع عريكة ، وهى النفس والنخوة .

(٦) ثهلان : جبل . والقنة : أعلى الجبل ، أى أن جبل ثهلان لا يحمل ما يحمله قلبه من النوائب .

(٧) أى تأتى بالغرائب . والطارقة : الحادثة . والنآد : الداهية العظيمة .

إذا قلتُ: اكتفتْ منى، وكفّتْ ... نزَتْ بالدّاءِ ثائرةَ العِــداد (١)

رَعَى يَمَنُ الحــوادثِ فى هُزالِى ... كأنَّ صلاَحَهُــنَّ على فسادى

فيَــوْماً فى الذخيرةِ مِن صَــديق ... ويوماً فى الذخيرة من تِلادى (٢)

يذُمّ النّــومَ دونَ الحِرْص قومٌ ... وقلتُ لرَقــدتى عنــه : حَمَــادِ (٣)

وما كانــ الغِــنَى إلا يســيراً ... لوَ ان الرزقَ يبلُغُــه اجتهادى

(٣) وقال المأمونىُّ فى الوصف (٤)

يصف المقراض :

وصاحبينـ اتفقـا ... على الهــوى واعتنقـا

وأقسما بالــودّ والإ ... خلاص أن لا افـترقا

ضمّهمـا أزهرُ كالنـ ... ـجم به قـــد وثقـا (٥)

لم يَشْكُ فى خَصْرَيْهِما ... مُــذْ ضَمِنَـاهُ قَلَقَـا (٦)

من تحته عينانـ مُنْـ ... ـذ انفتحا ما انطبقـا (٧)

---

(١) العداد : جمع عد، وهو الند والقرين .

(٢) أى فيوما ترعى فيا أدخره من الأصدقاء، ويوما فى مالى .

(٣) كلمة مبنية على الكسر أى حمدا وشكرا، أى أنه يحمد رقدته على الحرص والجشع على الدنيا .

(٤) أحد بلغاء الشعراء الوصافين المجيدين الفخر . وهو أبو طالب عبد السلام من ذرية المأمون الخليفة العباسى، قصد بخارى، وأقام بها طامعا أن يجند بها جندا يفتح به بغداد فمات سنة ٣٨٣ هـ . غير بالغ الأربعين من عمره .

(٥) أى مسمار أزهر .

(٦) لم يشك : أى المسمار الأزهر المذكور آنفا تقلقلا : بل هو ثابت محكم .

(٧) يريد بالعينين شبه الحلقتين اللتين يدخل فيهما الابهام والسبابة والوسطى .

وفَوْقَــهُ نابانِ مَا حَلاَ فَمَا مُــذْ خُلِقَـا [1]
يُفَــرِّقَانِ بَيْنَ كـ ـلِّ مَا عَلَيــه اتفقـا [2]
فأىّ شَىْءٍ لاقَيَـا هُ ألقَيَـاهُ فِــرَقا

(٤) وقال السَّرِىُّ الرفاء فى وصف القصور والمنازل : [3]

مَجْلِسٌ فى فِنـاءِ دِجلةَ يَرْتا حُ إليـه الخليعُ والمســتورُ
طائرٌ فى الهواءِ، فالبَرقُ يسرِى دونَ أعلاهُ، والحَمام يطـيرُ
فاذا الغيمُ سارَ أُسْـبِلَ مِنــهُ حُلَلٌ دونَ جُدْرِه وستُور
وإذا غارت الكواكبُ صُبْحًا فَهْوَ الكوكبُ الذى لا يغور

(٥) وقال القاضى على بن عبد العزيز الجرجانى صاحب كتاب « الوساطة بين المتنبى وخصومه » المتوفى سنة ٣٦٦ هـ .

ما تطعمتُ لَذَّةَ العيش حـتى صرتُ للبيت والكتاب جليسا
ليس شىءٌ أعزّ عندى من العلْـ ـمِ ؛ فمـا أبتغِى ســواه أنيسا
إنمـا الذُّلُّ فى مُخالطة النـا سِ فدعْهُمْ، وعِش عزيزا رئيسا

---

(١) يريد بالنابين الجزأين القاطعين فى المقراض .

(٢) أى يفصلان كل ما انضما وانطبقا عليه من الثوب ونحوه .

(٣) هو أبو الحسن السرى بن أحمد الكندى شاعر وصاف مداح نشأ بالموصل وقصد سيف الدولة بحلب فأقام معه حتى مات ثم قصد بغداد فمدح رؤساءها ومات بها سنة ٣٦٦ هـ .

(٦) وقال ابن نباتة السعدى : [١]

وكم من خليل قد تمنّيتُ قربَه بجرّبتُه حتى تمنيتُ بعدَه

وما للفتى فى حادث الدهر حيلةٌ إذا نحسُه فى الأمر قابلَ سعدَه

أرى هِمَمَ المرءِ اكتئابا وحَسْرةً عليه إذا لم يُسْعِدِ اللهُ جَدَّه

(٧) وقال الصابئ : [٢]

يا جامعًا لخِلالٍ قبيحةٍ ليس تُحصَى

نقصتَ من كلّ فضلٍ فقد تكاملتَ نقصَا

لَوْ أنّ للجهلِ شخصًا لكنتَ للجهل شخصا

(٨) وقال الوزير الصاحب إسماعيل بن عباد كاتب المشرق ووزير آل بُوَيه المتوفى سنة ٣٨٥ ه

وكم شامتٍ بى بعد موتى جاهلا يَظَلُّ يَسُلُّ السيفَ بَعْدَ وَفاتى

ولو عَلِمَ المسكينُ ماذا يَنالُه مِنَ الظُّلْمِ بَعدى ماتَ قبلَ مَماتى

(٩) وقال الخُوارَزْمى :

لا تَصحَب الكسلانَ فى حاجاتِه كمْ صالحٍ بِفسادِ آخرَ يَفسُدُ

عَدْوَى البَليدِ الى الجليدِ سريعةٌ والجَمْرُ يُوضَع فى الرّمادِ فيخمُدُ

(١) هو أبو نصر عبد العزيز بن محمد بن نباتة السعدى التميمى أحد فحول الشعراء المجيدين العراقيين . توفى سنة ٤٠٥ ه . (٢) هو أبو إسحاق ابراهيم بن هلال الصابى الحرانى، كان صابئا على دين فلاسفة القدماء من اليونان، وكان جميل العشرة للسلمين وتكسب بالكتابة فى دواوين بغداد . وكان رئيس الكتّاب بها، وصدرت عنه نفائس الرسائل . وله شعر جميل ومات سنة ٣٨٤ ه .

(١٠) وقال البستى : [١]

بَين من يُعطِى ومن يأ خُذُ فى التقدير عَرْضُ

فَيَــدُ المعطى سماءٌ ويدُ الآخــذِ أرضُ

وعلى الآخذ أن يَشْـ كُرَ، إنّ الشُّكْرَ فرْضُ

وقال أيضــا :

أفِــدْ طبعَك المكدودَ بالهمّ راحةً يَجِمَّ، وعَلِّلْهُ بشىءٍ مِنَ المَزْحِ

ولكن اذا أعطيتَــه ذاك فليَكُنْ بمقدارِ ما تُعطِى الطعامَ من المِلْحِ

وقال فى المدح :

لمـا أتانى كتابٌ منـــك مبتسمٌ عن كل برٍّ وفضـــل غيرِ محدودِ

حكَتْ معانيــه فى أثنـاءِ أسطرِه آثارَك البيضَ فى أحوالِىَ الســود

وقال أيضــا :

ما إن سمعتُ بنُـــوّارٍ لَهُ ثَمَــرٌ فى الوقت يُمتِع مَتْعَ المرءِ والبصَرَا

حتى أتانى كتابٌ منـــك مبتسمٌ عن كلّ لفظٍ ومعنًى يُشبه الدررا

وكان لفظُك مِن لألائهِ زَهَرًا، وكان معناهُ فى أثنـائه ثمَــرا

تسابقا، فأصابا القصــدَ فى طَلَقٍ لله مِنْ ثَمَرٍ قد سابَق الزَّهَرَا ! [٢]

---

(١) هو أبو الفتح البستى على بن محمد الكاتب الشاعر. أحد المولعين بالتجنيس، وأحد رؤساء الكتّاب فى الدولة الغزنوية والمتوفى سنة ٤٠٠ هـ .

(٢) الطلق : الشوط فى الجرى .

(١١) وقال الناشئ الأصغر فى الوصف [(١)]

إنى لَيَهْجُرُنى الصديقُ تجنّيًا ... فأُريه أنّ لهجره أسبابًا

وأخاف إن عاتبتُه أغريتُه ، ... فأرى لَهُ تركَ العتاب عِتابا

واذا بُليتُ بجاهل متعاقل ... يدعُو المحال من الأمور صوابا

أوليتُهُ منّى السكوتَ، وربما ... كان السكوتُ عن الجواب جوابا

(١٢) وقال الأبهرى فى الحكم [(٢)]

متى ترغبْ إلى الناس ... تكنْ للناس مملوكا

وان أنتَ تخفّفتَ ... على الناس أحبّوكا

وان ثقّلتَ عافُوكَ ... وملّوكَ وسبّوكا

اذا ما شئتَ أن تُعصَى ... فمُرْ مَن ليس يرجوكا

وسلْ مَنْ ليس يخشاكَ ... فيَدْمَى عندها فُوكا

(١٣) وقال الأبيوَرْدِىّ [(٣)]

تنكّر لى دَهرى ولم يَدرِ أننى ... أَعِزُّ وأحداثُ الزّمانِ تَهُونُ

فظلّ يُرينى الخطبَ كيفَ اعتداؤُه ... وبتُّ أُريهِ الصّبرَ كيف يكون

---

(١) هو أبو الحسن على بن عبد الله المعروف بالناشئ الأصغر والشاعر البليغ المتوفى سنة ٣٦٦ هـ .

(٢) هو أبو الحسن على بن مأمون الأبهرى أحد شعراء الجبل وطبرستان .

(٣) هو أبو المظفر محمد بن أحمد الأبيوردى الأموى الشاعر المشهور من فضلاء بغداد وأدبائها . وأبيورد المنسوب اليها بليدة بخراسان توفى سنة ٥٥٧ هـ .

(١٤) وقال الشريف ابن الهَبَّارية [١]

لَأَصُـونَنَّ دِرْهَمِي   فهو لا شَكَّ صائِنِي
لم يُعِنِّي ٱبنُ والدِي   وصَحِيحِي أعانَنِي [٢]

وقال أيضا :

لِلّٰهِ دَرّ دراهِـــمِي   فهي التي أَعلتْ مكانى
لولا الغِنى عن صاحبي   لأحلّني دارَ الهَـــوان

(١٥) وقال الطُّغرائى يرثى زوجته [٣]

ولم أَنْسَها، والموتُ يقبِض كفَّها   ويَبسُطُها ، والعينُ تَرنُو وتُطْرِقُ
وقد دَمَعَتْ أجفانُها فوقَ خَدها   جَنَى نَرْجِسٍ فيـه النَّـدَى يترقرق
وحلّ مِنَ المقدور ماكنتُ أَتَّقِي   وحُمَّ مِن المحـذور ماكنتُ أفرَق
وقِيل : فِراقٌ لا تَلاقِيَ بعـدَه !   ولا زادَ إلا حسرةٌ وتَحَـرُّقُ !
فلو أنّ نفسًا قَبْـلَ مَحْتُومِ يومها   قَضتْ حَسَراتٍ كانتْ الرُّوحُ تَزْهَق

---

(١) هو أبو يعلى محمــد المعروف بابن الهبارية البغدادى الشاعر الأديب من بيت الخلافة العباسية نشأ فى إبان اضمحلالها . وهو صاحب كتاب الصادح والباغم المنظوم حكايات وأمثالا ومواعظ على ألسنة الحيوان توفى سنة ٥٠٤ هـ . ببلاد كرمان .

(٢) أى ودرهمى الصحيح .

(٣) هو مؤيد الدين الأستاذ العميــد فخر الكتاب أبو إسماعيل الحسين بن محمــد الطغرائى آخر فحول المشرق بلاغة كتابة وجزالة شعر . وقصيدته لامية العجم مشهورة مشروحة وله ديوان شعر مطبوع توفى قتيلا سنة ٥١٣ هـ . وكان وزيرا من وزراء المملكة السلجوقية .

هِلالٌ ثَوَى مِنْ قبلِ أن تمّ نُورُه … وغُصْنٌ ذَوَى فَيْنَانُهُ وهوَ مُورِق (١)

فواعجبا أنّى أُحِمّ اجتماعُنا؟ … ويا حَسرَتى من أين حَلّ التفرّقُ؟ (٢)

وله فى الحكمة :

يسودُ الفتى قومَه بالفَعال … وليس بأكرمِهِمْ مَحْتِدَا

ومن جوهرِ السيفِ صارَ الحديدُ … بِقيمةِ أضعافِه عَسْجَدَا

وله فى أعدائه :

نَكِرُوا عَلَىَّ معايِبِى فخبرتُهَا … ونَفَيْت عن أخلاقىَ الأقذاءَ

ولربما انتفع الفتى بعَدُوِّهِ … والسمُّ أحياناً يكونُ شِفاءَ

وقال أيضا :

قالت: حُرِمْتَ الغِنى مِن حيثُ أُوتِيَهُ … سِواكَ! والعُدْمُ مشتقٌّ مِن العَدَمِ

فقلتُ : كُفِّى؛ فليس العُدْمُ مَنْقَصَةً … وإنما المرءُ بالأخلاق والشِّيَمِ

إن ضاقَ خِطّةُ حَالِى لم يَضِقْ خُلُقِى … أو قَصّر المالُ لم تَقْصُر له هِمَمِى

أمَا علمتِ — وخيرُ العلمِ أنفعُهُ — … أن الغِنَى غيرُ محسوب منَ الكرم

وقال أيضا :

خذا من صَبا نجدٍ أماناً لِقَلْبِهِ … فقد كاد رَيّاها يطيرُ بِلُبِّهِ

وإيّاكُما ذاكَ النسيمَ ؛ فإنّهُ … إذا هَبّ كان الوجدُ أيسرَ خَطْبِهِ

---

(٢) الفينان هنا : الكثير الأهداب (والورق) .

(٣) أحم : قدر .

خَليــلَىَّ لــو أحببْتُما لَعلِمــتُما ... مَحَلَّ الهوى من مُدْنَفِ القلب صَبِّهِ

تذكرتُ، والذكرى تشوقٌ وذوالهَوى ... يَحِنُّ، ومَن يعلَق به الحبُّ يُصْـبِهِ

وفى الركب مَطْوِىُّ الضلوع على جَوًى ... متى يدعُهُ داعى الســقامِ يُلَبِّـهِ

وقال أيضـا :

يا قلبُ مالكَ والهوى مِن بَعْـدِما ... طاب الســلُوُّ، وأقصرَ العُشاقُ

أوَمَا بدا لكَ فى الإفاقة؟ والأُلَى ... نازعتَهـم كأسَ الغَــرامِ أفاقُوا!

مرِضَ النسيمُ وصَحَّ، والداءُ الذى ... أشكوه لا يُرجَى له إفــراق

وهدا خُفوقُ البَرْق، والقلبُ الذى ... تُطــوَى عليــه جَوانحى خَفّاق

وقال ينصح بنيه :

كونوا جميعًـا يا بَنِىَّ إذا اعترى ... خَطْبٌ ولا تتفــرقوا آحادا

تأبَى القِداح اذا اجتمعن تكسُّرا ... وإذا افترقن تكسّرتْ أفــرادا

وله فى الرأى :

لا تَحقِرنَّ الرأىَ وهْوَ مُوافِقٌ ... حُكمَ الصوابِ اذا أتَى مِن ناقِصِ

فالدرُّ وهو أجــلُّ شىءٍ يُقتنَى ... ما حَطَّ قيمتَه هَوانُ الغائِصِ

وقال أبو أحمد بن أبى بكر الكاتب أحد رؤساء الكتاب فى الدولة السامانية :

اذا لم يكن للمرءِ فى دَوْلةِ آمرئٍ ... نصيبٌ ولا حَــظٌّ تمنَّى زَوالَهَـا

وما ذاك من بُغضٍ لهـا غيرَ أنّه ... يُرَجِّى سواها، فهو يَهوَى انتقالَهَا

(١٦) وقال السَّهرَوَرْدىّ[1] فى الفلسفة والتصوّف :

قُلْ لِاصحابٍ رأونِى مَيِّتًا فبكَوْنِى إذ رأونِى : حَزَنَا
لا تَظُنُّونى بأنِّى مَيِّتٌ ليس ذا الميّت واللهِ أنا
أنا عصفورٌ، وهذا قَفَصِى طرتُ عنه ؛ فتخَلَّى رَهَنَا
فاخْلَعُوا الأنفُسَ عن أجسادِها فترَوْن الحقّ حقًّا بَيِّنا
لا تَرُعْكُمْ سَكْرَةُ الموتِ فما هى الا بانتقالٍ من هنا

(١٧) وقال الرِّفاعىّ[2] :

اذا جَنّ ليلِى هامَ قلبى بذِكرِكمْ أَنوحُ كما ناح الحمامُ المطَوَّقُ
وفوق سَحابٌ يُمطِرُ الهمَّ والأسَى وتحتِى بِحار بالأَسَى تتدفّق
سلوا أمَّ عَمْرٍو كيفَ باتَ أَسِيرُها تُفَكُّ الأُسارَى دونَه وهْو موثَق
فلا هو مقتولٌ، ففِى القتلِ راحةٌ ولا هُوَ مَمنونٌ عليه فَيُطْلَقُ

ودخل بعضهم على أبى بكر دُلَف المشهور بالشِّبلى الزاهد الصوفى تلميذ الجنيد المتوفى سنة ٣٣٤ هـ ، وهو يهيج ويقول :

على بعدِكَ لا يصـبـرُ مَن عادتُه القُرْبُ
ولا يقوَى على هَجْـرِكَ مَن تيَّمه الحبُّ
فإن لم ترَكَ العينُ فقد يُبصِرُك القلبُ

---

(١) هو شهاب الدين عمر السهروردى . قالها وهو يجود بنفسه لما قتل سنة ٥٨٦ هـ . بقلعة حلب قتله صلاح الدين لتوهمه أنه يفتن ابنه بالكفر . (٢) هو أبو العباس أحمد الرفاعى صاحب الطريقة الرفاعية الصوفية المتوفى بقرية أم عبيدة ببطائح البصرة سنة ٥٧٨ هـ .

(ب) النـــــثر

(١) ولابن العميد[1] رسالة الى عضد الدولة يهنئه بمولودين

أطال اللهُ بقـاءَ الأميرِ الأجلّ عَضُـدِ الدولة ، وأدامَ عِزّه وتأييـدهُ ، وعلوّه وتمهيدَه ، وبَسطتَه وتوطيدَه، وظاهَرَ له من كُلّ خيرٍ مزيدَه، وهَنَّأَهُ ما احتظاه به على قُرب الميلاد[2] مِن توافُر الأعداد، وتكثُّر الأمداد، وتَنَمّر الأولاد، وأراه من النجابة فى البنين والأسباط، ما أراه من الكرم فى الآباء والأجداد، ولا أخلَى عينه من قُرّة، ونَفْسه من مَسرة ، ومُتَجَدِّدِ نِعْمَـة، ومستأنَف مَكْرُمَة، وزيادةٍ فى عَدَده ، وفَسْح فى أمده، حتى يبلُغَ غايةَ مَنْهَلِه، ويستغرقَ نِهايةَ أَمَلِه ، ويستوفىَ ما بَعْدَ حُسن ظَنّه. وعرفه اللهُ السعادة فيما بَشَّرَ عبدَه من طُلوع بدرَيْن هما انبعثا من نُورِه، واستنارا من دُوره، وحَفّا بسريره ، وجعل وَفْدَهما متلاءمَيْن، ووِرْدَهما توءمَيْن، بَشيرَيْن بتظاهرُ النِعَم، وتوافُر القِسَم ، ومؤذِنَيْن بترادُفِ بنَين ، يجمعُهم مُنْخَرَق[3] الفَضاء، ويُشرق بنُورِهم أُفُقُ العَلاء، وينتهى بهم أَمَدُ النَّماء، الى غاية تفوتُ غايةَ الإحصاء. ولا زالت السبيلُ عامرة، والمناهلُ غامرة بصفائح صادرِهم بالبشر، وآملِهم بالنيل .

---

(١) هو الأستاذ الرئيس الوزير أبو الفضل محمد بن الحسين العميد أكبر كتاب المشرق وصاحب الطريقة الانشائية الشعرية ووزير ركن الدولة بن بويه . ثم عضد الدولة توفى سنة ٣٦٠ هـ .

(٢) أى على صغر سنه .

(٣) متخرق الفضاء : واسعه .

(٢) ومن رسائل الصاحب[1] بن عَبَّاد تهنئة بميلاد طفلة

أهلا وسهلا بعقيلةِ النساء، وأُمِّ الأبنـاء وجالبة الأصهار، والأولاد الأطهار، والمبشرةِ بإخوة يتناسقون، نجباءَ يتلاحقون .

فلو كان النساء كمثل هذى   لفضلت النساء على الرجال
وما التأنيث لاسم الشمس عيب   ولا التذكير فخر للهلال

فادَّرِعْ ياسيدى إغتباطا، واستأنف نَشاطا؛ فالدنيا مؤنثةٌ، والرجالُ يخدُمونها، والذكور يعبُدونها ، والأرضُ مؤنثة ؛ ومنها خُلِقَتْ البَرِيّة ، وفيها كثرت الذُّرِّية ، والسماءُ مؤنثة ، وقد زينت بالكواكب ، وحُلِّيت بالنجم الثاقب ، والنفسُ مؤنثة وبها قِوامُ الأبدان، ومِلاك الحيوان، والحياةُ مؤنثة، ولولاها لم تتصرف الاجسام، ولا عُرِف الانام ، والجنة مؤنثة وبها وعد المتقون ، ولها بُعِثَ المرسلون ، فهنيئا هنيئا ما أُوليتَ ، وأوزعَكَ اللهُ شكرَ ما أَعطيتَ . وأطال بقاءك ما عُرِف النسلُ والوَلد وما بَقِيَ الأبدُ، وكما عُمِّرَ لُبَدٌ[2] .

(٣) وكتب البديع[3] أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى الى بعض اخوانه تعزية له عن أبيه

وَصَلتْ رُقعتُكَ يا سيدى ــ والمصابُ لعمرُ الله كبير، وأنتَ بالجَزَع جديرٌ، ولكنَّك بالعَزاء أَجدَر، والصبرُ عن الأحبة رُشدٌ كأنه الغَيّ، وقد ماتَ الميّتُ

(١) تقدّمت ترجمته عند شعره .

(٢) لبد آخر نسور لقمان، يضرب به المثل فى التعمير وطول الأجل؛ فيقال : طال الأمد : على لبد .

(٣) هو أبو الفضل بديع الزمان أحمد بن الحسين الهمذانى الكاتب المبدع والشاعر الرقيق صاحب المقامات والرسائل المشهورة توفى سنة ٣٩٨ هـ ، بهراة وهو فى سن الأربعين .

فليَحْيَ الحيّ، والآنَ فاشْدُدْ على مَالِك بالخَمْس، فأنتَ اليومَ غيرُك بالأمس . قد كان ذلك الشيخ — رحمه الله — وَكيلَك، تَضحَكُ ويَبكى لك . وقد خَوَّلك ما أَلفَ بين سُراه(١) وسَيْره، وخلّفك فقيرا الى الله غنيًا عن غيره . وسيعجُم(٢) الشيطانُ عُودَك، فان استلانك رماك بقوم يقولون : خيرُ المـالِ ما أُتلِفَ بين الشَّراب والشَّباب، وأُنفِق بين الحَبَاب(٣)، والأحباب، والعيش بينَ القِداح(٤)، والأقداح، ولولا الاستعمال، ما أُرِيدَ المـال؛ فان أطَعْتَهم فاليومَ فى الشَّراب، وغدًا فى الخرَاب، واليومَ: واطربًا للكاس! وغدا : واحربًا مِن الافلاس . يامولاى! ذلك الخارجُ من العُود يُسمّيه الجاهلُ نَقْرا، ويُسمّيه العاقلُ فَقْرا، وكذلك المسموعُ فى الناى هو فى الآذان زَمْر، وغدا فى الأبواب سَمْر . فإن لم يجد الشيطانُ مَغْمَزًا فى عُودك من هذا الوَجْه، رماك بقوم يُمثِّلون الفقر حذاءَ عَيْنَيْك؛ فتُجاهِدُ قَلْبَك، وتُحاسبُ بطنَك، وتُناقِشُ عِرْسَك(٥)، وتمنعُ نفسَك، وتبوءُ فى دنياك بوزْرك، وتراه فى الآخرة فى مِيزان غيرِك، لا ! ولكن قَصْدًا بينَ الطريقَيْن ومَيْلًا عن الفريقين : لامَنع ولا إسراف . والبخلُ فَقْرٌ حاضر، وضَيْرٌ عاجل وانما يبخلُ المرءُ خيفة ما هو فيه .

---

(١) السرى : المشى بالليل والسير بالنهار أو أعم .

(٢) يعجم العود : عض عليه بأسنانه ليعرف مقدار صلابته أى سيجربك الشيطان .

(٣) الحباب هنا : الفقاقيع التى تطفو على كأس الخمر .

(٤) القداح : جمع قدح بكسر القاف، وهى عيدان صغيرة تسوى ليلعب بها الميسر . والأقداح : جمع قدح بفتحتين، وهى كئوس الخمر ونحوها .

(٥) عرسك : زوجك .

فلْيكن لله فى مَالك قِسْم، وللمروءة قِسم، فصِلِ الرَّحِمَ ما آستطعتَ، وقدِّر إذا قطعت، فلأَن تكونَ فى جانب التقدير[١] خيرٌ من أن تكون فى جانب التبذير.

وللبديع فصل من رسالة ينصح بها ابن أخيه

أنت ولدى ما دُمتَ والعلمُ شأنُك، والمدرسةُ مكانُك، والمحبَرة حليفُك، والدفترُ أليفُك، فإن قصَّرتَ ولا إخالُك، فغَيرى خالُك، والسلام.

ومن مقامات البديع المقامة الثانية عشرة البغدادية

حدّثنا عيسى بن هشام قال: اشتهيتُ الأَزاذَ[٢]، وأنا ببغداذَ، وليس معى عَقْد، على نَقْد[٣]، فخرجت أنتهِزُ مَحالَّه[٤] حتى أحلَّنى الكَرْخَ[٥]. فإذا أنا بسَوادىٍّ[٦] يسوق بالجَهْد حِمارَه، ويَطرِف[٧] بالعقد إزارَه، فقلت: ظفِرْنا واللهِ بصَيد، وحيَّاكَ اللهُ أبا زيد، من اينَ أقبلت؟ وأين نزلتَ؟ ومتَى وافيت؟ وهَلُمَّ الى البيت! فقال السوادى: لستُ أبا زيد، ولكنّى أبوعُبَيْد! قال: فقلت: نعم! لعن اللهُ الشيطانَ! أنسانيكَ طولُ العهد، واتصال البُعد، فكيف حالُ أبيك؟ أشابٌ كعهدى، أم شابَ بعدى،

---

(١) التقدير: التقليل فى النفقة ومحاسبة النفس على الانفاق.
(٢) الأزاذ: نوع من التمر.
(٣) أى صبر على دراهم.
(٤) أى أسرع اليها وابتدرها.
(٥) أى أحلنى الانتهاز، والكرخ: محلة كبيرة ببغداد بالجانب الغربى.
(٦) أى بفلاح من أهل السواد وهم نبط العراق وزراعه.
(٧) ويطرف: أى يثنى طرف ازاره ويردّه على عقدة وسطه أى يشمره.

فقال : قد نبتَ الربيعُ على دِمنتــه(١) ، فقلت : انا لله وانا اليــه راجعون ! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ! فمَددتُ يَدَ البِدارِ، الى الصِّدار، أريدُ تمزيقَه فقبض السوادىّ على خصرى بجُمْعِه(٢) وقال : نشدتك الله لا تمزّقته ، فقلت : هلم الى البيت نُصِبْ غداءً أو الى السوق نَشْتَرِ شواءً. فاستفزّته حَمِيّةُ القَرَم(٣)، وعطفته عاطفة النَّهَم(٤) وطمِع، ولم يَعلم أنه وقع . ثم أتينا شَوّاءً يتقاطر شِــواؤُه عَرَقا ، وتتسايل جُوذابُه(٥) مَرَقا، فقلتُ : افرِزْ لأبى زيد من هذا الشِّواء، ثم زِنْ له من تلك الحَلْواء، واخترْ له من تلك الأطباق، وانضِدْ عليها أوراقَ الرُّقاق، وشيئاً من ماء السُّمّاق(٦)، ليأكلَه أبو زيد هنيئًا . فانحنَى الشَّوّاءُ بساطوره، على زُبْدة تَنّوره(٧)، بجعلها كالكُحْل سَحْقا، وكالطَّحْن دَقّا . ثم جلَس وجلَستُ، ولا تَبَس(٨) ولا نبست ، حتى استوفيناه وقلت لصاحب الحلوى : زن لأبى زيد من اللوزينج رِطلين، فهو أجرى فى الحلوق ، وأمضى فى العروق ، وليكن ليلىَّ العُمْــر(٩) ، يومىّ النشر ، رقيق القشر ، كثيف الحشو،

---

(١) يريد قبره .
(٢) أى بقبضة يده .
(٣) القرم : اشتهاء اللحم .
(٤) افراط الرغبة فى الطعام .
(٥) الجوذاب : طعام يتخذ من سكر ورز ولحم .
(٦) السماق : ثمر حامض يشهى الطعام .
(٧) التنور : الفرن . وزبدته : يريد بها اللحم المشوى فيها الناضج كأنه زبدة .
(٨) أى ولا نطق بكلمة .
(٩) أى صنع فى ليلته ، وعرض للبيع فى نهارها . أى طازجا .

لؤلؤى الدهن، كوكبىّ اللون، يذوبُ كالصمغ قبل المضغ، ليأكله أبو زيد هنيا، قال: فوزنه. ثم قعد وقعدت، وجوّد وجوّدت، حتى استوفيناه وقلت: يا أبا زيد! ما أحوجنا الى ماء يُشَعْشَعُ بالثلج، ليقمعَ هذه الصارّة(١)، ويفثأ(٢) هذه اللقم الحارّة، اجلس يا أبا زيد حتى نأتيك بسقّاء، يأتيك بشَربةٍ من ماء، ثم خرجتُ وجلست بحيث أراه ولا يرانى أنظر ما يصنع، فلما أبطأتُ عليه قام السوادى الى حماره، فاعتلق الشوّاءُ بإزاره، وقال: أين ثمنُ ما أكلتَ؟ فقال أبو زيد: أكلتُه ضيفا. فلكمه لكمة، وثنى عليه بلطمة. ثم قال الشوّاء: هاك! ومتى دعوناك؟ زِنْ عشرين، وإلا أكلت ثلاثا وتسعين، فجعل السوادى يبكى ويَحُلُّ عُقَدَه بأسنانه ويقول: كم قلت لذاك القُرَيْد: أنا أبو عُبَيْد! وهو يقول: أنت أبو زيد. فأنشدت:

اعمَلْ لرزقك كل آلَهْ لا تقعُدَنَّ بكلّ حالَهْ

وانهض بكلّ عظيمة فالمرءُ يعجِزُ لا مَحالَهْ

ولأبى اسحاق الصابئ(٣) رسالة فى الشكر

وصل كتابُك مَشحونا بلطيف برّك، موشّحا بغامر فضلك، ناطقًا بصحة عَهْدِك، صادقا عن خُلوص وُدّك، وفهِمْتُه وشكرْتُ الله تعالى على سلامَتك شكرَ المخصوص بها، ووقفْتُ على ما وصفتَه من الاعتداد بى، وتناهيتَ اليه من التقريظ لى، فما زدتَ على أن أعرتَنى خِلالك، ونحلتَنى خِصالَك؛ لأنك بالفضائل أولى،

(١) الصارة: العطش.
(٢) ويفثأ: أى يسكن ويكسر.
(٣) تقدّمت ترجمته عند شعره.

وهى بك أحرى ، ولو كنتَ فى نفسى ممن يشتَملُ على وصـفه حَدّى اذا حدّدْتُ ، أو يحيطُ بكماله وصفى اذا وصفتُ ، لشرعت فى بلوغها أو القُرب منها؛ لكنِ المادحَ لك مستفرغٌ لك وُسْعَهُ وقد بخَسكَ ، ومستغرقٌ طَوْقَه وقد نقصك ؛ فأبلغ ما يأتى به المُثنى عليك ، و يتوصل اليه المُطْرِى لك ، الوقوفُ فى ذلك دونَ منتهاه ، والاقرارُ بالعجز عن غايته وقَرَاه[1] .

فصل من المقامة التفليسية من مقامات الحريرى[2]

فاتّفقَ حينَ دخلتُ تفليسَ[3] ، أَن صَلّيتُ مع زُمرة مَفاليس[4] . فلما قَضَينا الصّلاة ، وأزمعْنا الانفلات ، برَز شيخٌ بادى اللّقْوة[5] ، بالى الكُسوة والقُوّة . فقال : عزَمْتُ على من خُلِق مِن طينة الحُرّية ، وتَفوّق[6] دَرّ العَصَبية ، إلّا ما تَكلّفَ لى لُبثةً[7] ، واستمعَ مِنّى نَفْثَة ، ثم لَهُ الخِيارُ من بعْد ، و بيده البَذْلُ والردّ . فعقَدَ له القومُ الحُبا[8] ، ورَسَوْا أمثالَ

---

(١) القرا : المستقر ومجتمع الشيء .

(٢) هو أبو محمد القاسم بن على بن محمد الحريرى البصرى أحد أعلام البلاغة واللغة والأدب والإنشاء ومقاماته التى حاكى بها البديع أربت عليها اشتهارا ومنفعة ؛ وقل أديب منذ وجدت الى الآن لم ينتفع أو يعجب بها توفى سنة ٥١٠ هـ . بالبصرة .

(٣) مدينة بأذربيجان يسكنها الأرمن مع غيرهم .

(٤) مفاليس : فقراء .

(٥) اللقوة : ضرب من الشلل يعوج منه الشدق و يلتوى .

(٦) تفوق : رضع . والدر : اللبن ؛ أى من فيه ميل الى نصرة عنصره وقومه .

(٧) لبثة : مكثة ؛ أى مكث قليلا حتى يسمع ما أقول و يريد بالنفثة هنا : الكلمة .

(٨) الحبا : جمع حبوة وهى جلسة للاعراب كان الرئيس منهم يجلس على ألا يقوم لأحد . فيجمع مقدّم وركيه الى بطنه وساقيه الى وركيه ثم يلف على مقدّم ساقيه وظهره برداء يشمل الجميع .

الرُّبا . فلما آنس حُسْنَ إنصاتهم ، ورزانةَ حَصاتهم[1] ، قال : يا أولى الأبصار الرامقة ، والبصائر الرائقة ، أما يُغْنِي عن الخبرِ العِيانُ ، ويُنْبِئُ عن النار الدُّخانُ . شيب لائح وَوَهَنٌ فادح ، وداءٌ واضح ، والباطنُ فاضح . ولقد كُنْتُ مِمَّنْ ملكَ ومالَ[2] وَوَلِّى وآل ، ورَفَدَ وأنال ، ووَصلَ وصَالَ ؛ فلم تزَلْ الحوائجُ تَسْحَتُ[3] ، والنوائبُ تَنْحَتُ ؛ حتى الوَكْرُ قَفْرٌ ، والكفُّ صِفْر ، والشِّعارُ ضُرٌّ ، والعَيشُ مُرٌّ ، والصِّبيَةُ يَتَضَاغَوْنَ[4] من الطَّوَى ، ويَتَمَنَّوْنَ مُصاصَةَ النَّوى . ولم أقُمْ هذا المقام الشائن ، وأكشفَ لكمُ الدفائن ، إلّا بَعد ما شَقِيتُ ولقِيتُ[5] ، وشِبْتُ مِمَّا لَقِيت . فَلَيْتَنِى لم أكُنْ بقيت الخ .

من الكتابة العلمية التأليفية فى العراق وخراسان فى هذا العصر

(٥) فى فصل من كتاب التنبيه والإشراف للمسعودى[6]

وقد ذكرنا فى كتابِنا هذا وما سَلَف قبلَه من كُتبنا التى هذا سابعُها أخبارَ العالم وعجائبَه ، ولم نُخْلِه من دلائلَ تعضدها ، وبراهين تؤيدها عقلا وخبراً ، وغير ذلك :

---

(١) المراد بالحصاة هنا : العقل والرزانة .

(٢) مال : تموّل واغتنى . وولى : من الولاية . وآل : من الايالة وهى السياسة .

(٣) تسحت : من السحت ، وهو محق البركة .

(٤) يتضاغون : يتباكون ويصيحون جوعا . والطوى : الجوع . (٥) أصبت بالفقرة .

(٦) هو العالم المؤرخ الرحالة البحاثة أبو الحسن على بن الحسين المسعودى سليل عبد الله بن مسعود الصحابى صاحب كتاب مروج الذهب والتنبيه والاشراف ، وهما مطبوعان ، وله كثير من الكتب غيرهما . توفى سنة ٣٤٦ هـ .

مما استفاض واشتهر، وشاهد من الشعر على حَسَب الشيء المذكور وحاجته إلى ذلك.

ونحن وإن كان عصرُنا متأخرا عن عصر من كان قبلنا من المؤلفين، وأيامنا بعيـدة عن أيامهم فنرجو أن لا نُقَصِّر عنهم فى تصنيف نَقْصِدُه، وغرض نَؤُمُّه، وإن كان لهم سبقُ الابتداء، فلنا فضيلة الاقتداء، وقد تشترك الخواطر، وتتفق الضمائر، وربما كان الآخرُ أحسنَ تأليفا، وأتقنَ تصنيفًا لحُنكة التجارب، وخشية التتبع، والاحتراس من مواقع الخطأ. ومن هاهنا صارت العلومُ نَامِيةً غيرَ متناهية لوجود الآخِر ما لا يجدُه الأوَّل، وذلك الى غير غاية محصورة، ولا نهاية محدودة، وقد أَخْبَرَ اللهُ عز وجل بذلك فقال : «وفوقَ كُلِّ ذِى عِلم عَليم» على أنّ مِن شِيم كثير من الناس الاطراءَ للمتقدّمين، وتعظيمَ كتب السالفين، ومدح الماضى، وذم الباقى. وإن كان فى كتب المُحْدَثين ما هو أعظمُ فائدة وأكثرُ عائدة. وقد ذكر أبو عثمان عمرو ابن بَحر الجاحظ أنه كان يؤلف الكتاب الكثيرَ المعانى الحسنَ النظم فينسُبُه الى نفسه فلا يَرى الأسماع تُصغى اليه، ولا الإرادات تيمَّمُ نحوه. ثم يؤلف ماهو أنقصُ منه مرتبةً وأقل فائدة، ثم ينحله عبدَ الله بن المقفع أو سهلَ بن هرون أو غيرهما من المتقدّمين، ومن قد طارت أسماؤهم فى المصنفين، فيقبلون على كَتْبها، ويسارعون إلى نسخها، لا لشىء إلا لنسبتها إلى المتقدّمين، ولِما يداخل أهل هذا العصر من حسد من هو فى عصرهم، ومنافسته على المناقب التى يخص بها ويعنى بتشييدها.

وهـذه طائفة لا يعبأ بها كبار الناس. وإنما العمل على ذوى النظر والتأمل الذين

أَعطَوْا كل شيء حقَّه من العدل، ووفَّوْه قسطه من الحق؛ فلم يرفعوا المتقدّم إذ كان ناقصا ، ولم ينقصُوا المتأخر إذ كان زائدا . فلمثل هؤلاء تُصَنَّفُ الكتب، وتدوّن العلوم،وسنذكر الان الأمم السبع السالفة فى سابق الدهر ولغاتهم ومواضع مساكنهم وغير ذلك .

(٦) فصل من أدب الوزير للماوردى [1]

الإقدام من مزايا الوزير وصفاته

وأما الشرط الثالث — وهو الاقدام — فَهُوَ فى السياسة أَوْفَقُ شَرْطَيْهَا، وفى الوزارة أَكْفَى نَظَرِيْها، لِظَفَرِ الاقدام، وخيبة الإحجام . وقد قيل فى منثور الحِكَم : بالإقدام ترتفع الأَقدام : وإنما يجب الإقدام اذا ظهرت أسبابُه، وقُصِدت أبوَابه، فى إبّانه، وعند إمكانه، كما قال الشاعر :

اذا ما أتيتَ الأمرَ من غــير بابه ضَلَلتَ وإن تَقْصِد الى الباب تهتدى

ثم يجمع بعدهما بين حزمه وعزمه ؛ فالحزمُ تدبيرُ الأمور بموجب الرأى، والعزم تنفيذها للوقت المقدّر لها . فاذا تكاملت شروط الإقدام من هذه الوجوه الأَربعة لم يمنع من الظفر، إلا عوائقُ القَدَر . وقد قيل فى قديم الحِكَم : اذا طَلَبَ اثنان حظًّا

(١) هو قاضى القضاة أبو الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردى المتوفى سنة ٤٥٠ ه ، وهو صاحب كتاب أدب الدنيا والدين وكتاب الوزير وهما مطبوعان، وله كثير من الكتب غيرهما .

ظفِرَ به أفضلهُما دِينًـا . فان استويَا فى الدّين ظفِرَ به أفضلهما مُروءةً، فان استويا فى المروءة ظفِر به أكثرُهما أعوانا، فان استويا فى الأعوان ظفِر به أسعدُهما جَدًّا. فان انثلَمَ من شروط الاقدام أحدها صار الاقدامُ تغريرا يمنعَ من حَزْم ذِى اللب، ويصدّ عن الظفر، ما لم يَغْلب قَدَر، فما الأَقدارُ بقياس معتبر، وقد قال حكيم الهند: السبب الذى يدرك به العاجز حاجتَه هو الذى يحول بين الحازم وطِلبتِه . وقد قيـل لبزرجمهر: ما أعجَب الأشياء؟ قال: نُجْح الجاهل وإكداء العاقل . ودخل رجلٌ على عبد الله بن طاهر . فقال له : أيها الأمير! ما الذى لا يُحْتاج فيه الى عزم ولا حزم؟ فاستمهله فى جوابه ثلاثة أيام فعاد اليــه بعدها ، وسأله فقال له : الدولة، فقال : صدقت . وما أخرج هذه الكلمة منك إلا الدولة ، ولذلك قيل فى منثور الحكم : الحظ يأتى من لا يأتيه .

(٧) ولابن حمدون[(١)]

فصل من تذكرته فى السياسة والآداب الملكية، وهو فى سياسة الوزراء والكُتّاب وأتبـاع السلطان

قالوا : من صَحِبَ الملوكَ وقرُبَ منهم . ينبغى أن يكن جامعا للخِلال المحمودة . فأَوّلُهـا العقلُ ؛ فانه رأسُ الفضائل ، والعلمُ فإنه من ثمـار العقل ، ولا تَليق صحبةُ

(١) هو كافى الكفاة أبو المعالى بهاء الدين محمد بن الحسن بن محمد بن على بن حمدون البغدادى الكاتب الأديب صاحب التذكرة فى الأدب والسياسة توفى سنة ٤٩٥ هـ .

الملك بأهل الجَهل، والودُّ فانه خلق من أخلاق النفس، يُوَلِّده العدل فى الانسان الذى وده ؛ والنصيحة وهى تابعة للوُدّ، وهو الذى يبعث عليها . والوفاءُ فانه شيمة لا تتم الصحبة إلا بها، وحفظُ السر، وهو من صدق الوفاء، والعفةُ عن الشهوات والأموال، والصّرامةُ وهى شدّة القلب، فإن الملوكَ لا يصحَبُهم أولو النكول، ولا ينالُ الجسيمَ من الأمور إلا الشجاع النجد، والصدقُ؛ فانه من لا يصدُق يكذبُ، ومَضَرّة الكذب لاتُتلافَى، وحسنُ الزّى والهيئة؛ فان ذلك يزيد فى بهاء الملك. والبشرُ فى اللقاء؛ فإنه يتألَّف به قلبَ مَن يُلاقيه، وفى الكُلوح[1] تنفيرٌ عن غير ريبة. والأمانةُ فيما يستحفظ، ورعايةُ الحق فيما يستودع، والعدلُ والانصافُ، فان العدل يُصلِحُ السرائر، ويجمِّلُ الظواهر. وبه يُخاصِمُ الانسانُ نفسَه إذا دعته إلى أمر لا يَحسُنُ رُكُوبُه، وينبغى له أن يُجانِبَ أضداد هذه الخلال. وأن لا يكون حسودًا؛ فان الحسدَ يُفسِد ما بينه وبين الناس، وليُفَرّقْ بين الحسد والمنافسة؛ فانهما يشتبهان على من لا يعقل. وأن يخلوَ من اللجاج والمَحك؛ فان ذلك يضُرّ بالأفعال إذا وقع فيها اشتراك، وأن لا يكون بذَّاخا ولا متكبرا، فان البذخ من دلائل سقوط النفس وشدّة الطيش والبعد عن الصبر.

وينبغى أن لا يكونَ فَدْمًا وَخِما وَلا ثقيلَ الروح؛ فانها صفةٌ لاتليق بمن يلاقى الملوك، وأبدا تكون سببا للمَقْت مِنْ غير جرم. وبالجملة فالفضائل والأخلاق المحمودة كثيرة، وأولى الناس بطلب غاياتها الملوك، كما هم الغاية، ثم أتباعهم ثم سائر الرعية.

---

(١) الكلوح : الإفراط فى العبوس والكشر عن الأنياب .

الادب بمصر والشام فى العصر الثانى العباسى

(١) الشـــعر

(١) قال المتنبى[١] من قصيدة يمدح بها المغيث بن على ابن بشر العِجْلى :

فُــؤادٌ ما تُسلّيـه المُــدَامُ ... وعُمْــرٌ مثـلُ ما تهَبُ اللِّئَامُ

ودهرٌ ناسُـــه ناسٌ صِـــغار ... وانْ كانتْ لهم جُثَثٌ ضِخَامُ

وما أنا فيهـــم بالعَيْش فيهـمْ ... ولكن معـــدِنُ الذهب الرغام

أرانبُ غـــير أنّهُـــمُ مـلوكٌ ... مفتّحَـــةٌ عُيونُهـــمُ نِيامُ

بأجسام يَحَـــرُّ القتْـــل فيها ... وما أقـــرانُها إلا الطّعَامُ[٢]

وخيـــل لا يَخِرُّ لهـا طعينٌ ... كأنّ قَنَـا فوارِسـها ثُمَام[٣]

---

(١) هو أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي آخر شعراء الطبقة الأولى فى الاجادة من المحدثين . وهو كوفى المنشأ . خرج من الكوفة وعمره بضع عشرة سنة يطلب اللغة فى بادية بنى كلب ، فالتف عليه قبائلها وشاع ذكره بينهم ، وبلغ أهل الشام أنه تنبأ بينهـم فخرج عليـه عامل حمص وأسره وسجنه ، ثم أطلق ، ومدح أمراء الشام وانتهى به الأمر الى مدح سيف الدولة الحمدانى أمير حلب ، فقربه اليه وأغدق عليه ، وعلمه الفروســية ؛ ثم حصلت بينهما جفوة فرحل الى مصر ، وأميرها كافور ، فمدحه ، ثم هرب من مصر وهجاه . ثم ذهب الى فارس مارًّا ببغداد فمدح عضد الدولة وابن العميد ، فأغدقا عليه . ثم رجع قاصـــدا الكوفة فقتله الأعراب قرب بغداد سنة ٣٥٤ هـ .

(٢) أى يشتد القتل فيها ، وليس لها أعداء إلا الطعام .

(٣) الثمام : نبات لين كالخوص قريب من الأرض .

خليلُك أنتَ ، لا مَن قلتَ خِلّى وإن كثُر التجمُّل والكلامُ
ولو حِيزَ الحِفاظُ بغير عقلٍ تجنَّبَ عُنْقَ صَيْقَلِه الحُسام
وشِبْهُ الشىء منجَذب اليه وأشبهُنا بدُنيانا الطَّغام (١)
ولو لم يَعْلُ إلا ذو محَلٍّ تعالى الجيشُ وانحط القَتام (٢)
ولو لم يرعَ إلا مستحقٌّ لرتبته أسامَهُمُ المُسام (٣)
ومن خَبَرَ الغوانى فالغوانى ضياءٌ فى بواطنه ظلام
اذا كان الشبابُ السُّكرَ والشَّيْبُ همًّا فالحياةُ هى الحِمام
وما كلٌّ بمعذورٍ ببُخلٍ ولا كلٌّ على بخلٍ يلام

وقال :

اذا غامرتَ فى شرَفٍ مَروم فلا تقنَعْ بما دُونَ النُّجوم
فطَعْمُ الموت فى أمرٍ حقيرٍ كطعم الموت فى أمرٍ عظيم
ستبكى شجوَها فرسى ومهرى صفائحُ دمعُها ماءُ الجُسوم (٤)
قَرَبْنَ النارَ ، ثم نَشأْنَ فيها كما نَشأَ العَذارى فى النعيم
وفارقن الصياقلَ مُخْلَصات وأيديها كثيراتُ الكُلوم (٥)

(١) الطغام : الأراذل والسفلة .

(٢) القتام : الغبار .

(٣) أسام الماشية صاحبها : أرعاها النبات ، فهى مسامة ، أى ولو لم يرع الرعية إلا من يستحق الرياسة لرعى هؤلاء الرؤساء المرءوسون من الرعية ؛ لأنهم أفضل منهم .

(٤) يريد بالصفائح السيوف . ثم أخذ فى وصفها الخ .

(٥) أى وأيدى الصياقل كثيرة الجراح من مضائها .

يَرى الجبناءُ أنّ العجزَ عَقْلٌ — وتلك خديعــةُ الطبع اللئيم
وكلُّ شجاعةٍ في المــرءِ تُغْنِي — ولا مثلَ الشجاعةِ في الحكيم
وكم من عائب قَـوْلا صحيحًا — وآفتُه من الفَهْم الســقيم
ولكن تأخذ الآذانُ منــه — على قــدر القرائح والفهــوم

وقال من قصيدة يمدح بها كافورا :

أَوَدُّ من الأَيامِ ما لا تَــوَدُّهُ — وأشكو إليها بَيْنَنَا وهي جُنــدُه (١)
يُباعِدْن حِباًّ يَجْتَمِعْن وَوَصْــلُه — فكيف بِحِبٍّ يجتمعْن وصــدُّه (٢)
أبى خُلُقُ الدنيـا حبيبًا تُديمُه — فما طَلَبي منهـا حَبيبا تَردُّهُ
وأسرعُ مفعـولٍ فعلتَ تَغَــيُّراً — تكلُّفُ شيءٍ في طِباعك ضِــدُّهُ
رعَى اللهُ عِيسا فارقَتْنا وفوقَهـا — مَهًا كلُّهـا يُولَى بجفنَيــه خَدُّه (٣)
بِوادٍ به ما بالقـلوب كأنّه — وقد رحلوا جِيــدٌ تناثَرَ عِقْـدُه (٤)
إذا سارت الأحداجُ فوقَ نَبـاتِه — تَفاوَحَ مِســكُ الغانيـات وَرَنْدُه (٥)

---

(١) أى أودّ منها ما لا تودّه من إنصافى وتنويل مرادى ، وأشكو اليها فراقنا ، وهى عون الفراق .

(٢) وصله وصـده : معطوفان على الضمير فى يجتمعن بدون فاصل ضرورة : أى يبعدن منا الحبيب المواصل ، فكيف يقربن الحبيب المقاطع ؟

(٣) العيس : الإبل البيضاء . و يولى : يمطر ، أى ينزل عليه المطر . والمراد به هنا الدموع ، أى رعى الله إبلا فارقتنا عليها نسوة كالمها كل واحدة منهن تبكى فيسيل دمعها على خدها .

(٤) أى فارقتنا بوادٍ به ما بقلوبنا من الوجد والوحشة ، وكان متزينا بنزولهن فيه ، فلما رحلن صار كالجيد العاطل من الحلية .

(٥) الأحداج : جمع حدج : مركب كالهودج للنساء . والرند : نبات طيب الرائحة بالبادية ، وهو الغار . أى اذا سارت الابل حاملة لهن فى الأحداج تفاوح مسكهن ونبات الرند بالوادى .

وحالٍ كإحداهُن رُمْتُ بلوغَها ... ومن دونها غَوْلُ الطريق وبُعْدُه (١)

وأتعبُ خلق الله من زادَ همُّه ... وقَصّر عما تشتهى النفسُ وُجدُه (٢)

فلا يَنْحَلِلْ فى المجد مالُك كلُّه ... فينحلَّ مجدٌ كان بالمال عقدُه

ودَبّرْه تدبيرَ الذى المجدُ كفُّهُ ... إذا حارَبَ الأعداء ، والمالُ زَنْدُه

فلا مجدَ فى الدنيا لِمَن قلَّ مالُهُ ... ولا مالَ فى الدنيا لِمَن قلَّ مجدُه

وفى الناس مَن يرضى بميسورِ عيشه ... ومركوبُه رِجلاهُ ، والثوبُ جِلدُه

ولكنّ قلبًا بين جنبَىَّ مالَهُ ... مَدًى ينتهى بى فى مُرادٍ أُحُدُّه

يرَى جسمَه يُكسَى شُفُوفا تَرُبُّهُ ... فيختارُ أن يُكسَى دُروعا تَهُدُّه (٣)

يُكَلِّفُنِى التهجيرَ فى كلِّ مَهْمَهٍ ... عَلِيقِى مَراعِيهِ وزادِىَ رُبْدُه (٤)

وقال بمصر ولم ينشدها كافورا ولم يذكره بها :

صَحِبَ الناسُ قبلَنا ذا الزمانا ... وعَناهُمْ من شأنه ما عنانا

وتولَّوْا بغُصَّةٍ كُلُّهم منـ ... ـه ، وإن سَرَّ بعضَهم أحيانا

رُبَّما تُحسِنُ الصنيعَ لياليـ ... ـه ، ولكنْ تُكَدِّرُ الإحسانا

وكأنَّا لم يرضَ فينا بِرَيب الدّ ... هْر ، حتَّى أعانَهُ مَن أعانا

كلَّما أنبتَ الزمانُ قناةً ... ركَّبَ المرءُ فى القناة سنانا

---

(١) ورب حال كاحدى هذه النسوة فى الصعوبة والامتناع وتعذر الوصول اليهن .

(٢) الوجد : المال والمقدرة .

(٣) تربه : تنعمه وتميه .

(٤) الربد : جمع أربد يريد بها النعام . أى لاعليق له إلا مرعى البادية ، ولا زاد إلا من صيد النعام .

ومرادُ النّفُـوس أصـغرُ مِنْ أنْ ... نتعادَى فيـه ، وأنْ نتفـانى

غير أنَّ الفتى يُلاقِي المنـايا ... كالحـاتِ ، ولا يُلاقِي الهَـوانا

ولو أنَّ الحيـاةَ تبـقى لحيّ ... لعـدَدْنا أضَلّنا الشُّـجعانا

وإذا لم يكن مِنَ المـوت بُدٌّ ... فمن العَجْـزِ أن تكون جَبـانا

كلُّ ما لم يكُنْ مِنَ الصعب فى الأنـ ... ـفُسِ سَهْلٌ فيهـا إذا هُـو كانا

وقال يُعزِّى من قصيدة :

لا بُدَّ للانسـانِ مِن ضَجْعَـةٍ ... لا تَقْلِبُ المُضجَعَ عن جَنْبِـهِ

ينسَى بها ما كانَ مِن عُجْبِـهِ ... وما أذاق الموتُ من كَرْبِه

نحنُ بنُـو الموتى ؛ فمـا بالُنـا ... نعافُ ما لا بُدَّ من شُرْبه ؟

تبخَـلُ أيدينـا بأرواحنـا ... على زمانٍ هُنَّ مِن كَسْـبِه

فهـذه الأرواحُ من جَـوِّه ... وهـذه الأجسـادُ من تُرْبه (١)

لو فَكَّرَ العاشـقُ فى منتهى ... حسنِ الذى يَسبِيه — لم يَسْبِه

يموتُ راعِى الضأنِ فى جهله ... مَوْتَةَ جالينوسَ فى طِبِّـه

وربمـا زاد على عُمْـرِه ... وزاد فى الأمن على سِرْبه

وغاية المُفْـرِط فى سَـلْمِه ... كغاية المُفـرِط فى حربه

فـلا قضى حاجتَـه طالبٌ ... فؤادُه يَخْفِقُ مِن رُعبـه

---

(١) أى أجسامنا مركبة من عناصر الأرض وتربها وحياتنا مستمدة من الجو وهوائه ، ومظهر الدهر والزمان هو الأرض وماؤها وهواؤها .

وقال المتنبي من قصيدة يستعطف بها سيف الدولة لبنى كلاب، وكان قد أوقع بهم وأسر منهم :

وكيفَ يتمُّ بأسُـــك فى أُناسٍ ... تُصيبهمُ، فيُؤْلمُك المُصـابُ

ترفّقْ أيُّهـا المَولَى عليهـــم ؛ ... فإنّ الرِّفق بالجـانى عِتـاب

وإنهـمُ عَبيدُك حيث كانوا ... إذا تدعـو لحـادثة أجابوا

وعَيْنُ المخطئـين هُمُ وليْسُـوا ... بأوّلِ مَعْشر خطِئُـوا فتـابوا

وأنتَ حياتُهمْ غَضِبتْ عليهمْ ... وهَجْـرُ حياتهم لهـمُ عقـاب

وما جُهِلَتْ أياديك البـوادى ... ولكن رُبّمـا خَفِىَ الصواب

وكم ذنبٍ مُـوَلِّدُه دَلالٌ ... وكم ذَنب مُولِّده اقـــتراب

وجُرمٍ جَرّهُ سـفهاءُ قــوم ... وحَلّ بغير جارمه العـــذاب

وقال المتنبي يذكر شعب بَوّان :

مغـانى الشِّعْب طِيبًـا فى المغانِى ... بمـــنزلة الربيـع مِنَ الزمان (١)

ولكنّ الفَتَى العـــربىّ فيهـا ... غريبُ الوجهِ واليـــدِ واللسـان (٢)

مَلاعِبُ جِنّـــةٍ لو ســارفيهـا ... سُليمانٌ لسـارَ بِتَرجُمـان (٣)

---

(١) المغانى : المنازل المفرد مغنى . وشعب بوان أحد منازه الدنيا ، وهى أربعة مواضع : غوطة دمشق ، ونهر الأبلة ، وشعب بوان ، وصغد سمرقند . وطيبا تمييز ، يقول : منازل هذا المكان أحسن أماكن الدنيا كما أن الربيع أحسن فصول السنة .

(٢) يريد بالفتى نفسه . غريب الوجه : لأن سحنته ليست كسحنة الفرس ، وغريب اليد : لا ملك له أولا يكتب بيده إلا العربية ، وغريب اللسان لأن القوم أعاجم ؛ إذ هو عند شيراز .

(٣) جعل المكان لجماله ملاعب ، وجعل أهله جنا لبراعتهم . وأخبر أنه لا يفهم لغتهم حتى لو أتاهم سليمان لاحتاج إلى مترجم مع علمه باللغات .

طَبَتْ فُرسانَنا والخيــلَ ؛ حتى خشيتُ ، وان كَرُمنَ مِن الحِران (١)

غدونا تنفُضُ الأغصانُ فيهـا على أعرافها مثــلَ الجُمان (٢)

فسرتُ ، وقد حَجَبْنَ الشمسَ عنّى وجئْنَ مِنَ الضيــاءِ بما كَفَانى

وألقى الشـرقُ منهـا فى ثيـابى دنانــيرًا تفــرّ من البنـان

لهـا ثَمَرٌ تُشــير اليــك مِنــه بأشربَةٍ وقفن بلا أوان (٣)

وأمواهٌ تَصِـــلُّ بهـا حَصَاها صَـلِيلَ الحَلْى فى أيدى الغوانى (٤)

* * *

اذا غنى الحمـامُ الـوُرْقُ فيهـا أجابتــه أغانىُّ القيـان (٥)

ومن بالشِّعب أحوجُ من حمام اذا غنّى وناح الى البيـان (٦)

وقد يتقارب الوصــفان جِدّا وموصــوفا همـا متباعــدان (٧)

---

(١) طبت : دعت واستمالت ، والحران للدابة أن تقف مكانها لا تبرحه . يقول إن هذه المواضع استمالت خيلنا حتى خفت حرانها على رغم كرمها .

(٢) غدونا : سرنا غدوة . الجملة بعدها حال . والأعراف : جمع عرف ، شعر العنق ، والجمان حب من الفضــة يشبه اللآلئ . شــبه به ما يتناثر على الخيل من الأزهار البيضاء كالياسمين مثلا أو ما ينفذ من خلال الأوراق من ضوء الشمس .

(٣) الأوانى : جمع آنيــة وهى جمع إناء . يريد أن ثمرها لرقة قشره يرى ماؤه من وراء القشر كأنه شراب قائم بنفسه دون إناء يمسكه .

(٤) تصل : تصوت .

(٥) الورق : جمع ورقاء وهى التى فى لونها سواد إلى بياض . والقيان : جمع قينة : الجارية .

(٦) من موصولة مبتدأ خبره أحوج . يقول : سكان الشعب أحوج من حمامه إلى من يبين معنى غنائهم لأنهم أعاجم لا يفهم العربى غناءهم .

(٧) يعنى التقارب بين أصوات الحمام و بين أصوات الأعاجم وان اختلف الصائت .

يقول بشِعب بَوّانٍ حِصانى : أعَنْ هـذا يُسار الى الطعان (١)
أبوكُمْ آدمٌ سنَّ المعاصى وعلَّمكم مفارقة الجنان (٢)

(٢) قال أبو فراس[٣] فى الشكوى والعتاب

وإنى وقومى فرّقتنا مذاهبُ وإن جمعتنا فى الأُصول المَنَاسِبُ
فأقصاهمُ أقصاهُمُ من مَساءَتى وأقربُهم مما كرِهتُ الأقاربُ
غريبٌ وأهلى حيثُ ما كرَّ ناظرى وحيدٌ وحَوْلى مِن رجالى عصائبُ
نسيبُك من ناسبتَ بالوُدّ قلبَه وجارُك مَن صافيتَه لا المُصاقِبُ
وأعظمُ أعداء الرجال ثِقاتُها وأهونُ مَن عاديتَه مَنْ تُحارِبُ
وما الذنبُ إلا العَجزُ يركَبُه الفتى وما ذنبُه إن حارَبَتْه المطالبُ
ومن كان غيرُ السيف كافلَ رزقه فلِلذُّلّ منه — لا محالة — جانبُ

وقال :

أنفِق مِن الصبر الجميل ؛ فإنه لم يخشَ فقرًا مُنفِقٌ مِن صَبْرِه
والمرءُ ليس ببالغٍ فى أرضه كالصقر ليس بصائد فى وَكره

(١) استفهام تعجبى . والطعان الحرب .

(٢) أى فأنتم تفعلون هذا اقتداء بأبيكم آدم حين عصى الله فأخرج من الجنة .

(٣) هو أبو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبى ابن عم سيف الدولة أمير حلب وممدوح المتنبى كان شاعرا كاتبا أديبا فارسا . طالما قاتل الروم بين يدى سيف الدولة . وأسر فى إحدى وقائعه معهم ، وطال أسره . وكان يكتب الى سيف الدولة كثيرا من الكتب والقصائد فى إنقاذه ، وكان يعسر عليه المفاداة . ثم فك أسره . وسكن منبج متوليا عليها . ثم قتل فى ثورة قومية سنة ٣٥٧ عن ٣٧ سنة . ويغلب على شعره الفخر والشكوى من الأقارب والعتاب .

وقال :

خفِّضْ عليك ولا تكن قَلِقَ الحشى مِمّـا يكون ، وعَلّه ، وعساهُ

والدهر أقصرُ مــدّةً ممـا ترى وعسـاك أن تُكفَى الذى تخشاهُ

وقال :

عَرَفْتُ الشرَّ لا للشـ ـرِّ ، لَكِنْ لتوقِّيــهِ

فَمَن لا يَعْرِف الشّرَّ مِنَ الناس يَقعْ فيه

وقال :

لعمرُك ما الأبصـار تنفَـعُ أهلهَا اذا لم يكـن للمبصرين بصـائرُ

وهل ينفـع الخطىُّ غـيرَ مثقّف وتَظْهَــر إلّا بالصِّقال الجواهرُ

وكيف ينُالُ المجدُ ، والجسمُ وادعٌ وكيف يُحازُ الحمـدُ ، والوفرُ وافرُ

وقال :

اذا لم يُعنْــكَ اللهُ فيما تريده فليس لمخـلوق اليـك سـبيل

وإن هو لم يُرْشِدْك فى كل مسلَك ضَـلِلْتَ ، ولو أنّ السِّماك دليـل

وقــوله :

ما للعبيــد مِن الذى يقضى به اللهُ امتنـاعُ

ذُدتُ الأســودَ عن الفرَا ئس ، ثم تَفرِسُنِى الضِّباعُ

وقــوله :

قد عذُبَ الموتُ بأفواهنا والموتُ خيرٌ من مُقَامِ الذليلْ

إنّا الى الله لمـا نابَنـا وفى سبيل الله خير السبيل

(٣) المَعَرِّى[1]

قال من قصيدة يرثى بها فقيها حنفيا :

غيرُ مُجْدٍ فى مِلّتى واعتقادِى	نَوحُ باكٍ ، ولا تَرَنُّمُ شادِ (٢)
وشبيهٌ صَوْتُ النَّعِىِّ إذا قيـ	ـسَ بصوت البشير فى كل ناد
أبكتْ تلكمُ الحَمامةُ أم غنَّـ	ـت على فَرْعِ غُصنِها المَيَّاد
صاحِ هذى قبورُنا تملأُ الرَّحْـ	ـبَ فاين القُبُورُ من عَهْدِ عاد
خفِّفْ الوَطْءَ ما أَظُنُّ أديم الْـ	ـأرض إلا مِن هذه الأجساد
وقبيحٌ بنا وإن قَدُمَ العهـ	ـدُ هوانُ الآباءِ والأَجداد
سِرْ إنْ اسْطَعْتَ فى الهَواءِ رُوَيْدًا	لا اختيالا على رُفات العباد
رُبَّ لَحْدٍ قد صار لَحْدا مِرارا	ضاحِكٍ من تزاحُم الأضداد
ودفينٍ على بقايا دَفينٍ	فى طويل الأزمان والآباد
فاسألِ الفَرْقَدين عمّن أحسّا	من قَبِيل وآنسا من بلاد (٣)
كم أقاما على زوالِ نهارٍ	وأنارَا لِمُدْلِجٍ فى سَواد

---

(١) هو أبو العلاء أحمد بن عبد الله المعرّى الشاعر الفيلسوف . ولد ومات بالمعرة ، وتعلم فى صغره على أهله ثم على علماء الشام وقتئذ ، فخرج نادرة فى الحفظ والذكاء وعمى فى صغره ، ولما اكتهل ذهب الى بغداد فلم يطب له العيش فيها ، فرجع الى بلده يائسا من خير العالم ، فجلس فى البيت ولم يخرج ، وحرم على نفسه أكل اللحم ، وما يخرج من كل ذى روح . وعاش على هذه الحال نحو أربعين سنة ومات سنة ٤٤٩ هـ عن ٨٦ سنة . وله شعر عادى وشعر التزم فى قوافيه رويين وضمنه أغلب آرائه فى العالم ونظامه .

(٢) أى صائح من الطيور .

(٣) الفرقدان : نجمان واضحان فى بنات نعش الصغرى (الدب الأصغر) .

تَعَبٌ كلُّها الحياةُ فما أعـ — ـجَبُ إلا مِن راغب فى ازدياد
إنّ حُزناً فى ساعة الموت أضعا — فُ سرورٍ فى ساعة الميلاد
خُلِق الناسُ لِلبقاءِ فضلّتْ — أُمّةٌ يحسبونهم للنفاد
إنما يُنقَلون من دار أعما — لِ الى دار شِقْوة أو رَشاد
ضجعة الموت رقدةٌ يستريح الـ — ـجسم فيها ، والعيش مثل السهاد

وقال يفتخر :

ألا فى سبيلِ المجد ما أنا فاعلُ : — عفافٌ ، وإقدامٌ ، وحَزْم ، ونائلُ
أعِندى ، وقد مارستُ كلَّ خَفيّةٍ — يُصدَّق واشٍ ، أو يُخَيَّب سائل
أقلُّ صدودى أننى لك مُبْغِضٌ — وأيسَرُ هجرى أننى عنك راحل (١)
إذا هبّتِ النكباءُ بينى وبينكم — فأهونُ شىء ما تقولُ العواذل (٢)
تُعدُّ ذنوبى عند قوم كثيرةً — ولا ذنبَ لى إلا العُلا والفضائل
كأنى إذا طُلتُ الزمانَ وأهلَه — رجَعتُ وعِندى للأنام طوائل (٣)
وقد سارَ ذكرِى فى البلاد ، فمن لهم — باخفاءِ شمس ضوءُها متكامل
يُهِمُّ الليالى بَعْضُ ما أنا مُضمِرٌ — ويَثْقُلُ رَضوَى دون ما أنا حامل
وإنى وإن كنتُ الأخيرَ زمانُه — لآتٍ بما لم تستطعْهُ الأوائلُ

(١) يخاطب لائمه بقوله : لا أرضى فيك بالصدود دون الإبغاض لك ، ولا بالهجر دون الارتحال عنك .

(٢) النكباء : الريح تهب بين مهبى ريحين . أى اذا بعدت عنكم ، وأصبح بينى وبينكم فراغ تهب فيه الرياح فلا أبالى بقول العواذل .

(٣) طلت : فقت عليهم ، وأشرفت . والطوائل : التراث ، أى كأن لهم ثأرات عندى يطلبونها .

وأغدُو، ولو أن الصباحَ صوارمٌ وأسْرِى ، ولو أنَّ الظلامَ جحافل

وإنى جوادٌ لم يُحَلَّ لِجامُه ونِضْوٌ يمانٍ أغفلَتْه الصياقل

وإن كان فى لُبس الفتى شرفٌ له فما السيفُ إلا غِمدُه والحمائل

ولى منطِقٌ لم يرض لى كُنهَ منزلى على أنّى بينَ السِّماكَيْن نازل (١)

لدَى موطنٍ يشتاقُه كلُّ سيِّد ويَقْصُر عن إدراكه المتناوِلُ

ولما رأيتُ الجهلَ فى الناس فاشيا تجاهلتُ حتى قيلَ : إنىَ جاهل

فواعجبا ! كم يَدَّعِى الفضلَ ناقصٌ ووا أسفا ! كم يُظهر النقصَ فاضلُ

وكيف تنامُ الطيرُ فى وُكُناتها وقد نُصِبَتْ للفَرقدَيْن الحبائل

يُنافِسُ يَومى فىَّ أمسِى تشرُّفًا وتَحسُد أسحَارِى علىَّ الأصائل

وطال اعترافى بالزمانِ وصَرفه فلستُ أُبالى مَن تغول الغوائل

فلو بانَ عَضْدِى ما تأسَّفَ مَنْكِبِى ولو مات زَنْدِى ما بكتْه الأنامل

إذا وَصَفَ الطائىَّ بالبخلِ مادِرٌ وعَيَّرَ قُسًّا بالفهاهةِ باقل (٢)

وقال السُّهى للشمس : أنتِ خفيةٌ وقال الدُّجَى : ياصُبْحُ لونُكَ حائل (٣)

وطاولت الأرضُ السماءَ سفاهةً وفاخرت الشُّهبَ الحَصى والجنادلُ

فياموْتُ زُرْ إن الحياةَ ذميمةٌ ويا نفس جِدّى إن دهرَك هازِل

(١) السماكان : الرامح والأعزل : نجمان فى السماء .

(٢) يريد بالطائى حاتما . ومادر يضرب به المثل فى البخل ، وقس بن ساعدة أحد خطباء الجاهلية وفصحائها ، وباقل : يضرب به المثل فى العىّ .

(٣) السهى : نجوم خفية فى بنات نعش الصغرى .

إذَا أَنْتَ أُعطِيتَ السعادةَ لم تُبَلْ ... وإن نَظَـرتْ شَزْرًا إليك القبائلُ [1]

فان كنتَ تبغى العِزَّ فابغِ توسُّطا ... فعِنـــد التنـاهى يقصُر المتطاوِل

تَوَقَّى البـدورُ النقصَ وهى أهِلةٌ ... ويُدركُها النقصـانُ وهى كواملُ

وقال رحمه الله فى اللزوميات وهى تتضمن كثيرا من آرائه :

غدوتُ مريضَ العَقلِ والدِّين فالْقَنِى ... لِتسـمَعَ أنبـاءَ الأُمور الصحـائح

فلا تأكلنْ ما أخرجَ المَـاءُ ظالِمًـا ... ولا تَبْـغِ قُوتًا من غَريض الذبائح[2]

ولا بَيْـضَ أُمَّات أرادتْ صريحَـهُ ... لأطفالهـا دون الغـوانى الصرائح[3]

ولا تَفْجَعَنَّ الطـيرَ وهى غوافـل ... بمـا وَضَعَت ؛ فالظلمُ شرُّ القبـائح

ودَع ضَرَب النَّحل الذى بكَرَتْ لَهُ ... كواسبَ من أزهار نبتٍ فـوائح[4]

فـا أحرزته كى يكون لغيرها ... ولا جمعتْـه للنـدَى والمَنـائح

مَسَـحْتُ يدى من كل هـذا فليتنى ... أبِهْتُ لشأنى قبـل شَيْب المسائح[5]

بنى زَمنى هـل تعلمون سرائرا ... علمتُ ، ولكنِّى بهـا غـيرَ بائح.

سَـرِيتُمْ على غَىٍّ، فهـلا اهتديتمُ ... بمـا خَبَّرتْكم صافيـاتُ القـرائح!

---

(١) لم تبل : أى لم تبال . وهـذا الفعل قد يشذ عن حكم المنقوص المجزوم فيعامل معاملة الثلاثى الأجوف فى الشعر فتحذف عينه بعـد حذف لامه للجزم ويسكن ما قبل آخره . والنظر الشزر : نظر بمؤخر العين غضبا .

(٢) أى لا تأكل السمك ونحوه ولا ذبائح الدواب .

(٣) أى لا تأكل بيض الطيور ولا أفراخها فتفجعها فيها .

(٤) الضرب : العسل .

(٥) المسائح : جمع مسيحة ، وهى ذؤابة الشعر .

وصاح بكم داعى الضلال، فما لكم أجبتم على ما خَيَّلَتْ كلُّ صائح؟

* * *

فان تَرْشُدوا لاتخضبُوا السيفَ من دم ولا تُلزِموا الأَميالَ سَبْرَ الجرائح[١]

ويُعجِبُنى دأبُ الذين تَرَهَّبُوا سِوى أكلِهم كَدَّ النفوس الشحائح

وأطيَبُ منهم مَطْعَمًا فى حياته سُعاةُ حَلالٍ بَيْنَ غادٍ ورائح

فما حَبَسَ النفسَ المسيحُ تعبُّدا ولكن مشى فى الأرض مِشيةَ سائح

يُغَيِّبُنى فى التُّربِ مَنْ هو كارِهٌ إذا لم يُغَيِّبْنى كَرِيهُ الروائح

ومَن يتوقَّ أن يُجاورَ أعظُمًا كأعظم تلك الهالكات الطرائح

ومِن شرِّ أخلاق الأنيس وفعلِهمْ خُوارُ النواعى والتِدامُ النوائح[٢]

وأصفَحُ عن ذنب الصديق وغيره لسكناى بَيْتَ الحق بين الصفائح

وأزهدُ فى مَدْح الفتى عند صِدْقه فكيف قبولى كاذباتِ المدائح

وما زالت النفسُ اللجوجُ مَطِيَّةً الى إن غدت إحدى الرذايا الطلائح[٣]

وما يَنفعُ الانسانَ أن غمائما تسحُّ عليه تحت إحدى الضرائح

ولو كان فى قربٍ من الماء رغبةٌ لنافس ناسٌ فى قبور البطائح[٤]

(١) ينهى عن الحرب والقتل وما يتبعهما من معالجة الجراح بادخال الأميال فيها لمعرفة عمقها فى الجسم .

(٢) الأنيس : يريد بهم الأنس .

(٣) الرذايا : جمع رذية ، وهى الضعيفة المهزولة من الحيوان ، وكذلك معنى الطلائح .

(٤) ينكر على الناس دعاءهم للوتى بالسقيا .

(٤) وقال أبو الحسن التِّهـامى(١) فى الغزل

قلتُ لِخِــلٍّ وثُغُــورُ الرُّبا مُبْتَسِماتٌ وثُغُــورُ المِــلاحْ
أيهمَا أحلى ـ تُرَى ـ مَنْظَرًا ؟ فقال : لا أعلم ! كُلٌّ أقاحْ

(٥) وقال علىٌّ بن النعمان فى الوصف

وهو القــاضى أبو الحسن على بن النعمان قاضى العــزيز الفــاطمى والمتــوفى سنة ٣٧٤ هـ :

صــديقٌ لى لـــه أَدَبُ صــداقةُ مثــله نســب
رعى لى فــوقَ ما يُرْعَى وأوجبَ فــوق ما يجب
فَــلَوْ نُقِــدتْ خلائقُــه لَبُهْــرج عنــدَها الذَّهبُ

(٦) عبد المحسن الصُّورىّ

وقال عبد المحسن الصورى أحد شعراء الشام المبدعين ، وتوفى سنة ٤١٩ هـ ، فى وصف جميل يسبح فى ماء :

رأيتُ ما لم يَــرَه راءِ ماءً غــدا يَســبَحُ فى ماءِ
أومأتُ با لحــظ الى جسمه فكاد أن يُدْمِيــهِ إِيمائى

(١) هو أبو الحسن على بن محمد التهامى أصله من تهامة التى من بلاد العرب وهى : ما المنخفض من الأرض عن الحجاز الى البحر الأحمر . جاب بلاد العراق والشام ، ومدح رؤساءها . ثم جاء مصر جاسوسا لأحد أمراء الشام زمن الفاطميين ، فقبضوا عليه ومات فى سجنهم سنة ٤١٦ هـ . وله شعر رقيق مجموع فى ديوان ، ومن أشهره مرثيته فى ولده التى أولها (حكم المنية فى البرية جار) .

(٧) وقال أبو الحسن على بن عبد الرحمن

الشهير بابن يونس المنجم المصرى من فلكيي المصريين زمن الفاطميين توفى سنة ٣٩٩ هـ

فى الهـــجاء

وذى حِرصٍ تــراه يَلُمّ وَفـرًا لوارثه، ويَدفعُ عَـن حِمَـاه

ككلْب الصيد: يُمسكُ وهو طاوٍ فريســتَه ليأكلَهـا ســواه (١)

(٨) وقال القاضى المهذب الحسن بن الزبير الأُســوانى

من كبار الأُدباء والشعراء فى دولة المصريين الفواطم

المتوفى سنة ٥٦١ هـ . يتشوق

نهرَ بردَى بالشام

بِاللهِ يــا رِيحَ الشّــما لِ اذا اشتمَلْتِ الرَّوحَ بُرْدَا

وحَمَلتِ من نشْر الخُــزَا مَىٰ ناغتـــدى للنّــدِّ نِـدّا

ونَسَجت ما بَيْنَ الغُصُــو نِ، اذا اعتنقنَ، هوًى وَوُدّا

وهزَزتِ عنـد الصُّـبحِ مِن أجيـادِها لِلزَّهرِ عِقــدا

فملأتِ صـفحةَ وَجهـــه حتى اكتسى آسًـا ووَرْدا

فكأنمــا ألَّفــتِ فيـ ـه منهـما صُــدْغًا وخَـدّا:

---

(١) طاو : جوعان .

مُرِّى عــلى بَرَدَى ؛ عسا ه يزيد فى مَســراك بُرْدَا (١)

نهرٌ كنَصْــل السيف تَكْـ ـسو مَتْنَــه الأزهارُ غِمْــدا

صقَلَتْــهُ أنفــاسُ النسـ ـيم بمرِّهِنَّ ؛ فليس يَصْــدَا

أحبــابَنــا ما بالُــكُم فينا مِن الأعــداء أعدى

وحيــاةِ حُبِّكُــمُ ، بتُــرْ بَةِ وَصْلِكم ما خنتُ عَهْــدا

(٩) وقال ابن الفارض الصوفىّ من قصيدة : (٢)

أَبقِ لى مُقْــلَةً لَعَــلِّى يَــومًا قبــلَ مَوْتى ارَى بها مَن رآكا

اين منّى ما رُمتُ؟ هيهات! بل أيـ ـنَ لعَيْــنِي بالحــظ لَــثْمُ ثَراكا ؟

وبَشـيرِى لو جاءَ منــك بعَطْف ووُجُودى فى قبْضَتى قُلتُ : هاكا !

قد كفى ما جرى دمًا مِن جُفونٍ لِىَ قَرْحَىٰ! فهل جَرَى ما كفاكا ؟

فأجِرْ مِن قِلاك فيــك مُعَنًّى قبْــلَ أن يَعــرِفَ الهوىٰ يَهواكا

بانكسارى بِذِلّتى بخضــوعى بإفتقــارى لِفــاقتى لِغنــاكا ـ

لا تَكِلْنى الى قُــوَىٰ جَــلَدٍ خا نَ ؛ فإنى أصبحتُ من ضُــعَفاكا

كنتَ تجفُو ، وكانَ لِى بعضُ صَبْرٍ أحسنَ اللهُ فى اصطبارى عَزَاكا !

---

(١) البرد جمع بريد وهى مسافة كل منزلة لخيل البريد وسكن الراء للشعر .

(٢) هو أبو حفص عمر بن على بن مرشد أحد كبار الصوفية وأبلغ شعرائها وأولعهم بالجناس وأنواع البديع . ولد ومات بالقاهرة وله ديوان شعر مشروح . وأصل آبائه من حماة توفى سنة ٦٣٢ هـ .

كم صدودٍ عساك ترحَمُ شكوا ى، ولو باستماع قولى : عسا كا !
شَنَّع المُرجِفُون عنك بهجرى وأشاعوا أنى سَلَوْتُ هواكا
ما بأحشائهم عشِقتُ ، فأسلُو عنك يوما . دَعْ يهجرُوا ! حاشاكا !
كيف أسلو؟ ومقلتى كلّما لا حَ بُرَيقٌ تَلَفّتتْ لِلقاكا
كلُّ مَن فى حِماك يهواكَ لكن أنا وَحْدِى بكلّ مَن فى حماكا

(١٠) وقال ابن مطروح[1]

بعد ما كسر الملكُ المعظم توران شاه بن الملك الصالح جيوش ملك الفرنسيس لويس التاسع واعتقل بدار ابن لقمان بالمنصورة ، وقُيِّد بقيد من ذهب ، ووكل به خادمٌ يسمى صبيحا ؛ حتى فدى نفسه . ثم شاعت الأخبار أنه سيكرّ على مصر فقال يهدّده :

قُلْ للفرَنسِيسِ اذا جئتَه مقالَ صِدْقٍ من قَؤُول فصيحْ[2]
آجرَكَ الله على ما مضى من قتْلِ عُبّادِ يسوعَ المسيحْ[3]
قد جئتَ مِصرًا تبتغى أخذَها تحسَب أنّ الزَّمْرَ ياطَبْلُ ريحْ
فساقك الحَيْنُ الى أدْهَمٍ ضاقَ به عَنْ ناظرَيْك الفسيحْ[4]

(١) هو جمال الدين يحيى بن عيسى الشهير بابن مطروح . وهو من أهل الصعيد الأعلى ولد بأسيوط ونشأ بقوص وتقلبت به الأحوال ؛ لخدم الملك الصالح نجم الدين أيوب مدّة ولايته ، ثم اعتزل الخدمة بعد موته حتى مات سنة ٦٤٩ هـ .

(٢) يريد بالفرنسيس لويس نفسه .

(٣) هذا يمثل روح العداء الذى كان سائدا فى الحروب الصليبية بين النصرانية والاسلام .

(٤) الحين : قدر الموت والهلاك . والأدهم : القيد الحديد ، ولكن لويس قيدوه على ما قيل بقيد من ذهب .

رُحْتَ، وأصحابُك أودعتهم — بقُبح أفعالك بَطْنَ الضريح
خمسون ألفًا لا يُرَى منهمُ — إلّا قتيلٌ أو أسيرٌ جريح
فــرَدَّكَ الله الى مثلِها ! — لعلّ عيسى منكمُ يستريح !
ان كان بَابَاكُمْ بذا راضيا — فرب غَبْنٍ قد أتى من نصيح
فاتخذوهُ كاهنا ؛ إنه — أنصحُ من شِقٍّ لكم أو سَطيح [1]
وقُل لهم إن أضمَروا عودةً — لأخذ ثارٍ أو لِقَصْدٍ صحيح :
دارُ ابن لُقْمان على عهدها — والقيد باق، والطواشى صَبيح [2]

(١١) وقال البهاءُ زُهير : [3]

لا تَعتِب الدهرَ فى حالٍ رماك به — إن استردَّ فقِدْمًا طالما وَهَبا
حاسِبْ زمَانَك فى حَالَىْ تَصَرُّفِهِ — تجِدْه أعطاك أضعافَ الذى سَلبَا
واللهُ قد جعَلَ الأيَّامَ دائرةً — فلا تَرَى راحةً تَبقى ولا تَعبا
ورأسُ مالِك وهى الرُّوحُ قدسَلِمَتْ — لا تأْسَفَنَّ لشىءٍ بعدَها ذَهَبا
ورُبَّ مالٍ نما من بَعد مَرْزِئَةٍ — أما ترى الشَّمْعَ بعد القَطِّ مُلْتهبا

(١) فاتخذوه أى البابا المقدّم ذكره . وشق وسطيح كاهنان من كهان العرب فى جاهليتها كانا ينبئان بالأخبار .

(٢) وابن لقمان هذا هو أحد رؤساء الكتّاب زمن الصالح وبعده . والدار التى سجن بها لويس لا تزال منها بقية فى المنصورة .

(٣) هو بهاء الدين زهير بن محمد المهلبى شاعر الدولة الأيوبية وأرق المصريين شعرا . ولد بقرب مكة ، ونشأ بقوص من صعيد مصر ، وتقلبت به الأحوال الى أن خدم الملك الصالح أيوب فكان أشبه بوزير له وبعد موت الصالح انقطع البهاء بداره حتى مات سنة ٦٥٦ هـ وله ديوان شعر مشهور يتضمن كثيرا من السهل الممتنع وخاصة شعر الغزل .

وقال :

مِنَ اليومِ تعارفْنا وَنطْوِى ما جَرَى مِنَّا
ولا كانَ ، ولا صارَ ولا قلتمْ ، ولا قُلْنَا
وإنْ كانَ ولا بُدَّ من العَتْبِ فبالحُسْنَى
فقد قِيلَ لَنا عنكمْ كما قيلَ لكمْ عنَّا
كفَى ما كان من هَجْرٍ وقد ذقتمْ ، وقد ذُقنا
وما أحسنَ أن نَرجِـ ـعَ لِلْوصلِ كما كُنَّا

وقال :

وثقيلٍ ما بَرِحْنا نتمنَّى البُعْدَ عنهُ
غابَ عنَّا ففَرِحْنا جاءَنا أثقلُ منه

(ب) النثر

(١) كتب أبو الفرج الببغاء أحد كُتَّاب سيف الدولة الحَمْدانى يهنئ بولاية عمل

سيدى ـ أيَّده اللهُ ـ أرفعُ قَدْراً ، وأنْبَهُ ذِكْراً ، وأعْظَمُ نُبْلاً ، وأشهر فضلاً ، من أن نُهنِّئَه بِولاية وإن جَلَّ خَطَرُها ، وعظُم قدرُها ؛ لِأن الواجِبَ تَهنِئَةُ الأعمال بفائِض عَدْلِه ، والرَّعِيَّةِ بِمحمودِ فِعله ، والأقاليم بآثار سِياستِهِ ، والولاياتِ بِسماتِ كِاستِه . فعرَّفه اللهُ يُمْنَ ما تَوَلَّاه ، ورعاه فى سائر ما استرعاه ، ولا أخلاه من التوفيق فيما يعانيه ، والتسديد فيما يُبرِمه ويُمضيه .

وله فى تهنئة بعيد :

عرّفك الله يُمْنَ هذا العيد وبركته، وضاعف لك إقباله وسعادته ، وأحياك لأمثاله فى أسبغ النّعم وأكملها، وأفسح المُدَد وأطولها، وأشرف الرُّتَب وأرفعها، وأعزّ المنازل وأيفعها . وحرس منحتك من المحظور، ووقى نعمتك من عثرات الدهور .

(٢) ابن قادوس (١)

ولابن قادوس فصلٌ من منشورٍ مما كان يُنشر على الناس بوفاء النيل فى الدولة الفاطمية . وهو :

النِّعم وإن كانت شاملةً للأمم، فانها متفاضلةُ الأقدار والقيم ؛ فأولاها بشكرٍ تُنشَرُ فى الآفاق أعلامُه ، واعتدادٍ تُحكَم بادراك الغايات أحكامُه ، نعمةٌ يشترك فى النفع بها العبادُ، وتبدو بركتُها على الناطق والصامت والجماد ، وتلك النعمةُ النيلُ المصرىُّ (٢) الذى تبرُزُ به الأرضُ الجُرُزُ (٣) فى أحسن الملابس، وتظهر حللُ الرياض على القيعان والبسابس (٤)، وتُرى الكنوزُ ظاهرةً للعيان، مُتَبرِّجةً بالجواهر واللُّجين والعقيان . فسبحان من جعله سببا لإنشار الموات، وتعالى من ضاعف به ضُروبَ البركات، ووفّر به موادّ الأرزاق والأقوات، (وهذا الأمر) صادر الى الأمير، وقد منّ الله

---

(١) هو القاضى كافى الكفاة محمود ابن القاضى الموفق أسعد بن قادوس من رؤساء كتاب الإنشاء فى الدولة الفاطمية فى أيام الآمر والحافظ الفاطميين .

(٢) تمييز عن نيل الفرات وهو خليج منه .

(٣) الأرض الجرز : التى أكل نباتها ولم يصبها مطر؛ فلم تنبت ثانية أو هى الأرض لا تنبت .

(٤) البسابس : القفار الخالية .

جل وعلا بوفاءِ النيل المبارك ، وخُلِع على القاضى فلان بن أبى الرَّدَّاد فى يوم كذا وكذا وطاف بالخلع والتشريفات ، والمواهب المضاعفات ، بالقاهرة المحروسة ومصر ، على جارى عادته ، وقديم سيرته . ونودى على الماء بوفائه ستة عشر ذراعا واصبعا من سبعة عشر ذراعا . واسْتَبْشَر بالنعمة بذلك الخلائق ، وواصلوا بالشكر مواصلةً لا تستوقفُهم عنها العوائق . وبدا من مسرات الأمم وابتهاجهم ما يضمَن لهم من الله المَزيد ، ويُنيلهم المَنالَ السعيد ، ويقضى لهم بالمآل الحميد ، وموصل (هذا الأمر) اليك فلان ، فاعتمد عند وصوله اليك إكرامَه وإعزازَه ، وإجمالَ تلقّيه وإفضالَه ، الى ما جرت به عادةُ مثله من رجاء ، وتنويه واحتفاء ، وإكرام واعتناء ، ليعود شاكرا . فاعلم هذا واعمل به ان شاء الله تعالى .

(٣) ابن الصيرفى[١]

ولابن الصَّيْرَفى أحد كتّاب الانشاء فى الدولة الفاطمية فصل من منشور مما كان ينشر على الناس بالبشارة بركوب الخليفة الى صلاة عيد الفطر :

وكتابُ امير المؤمنين هذا اليك يوم كذا عيد الفطر من سنة كذا بعد أن وفّى الصيامَ حقَّه ، وحاز أجرَ من جعل الله على خزائنه رزقَه ، وبعد أن أفطر بحضرته الأولياءُ من آله وأسْرَته ، والمُقَدَّمُون من رُؤَسَاء دولته ، والمُتَمَيِّزون من أوليائه وشيعته . وكان من نَبإ هذا اليوم أنّ أميرَ المؤمنين لما ارتَقب بُروزَه من قُصوره ،

(١) هو القاضى الأمين تاج الرياسة أبو القاسم على بن سليمان بن منجد المعروف بابن الصيرفى . كان من رؤساء الكتّاب فى الدولة الفاطمية زمن الآمر وهو صاحب ديوان الرسائل المطبوع بمصر .

وتجلّى فأشرقتْ الأرضُ بنورِه، توجّه الى المُصلّى قاضيا لسنة العيـد ؛ فكانت نعمةُ ظهورِه بالنظر [للحاضر] وبالخير للبعيد. واستقلّ ركابُه بالعساكر المنصورة التى أبدت منظرا مُعْجبا ، وجعلتْ أديمَ الأرض بالخيل والرَّجْل محتجباً، وذَخَرتْ الانتقامَ ممن شقَّ العَصَا ، وتجـاوزتْ فى الكثرة عدَدَ الرمل والحَصى ، وزيّنتْ الفضاءَ بهيئتها، وروّعت الأعداءَ بِهَيْبتها ، وجمَعَتْ بين الطاعة وشدّةِ البأس ، وادّرعَتْ من التقوى أمْنعَ جُنّـةٍ وأحصَنَ لِباس . ولم يزَلْ سائرا فى السكينة والوقار ، ناظرا للدُّنيـا بعين الاحتقار ، والثرى بالجـاه والشفاه مُصَافَحٌ مَلْثوم ؛ فهما مَوْسومَتانِ به وهـو بهما موسوم ، الى أن وصل الى مقرّ الصلاة ، ومحل المناجاة، فصلّى أتمَّ صَلاة وأكملَها ، وأداها أحسنَ تأديةٍ وأفضلَها ، وأخلص فى التكبير والتهليـل إخلاصَ من لم يُفتْ أمْرًا ويخشى الله ويتّقيه، ونَصَح فى إرشاده ووعْظِه، وأعرب ببديع معناه وفصيح لفظِه ، وعاد الى مَثْوى كرامته ، وفَلَكِ أمامته ، محمودَ المَقـام، مشمولاً بالتوفيـق فى النقض والابرام . أعلمك أميرُ المؤمنين ذلك لتذيعه فيمن قِبلَك ، وتشكر الله على النعمة الشاملة لهم ولك . فاعلم هذا واعمل به إن شاء الله تعالى . وكتب فى اليوم المذكور.

(٤) ولعلى بن خلف[1] فى الدعوة الى وليمة

رقعتى — أطال الله بقاء سيدى — ومجلسى بمَنْ حلّه من خَدَمِه، وتَرِكَةٌ من صنائع كَرَمه ، فلكٌ مُزيّنٌ بأنجُمـه . فإن رأى أن يُطلِعَ فيه بَدْرًا بطلوعه ، وينقُـلَ قَدَمَه اليهم، ويُكَمِّلَ نَقْصَهم بتمـامه، ويُضيفَ ذلك الى تَليد إنعامِه — فعَلَ ، ان شاء الله تعالى .

(١) من كتاب الانشاء فى الدولة الفاطمية وألف فى مصطلح الانشاء كتابه المسمى مواد البيان وكثيرا ما ينقل عنه صاحب صبح الأعشى .

(٥) وللقاضى الفاضل يصف فيضان النيل[1]

من رسالة قال : وأما النيل فقد ملأ البقاع ، وانتقل من الأصبع الى الذراع، وكأنما غار[2] على الأرض فغطاها، وعار[3] عليها فاستقعدها وما تخطاها[4]، فما يوجد بمصر قاطع طريق[5] سواه، ولا مرغوب مرهوب إلا إيّاه .

وله أيضا :

من أخرى يصف محاصرة جيش صلاح الدين بيت المقدس وفتحه «وزَاولَ المدينةَ من جانب ، فاذا هو أوديةٌ عميقة، ولجُجُ وَعْرٍ غريقة[6] ، وسورٌ قد انعطفَ عَطْفَ السِّوَار، وبُرُوجٌ قد نزلت مكانَ الواسطة من عِقد الدار[7] . وَقَدَّم المنجنيقات التى تَتَولّى عِقابَ الحصونِ عِصِيّها وحبالُها، وأَوْتَرَ لهُمْ قِسِيَّها التى تَضْرِبُ ولا تفارق سهامَها ولا سهامَها نِصالُها، فصافحت السورَ فاذا سِهامُها فى ثَنايا شُرُفاتها[8] سِواك،

---

(١) هو أبو على عبد الرحيم البيسانى اللخمى رئيس ديوان الانشاء فى آخر الدولة الفاطمية ، وفى أيام صلاح الدين وابنه العزيز . وكان معهما أشبه بالوزير وهو صاحب الطريقة الفاضلية فى الانشاء التى أساسها التورية والجناس والطباق . وتوفى سنة ٥٩٦ هـ.

(٢) من الغيرة والغور ففيه تورية .

(٣) عار الرجل : تردّد وذهب وعاد . أى أنه يذهب ويجىء اليها و يتردّد : كالرجل يذهب الى عمله ويعود الى قعيدة بيته .

(٤) أى لم يجاوزها الى غيرها كالرجل يكتفى بزوجه .

(٥) فى قاطع الطريق تورية .

(٦) أى أنه كان يحيط بالبلد خندق وعر الحجارة أعرق بالماء .

(٧) شبه السور بالعقد . والأبراج بالواسطة .

(٨) أى شرفات الحصون .

وَقَدَّمَ النَّصْرُ بُشْرَى من المنجنيق تُخْلِدُ إخلادَه الى الأرضِ(١) وتَعْلُو عُلُوَّه الى السِّماك ، فشجّ مَرابعَ أبراجها ، وأسمع صـوتَ عجيجها ورفعَ مُثارَ عجـاجها ، وأسفر النُّقّاب عن الخراب النِّقابَ ، وأعادَ الحَجَرَ الى خلقته الأُولى من التُّراب ، ومَضَغَ سَرْدَ حجارته بأنياب مِعْوله ، وأظهرَ من صِناعته الكثيفة ما يَدُلُّ على لَطافةِ أَنْمُله ، وأَسمعَ الصخرةَ الشريفة أنينه(٢) الى أن كادت تَرِقُّ لِمَقْتَلِه» .

من الكتابة العلمية التأليفية بمصر والشام

(١) فصل للكِنْدى(٣) فى كتّاب الولاة وكتّاب القضاء

قال : وعسكرَ شَيْبانُ [بن أحمـد بن طولون] يوم الأربعاء مستهل ربيع الأول بعين شمس ، فأتاهم محمد بن سليمان فمضى اليه عامة أصحاب شيبان يسألونه أمانهم . فلما رأى شيبانُ ذلك أرسل الى محمد بن سليمان فى أمانه وأمان إخوته وأهله فآمنهم .

وخرج شـيبان ليلة الخميس لليلة خلت من ربيع الأول سـنة اثنتين [وتسعين ومائتين] الى محمد بن سليمان . وانصرف عسـكره كله . وكانت ولايتـه عليها اثنى عشر يوما .

ثم دخل محمد بن سليمان الكاتب يوم الخميس لمستهل ربيع الأول سـنة اثنتين وتسعين ومائتين فأمر باحراق القطائع ، فأحرقت ، ونهب أصحابه الفُسطاطَ يومئذ .

(١) أخلد الى الأرض : نزل بها وأقام ، وأخلد الى الشيء : مال اليه .

(٢) أى أنين الحجر الذى أعاده النقاب الى خلقته الأولى من التراب أى نسفه وسحقه .

(٣) هو أبو عمر محمـد بن يوسف الكندى المصرى أحد كبار المؤرخين من المصريين وصاحب كتاب ولاة مصر وقضاتها وكتب أخرى فى خططها وأخبارها وتوفى بمصر سنة ٣٥٠ هـ .

فركب محمد بن سليمان فطافها وأطلق من فى السجون وسكّن الناس ودعا من الغد على المنبر لأمير المؤمنين المكتفى بالله وحده، وصرف موسى بن طُونيق عن الفسطاط يوم الجمعة لليلتين خلتا من ربيع الأوّل، وجعل محمد بن سليمان مكانه رجلا من أصحابه يقال له «البُكْتمرىّ» وصرف أبا ذُرعة محمد بن عثمان القاضى عن قضائه وردّ محمد ابن عَبْـده بن حَرْب على القضاء . وبعث محمد بن سليمان بِطُغُج بن جُفّ واليا الى قِنّسْرين وضم اليها جمعا من جند بنى طولون . ثم أمر باخراج الأعراب الذين جاؤا معه . ثم أخرج ولد أحمد بن طولون وهم عشرون إنسانا . وأخرج بدر الحمامىّ واليا على دمشق وأخرج منها قوّاد بنى طولون ومواليهم وقتا بعد وقت، فلم يبق بمصر منهم أحد يذكر، فخلت منهم الديار، وعفت منهم الآثار، وتعطلت منهم المنازل، وحل بهم الذلّ بعد العز، والتّطرِيدُ والتشريد بعد اجتماع الشمل ونَضرة الملك ومساعدة الأيام.

(٢) فصل من النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية

للقاضى بهاء الدين بن شدّاد المتوفى سنة ٦٣٢هـ. وكان من خاصة صلاح الدين ابن أيوب وملازمى ركابه .

قصـــة الرضـــيع

(وذلك أنه كان للسلمين لُصوصٌ يَدْخلون الى خِيام العدُوّ، فيسرِقُون منهم الرجالَ . وكان من قصتهم أنهـم أخذوا ذَاتَ ليـلة طفلا رضـيعا له ثلاثة أشهر، وساروا به حتى أتوا الى خيمة السلطان، وعرضوه عليــه . وكان كلُّ ما يأخذونه يعرضونه عليه ويعطيهم ما أخذوه ، ولمـا فقدتْه أمه باتت مستغيثة بالويل والثبور

طولَ الليل ؛ حتى وصل خبرُها الى ملوكهم . فقالوا : انه رحيم القلب ، وقد أذنا لك بالخروج، فاخرجى واطلبيه منـه ، فانه يردُّه عليك . فخرجت تستغيث الى اليَزَك ، فأخبرتْهـم بواقعتها ، فأطلقوها وأنفذوها الى السـلطان . فلقيته وهو راكب ، وأنا فى خدمته ، وفى خدمته خلق عظيم ، فبكت بكاءً شديدا ، ومرغتْ وجهَهَا فى التراب . فسأل عن قصتها ، فأخبروه . فرقَّ لها ، ودمعت عينُه ، وأمَرَ باحضار الرضيع ، فوجدوه قد بيع فى السـوق ، فارتدّه ، وأمر بدفع ثمنه الى المشترى وأخذه منـه . ولم يزل واقفا حتى أحضر الطفل وسـلم اليها . فأخذته وبكت بكاء شـديدا ، وضمته الى صـدرها ، والناس ينظُرون اليها ويبكون . وأنا واقف فى جملتهم ، فأرضعتْه ساعة . ثم أمر لها ، فحملت على فرس وألحقت بعسكرهم مع طفلها . فانظر الى هذه الرحمة الشاملة لجنس البشر .

اللهم إنك خلقته رحيما فارحمه رحمة واسعة من عندك ياذا الجلال والاكرام !

وانظر الى شَهادة الأعداء له بالرأفة والكرم .

ومليحة شهـدت لهـا ضَرّاتُها والحسن ليس لحقه من منكر)



الأدب فى الأندلس

(ا) الشـــعر

(١) ابن هانئ الأندلسى [١]

قال ابن هانئ الأندلسى من قصيدة يمدح بها الأمير طاهرا وأبا عبد الله الحسين ابنى المنصور :

امسَحُوا عن ناظرى كُحْلَ السُّهادْ ... وانفُضُوا عن مضجَعِى شَوْكَ القَتَادْ

أو خُـــذوا مـنّىَ ما أبقيـتُمُ ... لا أُحِبُّ الجسمَ مسـلوبَ الفؤادْ

هــل تُجيرونَ مُحباً مِن هَوًى ... أو تفُكُّونَ أسـيرًا من صِفَادْ [٢]

أَسُــلوًّا عنــكمُ من هَجْرِكمْ؟ ... قلّمـا يَسـلُو عن المـاءِ الصَّوادْ

إنمـا كانتْ خُطوبٌ قُيِّضَتْ ... فعَــدتْنا عنــكمُ إحدى العَــواد

فعَــلَ الأيّام من بَعــدِكمُ ... ما على الظلمــاءِ مِن لُبْس الحِــداد

لا مَزارٌ منــكمُ يَدنو ســوَى ... أن أرَى أعلامَ هَضْب أو نجــاد

---

(١) هو أبو القاسم محمد بن هانئ الأزدى الأندلسى ، أشعر شعراء الأندلس والملقب بمتنبى الغرب ، نشأ فى أشبيلية ، واتهم بسوء العقيدة فهرب الى عدوة المغرب ، وكانت فى قبضة الفاطميين الأوّلين ، فمدح المعز قبل فتح مصر ، وفى أثنائه . ولما فتحت مصر وذهب المعز الى مدينة القاهرة تأهب للحاق به ، فمات فى الطريق سنة ٣٦٢هـ ، ولم يناهز الأربعين . ويمتاز شعره بالغريب وفخامة اللفظ والأساليب البدوية . وكثرة التشبيهات والمجاز .

(٢) الصفاد : ما يشدّ به الأسير من قيد ونحوه .

قد عقلنا العيس فى أوطانها وهى أنضاءُ دَميلٍ ووخادْ (١)
قل تسويل خيالٍ منكمُ يطّبى بين جفونٍ وسهاد (٢)
وحديثٌ عنكمُ أكثرهُ عن نسيم الريح أو برق الغوّاد (٣)
لم يزدنا القربُ إلا هجرةً فرضينا بالتنائى والبعاد
واذا شاءَ زمانٌ رابنا برقيب أو حسودٍ أو معادْ
فهداكمْ بارقٌ من أضلعى وسُقيتمْ بغمام من وداد
واذا انهلّتْ سماءٌ فعلى ما رفعتُم من سماءٍ وعماد
واذا كانت صلاةٌ فعلى هاشم البطحاءِ أرباب العباد

ولابن هانئ من قصيدة يمدح بها المعز :

ووراءَ حقّ ابن الرسول ضراغمٌ أسدٌ وشهباءُ السلاح منونُ (٤)
والطالبان : المشرفيةُ والقنا والمُدركانِ : النصرُ والتمكينُ
وصواهلٌ لا الهضبُ يومَ مُغارها هضبٌ، ولا البيدُ الحُزُون حُزُونُ

---

(١) الأنضاء : جمع نضو، وهو الهزيل من الإبل وغيرها . والذميل والوخد : نوعان من سير الابل . وجمع الوخد هنا أوخاد .

(٢) يطبى : مضارع اطباه : بمعنى تقرّب اليه وتحبب ومال اليه واستجاب له ، وكلها مناسب هنا أى قل المباح من خيالكم المحبب الملازم لجفون المسهدة .

(٣) وكذلك : قلت الفائدة من حديث عنكم تحدث به عن النسيم الذى يهب من ناحيتكم والبرق اللامع من قبل دياركم . والغوادى : السحب تمطر فى الغداة .

(٤) أى كتيبة شهباء السلاح كالمنون وهى الموت .

جَنبَ الحمامَ، وما لهُنّ قوادمٌ   وعلا الريُودَ، وما لهن وُكون (١)
فلهُنّ مِن وُرْقِ اللُّجَيْنِ تَوَجُّسٌ   ولهُنّ مِن مُقَــل الظباءِ شُفون (٢)
فكأنهــا تحت النُّضار كواكبٌ   وكأنّهــا تحتَ الحَـــديد دُجون (٣)
عُرِفَتْ بساعةِ سَبْقِها، لا أنّهــا   عَلِقتْ بهــا يوم الرِّهانِ عُيون (٤)
وأَجـلُّ عِلمِ البَرْقِ فيهــا أنهــا   مرَّتْ بجانحتيـــهِ، وهى ظنون (٥)

(٢) وقال ابن عبد ربه (٦) من أبيات فى التشوق :

وكيفَ؟ ولى قلبٌ اذا هبتْ الصَّبا   أهابَ بشوقٍ فى الضلوع دفينِ
ويهتاج منـــه كلّ ما كان ساكنا   دعاءُ حمام لم تَبِتْ بوُكون
وان ارتياحى من بُكاءِ حمامة   كذى شجن داويْتَــه بشجُون
كأن حمامَ الأيْكِ لما تجاوبتْ   حزين بكى من رحمة لحزين

---

(١) جنب الحمام : أى جنب المعز وراءه خيلا كالحمام إلا أنها ليس لها قوادم مثلها . وعلا بها الريود وهى الحروف الناتئة فى الجبال وليس للخيل وكون فيها كالحمام .

(٢) التوجس : التسمع من الخوف والنفار . والشفون : النظر بمؤخر العين . أى أن هذه الخيل شديدة الحس والانتباه فهى تتوجس من صوت ورق الفضة وتذعر به . وهى جميلة العيون فكأنها تنظر بعين ظبى .

(٣) أى فكأنها بما عليها من حلية السروج الذهبية كواكب ، وكأنها بما على فرسانها من الدروع والسلاح دجون : جمع دجن وهو السحاب والغيم الأسود .

(٤) عرفت عند ساعة وصولها للغاية ، وهى حينئذ واقفة إذ لاتدركها الأبصار يوم الرهان من شدة سرعتها .

(٥) وأكثر ما يعلم البرق عنها أن يظن أنها مرت به .

(٦) هو أحمد بن محمد بن عبد ربه صاحب العقد الفريد وأحد كبار الأدباء والكتاب من الأندلسيين توفى سنة ٣٢٨ هـ .

. .

وقال أيضا :

هيَّجَ البينُ دواعى سَقَمِى وكَسَا جِسْمِىَ ثوب الألمِ
أيُّها البينُ أقِلْنِى مرةً فاذا عُدْتُ فقد حَلَّ دَمِى
يا خَلِيَّ الرُّوعِ ، نَمْ فى غِبطة إن مَن فارقتَه لم يَنَم
ولقـد هاج لقلبى سقَمًا ذِكْرُ مَن لو شاءَ داوَى سَقَمِى

(٣) قال ابن زيدون(١) :

وكتب بها الى أحد الرؤساء وهو فى سجن ابن جهور المتغلب على قرطبة بعد بنى أمية والعلويين :

ما علَى ظَنِّىَ بَاس يجرَحُ الدهرُ وياسو
ربَّما أشرفَ بالمرْءِ على الآمال ياس
ولقَدْ يُنْجِيكَ إغفالٌ ، ويُؤذيك احتراسُ
ولكم أجدَى قُعُودٌ ولكمْ أكدَى التماسُ
وكذا الحكمُ : إذا ما عزَّ ناسٌ ، ذَلَّ ناسُ
وبنُو الأيَّام أخيافٌ : سَراةٌ، وخِساسُ
نَلبَسُ الدنيا ؛ ولكن مُتْعَةٌ ذاك اللباس
يا أبا حفص وما سا وَاكَ فى فَهْم إياسُ

(١) هو الكاتب الشاعر أبو الوليد أحمد بن عبد الله الشهير بابن زيدون وزير آل جهور وآل عباد من ملوك الطوائف بالأندلس وصاحب الرسالتين الشهيرتين الجدية والهزلية المنسوبتين اليه توفى سنة ٤٦٣ هـ باشبيلية .

مِن سَنى رأيك لى فى ... غَسَــقِ الخَطب اقتباس
ووِدادى لك نَــصٌّ ... لم يخالفْــه القيـاس
أنا حَيرانُ ، وللأمـ ... ـر وُضـــوحٌ والتبـاس
لا يَكُن عَهـــدُك وَرْدًا ... إن عهـــدى لك آس [1]
وأدرْ ذِكـرِىَ كاسًا ... ما امتطتْ كفَّـك كاس
فعسى أن يســمح الدهـ ... ـر ؛ فقَــد طال الشِّماسُ [2]
واغتنمْ صَــفْو الليـالى ... إنمـا العَيش اختــلاس
ما تَرى فى معشـــر حا ... لُوا عن العهد، وخاسوا ؟ [3]
ورأونى سَـامِـريًّا ... يُتَّـقى منــه المِسـاس
أذؤُبٌ هامت بلحـمى: ... فانتهـابٌ ، وانتـــهاس
كُلُّهـمْ يسألُ عن حا ... لِى، وللذئب اعتسـاس
إنْ قَسـا الدهرُ فلِلْمـا ... ءِ مِن الصَّـخْر انبجاس
ولئن أمسيتُ محبـو ... سـا فلِلْغَيْث احتبـاس
ويُفَتُّ المسـكُ فى التُّر ... بِ ؛ فيُــوطَا ويداس

وقال أيضـا «متغزلا» :

ياقمـــرًا مطلَعُــــه المغـــرِبُ ... قد ضاق بى فى حُبِّك المَذهب

---

(١) لأن الورد قليل البقاء والآس دائم .

(٢) الشماس : الأباء، من شمس الفرس : منع ظهره أن يركب .

(٣) خاسوا : نقضوا العهد .

أَلزَمْتَنِى الذَّنْبَ الذى جِئْتَه ... صدقتَ ! فاصْفحْ أيُّها المذنبُ !

وإنَّ مِنْ اغربِ ما مَرَّ بِى ... أنَّ عَذابِى فِيكَ مستعذَب

وقال يتغزلُ بولّادة الأميرة الأديبة بنت المستكفى الأموى :

يانازحًا وضميرُ القلبِ مَثْواه ... أنسَتْكَ دُنياكَ عَبْدًا أنتَ دُنياه

ألهَتْكَ عَنْهُ فُكاهاتٌ تلَذُّ بها ... فليسَ يجرِى بِبالٍ مِنكَ ذِكراهُ

عَلَّ الليالىَ تُبقِينى الى أَملٍ ... الدَّهْرُ يعلَمُ والأَيامُ مَعناهُ

وقال أيضا :

وَدَّعَ الصَّبرَ مُحِبٌّ وَدَّعَكْ ... حافظٌ مِن سرِّه ما استودعَكْ

يقرَعُ السِّنَّ على أن لم يكن ... زاد فى تلك الخُطا إذْ شيَّعَكْ

يا أخا البدرِ سناءً وسَنًى ... حفِظَ اللهُ زمانًا أطلعَكْ

إن يطُلْ بَعْدَكَ لَيلِى فلَكَمْ ... بِتُّ أشكو قِصرَ الليلِ مَعَكْ

(٤) وقال أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسى الدانى يصف قصرا بناه على بن تميم بن المعز بمصر [١]

لِله مجلِسُكَ المنيفُ قِبابُهُ ... بمُوطَّدٍ فَوقَ السِّماكِ مُؤسَّسِ [٢]

مُوفٍ على حُبُكِ المَجَرَّةِ تَلتقِى ... فيه الجَوارِى بالجوارى الكنس [٣]

(١) وهو أديب متفلسف متطبب كاتب شاعر، رحل الى المشرق، ودخل مصر فى أيام الدولة الفاطمية واتصل برجال القصر . ثم رحل عن مصر، ونزل المهدية من بلاد تونس فمات بها سنة ٥٢٩ هـ .

(٢) أى قبابه قائم مشيد بيناء موطد مؤسس فوق السماك، وهو نجم فى السماء .

(٣) موف : مشرف عال . المجرة : صورة بياض فى السماء يمتد من الشمال الى الجنوب كالنهر . وحبك النجوم (ومنها المجرة) : طرائقها . والجوارى الأولى : الجوارى الحسان . والجوارى الكنس : الكواكب . أى أنه مشرف على الكواكب بحيث تلتقى جواريه الحسان بنجوم السماء .

تَقابَلُ الأنـــوارُ فى جَنَبــاتِه فالليــلُ فيــه كالنهــارِ المُشْمِس

عُطِفَتْ حَنــاياهُ دُوينَ سَمــائِه عَطْفَ الأَهِلّةِ والحَوَاجِبِ والقِسِى

واستشرفتْ عُمُدُ الرُّخام، وظوهرتْ بأَجلَّ مِن زَهْرِ الربيــعِ وأَنفَسِ

فهـــواؤُه من كُلِّ قــــدٍّ أَهْيفٍ وقَرارُه مــن كلِّ خَدٍّ أملَس (١)

فلَكٌ تحـــيَّرَ فيــه كُلُّ مُنجِّــمٍ وأقرَّ بالتقصـــيرِ كلُّ مهنـــدِس (٢)

فبدا لِلَحظِ العين أحسنَ منظرٍ وغدا لِطيبِ العيش خيرَ مُعرِّس (٣)

فاطلُعْ به قمـــرًا اذا ما أطلعتْ شمسُ الخدودِ عليكَ شمسَ الا كؤُس

فالناس أجمعُ دونَ قــدرِك رُتبــةً والأرضُ أجمعُ دونَ هذا المجلس

(٥) لأبى بكر بن عمّار(٤)

يندب أيامه ولياليَه ويذكر عاطل عيشه وحاليه :

خليلَىَّ ما بَالِى على صِدْقِ عَزْمَتِى أرَى مِن زَمانى وَنْيةً وتَعذُّرا (٥)

وَوَاللهِ ما أدرِى لأىِّ جَرِيمـــةٍ تجَنَّى، ولا عَن أىِّ ذَنبٍ تغـــيَّرا

ولم أَكُ عن كَسبِ المكارمِ عاجزا ولا كنتُ فى نَيْلِ أُنيلَ مُقَصِّرا

---

(١) الهيف بفتحتين : رقة الخصر. أى أن هواءه رقيق رقة خصور الملاح، وقراره أى أرضه ملساء ناعمة ملاسة الخدود .

(٢) أى كأنه فلك السماء .

(٣) أى خير مقام .

(٤) هو محمد بن عمار الشلبى الكاتب الشاعر وزير المعتمد بن عباد ملك أشبيلية ، ثم خرج عليه ، فقتل سنة ٤٧٧ هـ .

(٥) أى توانيا وتقصيرا فى انصاف .

لئن ساءَ تمــزيقُ الزمانِ لِدَولَتِي ... لقد رَدَّ عن جَهْلٍ كثيرٍ وأبْصَرا [1]
وأيقَظَ مِن نَوم الغَــرارة نائمـا ... وأكْسَبَ عِلْماً بالزَّمَان وبالورى

(٦) وقال ابراهيم بن خفاجة الأندلسي [2]

لِلهِ نَهْــرٌ ســال في بَطْـحاء ... أشهى وُرودا من لَمَى الحَسْناءِ
مُتَعَطِّفٌ مثــل السِّــوار كأنّه ... والزَّهْر تكْنُفُهُ مَجَــرُّ سمـاءِ
قــد رَقَّ حتى ظُنَّ قُرصًا مُفــرَغًا ... مِن فِضــة في بُردة خضــراء
وغدتْ تحُفُّ به الغُصونُ كأنها ... هُــدْبٌ يحُفّ بمُقــلة زَرْقاءِ
والريحُ تَعبَثُ بالغُصون وقد جرَى ... ذهبُ الأصيلِ على لُجَــينِ المـاءِ

وقال أيضـا :

وأراكةٍ ضَرَبتْ سمـاءً فوقَنـا ... تَنْدَى ، وأفلاكُ الكئوس تُدار
حَفَتْ بدَوْحَتها مَجَــرَّةُ جَدْوَلٍ ... نَثَرتْ عليــه نجومَهـا الأزهارُ
وكأنّهـا وكأنّ جـدولَ مائهـا ... حسناءُ شُــدَّ بخَصْــرها زُنّارُ
زَفَّ الزُّجاجُ بها عَروسَ مُدامةٍ ... تُجـلَى ، وأنوارُ الغُصــون نِثَارُ
في رَوْضةٍ جُنحُ الدُّجَى ظِلٌّ بها ... وتجَسَّمتْ نَــوْرًا بهـا الأنــوارُ [3]

---

(١) أي ردّني عن جهلي بمحاولتي إنشاء دولة وخروجي على ولي نعمتي . والمراد بالجهل هنا الحماقة وسوء الرأي .

(٢) أبو إسحاق ابراهيم بن عبدالله بن خفاجة أشهر وصافي الطبيعة من الأندلسيين . و يلقب في التاريخ بشاعر شرقي الأندلس . عاش في زمن ملوك الطوائف وأوائل حكم الموحدين . وعمر طويلا . ومات سنة ٥٣٣ ه .

(٣) أي كأن ظلها جنح الدجى وكأن نورها تجسم حتى صار زهرا .

غنّـاءُ ينشرُ وَشْـيَه البَزّازُلِي ... فيهـا، ويَفتُـقُ مسـكَهُ العَطّار

قام الغِناءُ بها، وقد نَضح النَّدى ... وَجْهَ الثرى، واستيقظ النُّـوّار

والمـاءُ من حَلْى الحَبـاب مُقلَّدٌ ... زَرّتْ عليـه جُيوبَهـا الأشجار

وقال فى ذم علماء السوء من المسلمين والنصارى :

درسوا العُلُوم ليملِكوا بجِدالِهِم ... فيها صدورَ مَراتب ومَجالِسِ

وتَزَهَّدُوا حتى أصابوا فُرصَةً ... فى أخذِ مالِ مَساجِدٍ وكنائِسِ

وقال يصف أسود فى ماء :

وأسـودٍ يسـبَحُ فى لُجّةٍ ... لا تكتُمُ الحصباءَ غدرانُها

كأنهـا فى شَكْلها مُقْلَةٌ ... وذلك الأَسـودُ إنسانُها

(٧) ولابْن الصَّائغ[١] فى الغزل

أسـكانَ نُعـمَانِ الأَراكِ تَيَقّنُـوا ... بأنـكمُ فى رَبْعِ قَلْـبِىَ سُكّانُ

ودُومُوا على حِفظِ الوِداد؛ فطالمـا ... بُلِينَـا بأقوامٍ اذا استُئْمِنُوا خانوا

سَلُوا الليـلَ عنى مذ تنأَتْ دِيارُكُمْ ... هل اكتحلتْ بالغُمْضِ لى فيه أجفانُ[٢]

وهَل جُرِّدَتْ أسـيافُ بَرقٍ سماؤُكُمْ ... فكانت لهـا إلا جُفـونىَ أجفـانُ؟

---

(١) هو أبو بكر بن باجه المعروف بابن الصائغ الشاعر الفيلسوف الأندلسى المتوفى سنة ٥٣٣ هـ .

(٢) الأجفان فى هذا البيت جمع جفن وهو قراب السيف .

(٨) يحيي بن الفضل أحد أدباء الأندلس وشعرائها فى الحكم

جمعتَ مالًا ففكّر هل جمعتَ له ـ يا جامعَ المـال ـ أبوابًا تُفرِّقُهُ[1]

المـالُ عنـدَكَ مخـزونٌ لوارثِه ما المـالُ مالُكَ إلا يومَ تُنفِقه

إنّ القناعَـةَ مَن يَحْلُـلْ بساحتِها لم يَلْقَ فى ظِلِّها همًّا يُؤرِّقُــه

(٩) البَطَلْيَوسى[2] يصف منظرا به تماثيلُ أُسُودٍ تمج المـاء من أفواهها

يا منظَرًا إن نَظَـرْتُ بهجتَـه أذكَرَنى حُسْنَ جنـةِ الخُـلْدِ

تُرْبَةُ مِسْـكٍ ، وجَوُّ عنـبَرةٍ ، وغَـيْمُ نَدٍّ ، وطَشُّ مَا وَرْدِ

والمـاءُ كاللّازَوَرْدِ قد لَفَظَتْ فيــه اللآلى فواغِرُ الأُسْـدِ[3]

كأنمـا جائِلُ الحبَـابِ بهِ يَلْعَبُ فى جانِبيــه بالـنَّرْدِ

(١٠) ابن سهل الاسرائيلى[4]

قال فى جمال الطبيعة :

الأرضُ قد لبِست رداءً أخضرا والطَّلُّ ينـثُرُ فى رُباها جوهـرا

هاجت ، فخِلتُ الزَّهرَ كافورًا بها وحسِبتُ فيها التُّربَ مِسكًا أذفرا

وكأنَّ سَوْسَنَها يُصافِحُ وَرْدَها ثغرٌ يُقبِّـلُ منـه خدًّا أحمـرا

والنَّهرُ ما بَيْنَ الرياض تخـالُه سَـيْفًا تَعلَّق فى نِجادٍ أخضرا

(١) أخذ هذا المعنى من عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، قيل له إن فلانا قد جمع مالا ، فقال : وهل جمع له أياما ؟

(٢) هو الفقيه الأستاذ أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسى النحوى اللغوى الشاعر الكاتب المتوفى سنة ٥٢١ هـ .

(٣) أى أفواه الأسد الفواغر : المفتوحة .

(٤) هو ابراهيم بن سهل أحد الشعراء المجيدين بالأندلس فى عصورها الأخيرة . كان يهوديا فأسلم ومات سنة ٦٤٩ هـ . غريقا ولم يجاوز الأربعين . وله غزل رقيق . وهو من أصحاب الموشحات .

وجَرَتْ بصفحتها الرُّبا ، فحسِبْتُها ... كفًّا يُنَمِّقُ فى الصحيفة أسطرا
وكأنَّهُ اذ لاح ناصِعُ فِضــةٍ ... جَعلتْه كَفُّ الشمس تِبْرًا أصفرا
والطيرُ قــد قامت به خطباؤُهُ ... لم تَتَّخِــذْ إلا الأَراكةَ مِنْـبرا

(ب) النـــــــثر

(١) أبو عُبيد الله البكرى

قال الوزيرَ الفقيــه أبو عبيد الله البكرى رحمه الله فى فصل من رُقعة يهنئُ بهـا الوزيرَ الأجلَّ أبا بكرٍ بن زيدون بالوزارة زمن ملوكِ الطوائف .

أسعدَ الله بوزارة سيدى الدنيا والدين ، وأجرى لها الطيرَ الميامين ، ووصل بهـا التأييدَ والتمكين . والحمدُ لله على أملٍ بلّغه ، وجذلٍ قد سوَّغه ، وضمانٍ حقَّقه ، ورجاءٍ صدَّقه . وله المِنَّةُ فى ظلامٍ كان — أعزَّه اللهُ — صُبْحَه ، ومُستَبْهِمٍ غدا شَرْحَه ، وعُطلِ نَحْرٍ كان حَلْيَه ، وضلالِ دهرٍ صار هَدْيَه :

فقد عمَّرَ اللهُ الوزارةَ باسمه ... وردّ اليها أهلَها بعدَ إقصار

(٢) أبو المطرِّف

وقال الوزير الكاتبُ أبو المُطَرِّف بن الدَّبّاغ رحمه الله الى أبى الفضل بن حَسْدَاى ، وكان يهوديا فأسلم ، يعاتبه ويداعبه :

كنتُ عهدتُك لا تمتنِـعُ من مُداعبةِ من يُداعبك ، ولا تنقبِضُ عن مُراجعةِ من يُخاطبُك ، فمن أين حدَثَ هذا التعالى ؟ وما سببُ هــذا التغالِى ؟ عرِّفْنِى —

جُعِلتُ فداك — ما الذى عَرَاك ؟ ولعلّك رأيتَ الحَضْرَةَ قد خَلَتْ من قاضٍ فطمِعْتَ فى القضاء، وجعلتَ تأخُذُ نفسَك بأُهْبَتِه، وتترشّح لِرتبته، وأنت الآن — لا شك — تتفقّهُ فى الأحكام، وتتطلّع شريعة الاسلام . وهَبْك تحلّيتَ بهذا السَّمْت، وتهيأت لذلك الدَّسْت، ما تصنعُ فى قِصة السبت ؟ دَعْ هـذا التخلُّقَ ! وارْجع الى أخلاقِك، وعُدْ فى إطراقك، وتجاهَلْ ما قَبِلَك جاهل، وتحامق مع الحمقى، وأنت عاقل؛ فلا تَمْتنعْ لَذّةَ الاسترسال، ولا تَتْبعْ الدنيا بجدٍّ منك فى سائر الاحوال؛ فما أشبهَ إدبارَها بالإقبال، وكثرتَها بالإقلال .

وفصل من رسالة، فى وصف السراج، لأبى عبد الله محمد بن أبى الخصال، أحد أدباء الأندلس وبلغاء كتّابها، فى زمن ملوك الطوائف، وزمن ولاة المرابطين، فى أوائل المائة السادسة .

عذرًا اليك — أيدك الله — فانى خَطَطْتُ والنـومُ مُغازل، والقُرُّ نازل، والريحُ تلعَبَ بالسراج، وتصولُ عليه صَوْلَةَ الحجّاج؛ فطورا تُبْرِزُه سِنانًا، وتُحرّكه لسانًا، وآونةً تَطْوِيه عُنّابة، وأخرى تَنْشُره ذُؤَابة، وتارة تُقيمه إبرةَ لَهَب، وتَعْطفُه بُرَةَ[1] ذهب، وحينًا تُقَوّسُه حاجِبَ فتاة ذاتِ غمزات، وتُسَلّطُه على سَلِيطه[2]، وتُدِيله[3] على خَلِيطه . وربما نَصَبَتْه أُذُنَ جَواد، ومسخته حَدَق جَراد، ومشّقته[4] حُروفَ بَرْق،

(١) البرة : حلقة صغيرة تكون فى أنف البعير، والخلخال .

(٢) السليط : الزيت .

(٣) وتديله : تجعل له الغلبة عليه . خليطه : وهو الزيت لأنه منهما يتكون القنديل .

(٤) مشق الكتابة : مدّ حروفها .

بِكَفٍّ وَدْق[1]، ولثمتْ بسناهُ قنديلَه، وألقتْ على أعطافِه مِنْديلَه، فلا حَظَّ مِنه للعَين، ولا هِدايةَ فى الطِّرْس لليدَين .

الـكتابة العلمية التأليفية بالأندلس

(١) فصل من كتاب الأخلاق لابن حزم[2]

(واعلم) أنَّ مَن قَدَّرَ فى نفسه عُجْبًا، أو ظنَّ لها على سائر الناس فَضلًا، فلينظر الى صبره عند ما يدهَمُه : مِن همّ أو نكبة أو وجع أو دُمّل أو مصيبة؛ فان رأى نفسَه قليلةَ الصبر فليعلمْ أن جميعَ أهل البلاء من المجذومين وغيرهم الصابرين أفضلُ منه على تأخُّر طبقتهم فى التمييز، وان رأى نفسَه صابرة فليعلم أنه لم يأت بشىء لم يُسبَقْ فيه على ماذكرنا؛ بل هو إمّا متأخر عنهم فى ذلك؛ أو مساوٍلهم لا مَزيدَ . ثم لينظر الى سيرته وعدله أو جَوْره فيما خُوِّلَه : من نعمة أو مال أو خَوَلٍ أو اتباع أو صحة أو جاه؛ فان وجد نفسه مُقصِّرةً فيما يلزَمهُ من الشكر لواهبه تعالى، ووجدها حائفة عن العدل — فليعلم أن أهل العدل والشكر والسيرة الحسنة من المُخَوَّلين أكثَرَ مما هو فيه أفضلُ منه . فإن رأى نفســه ملتزمة للعدل فالعادلُ بعيدٌ عن العُجْب البتّة

---

(١) فلاحظ منه للعين : أى أن العين لا تثبت فيه، ولا تحقق صورة له، لكثرة تحريك الريح له واضطرابه بها، فالكاتب فى ضوئه لا يهتدى أن يكتب فى القرطاس بيده لتفرقه .

(٢) هو أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهرى عالم الأندلس فى عصره، وأحد أئمة الاسلام، وصاحب كتاب الملل والنحل وغيره من كثير الكتب . نشأ فى قرطبة فى بيت وزارة ورياسة واشتغل بالعلم ولم يمنعه عن أن يلى الوزارة . توفى سنة ٤٥٦ هـ .

لعلمه بموازين الأشياء ومقادير الأخلاق والتزامه التوسط الذى هو الاعتدال بيّن الطرَفَين المذمومين . فإن أُعْجِبَ لم يَعدِل بل قد مال الى جَنَبَةِ الإفراط المذمومة .

(٢) فصل من شرح المقامات للشريشى[1]

أقرّ الحريرى هٰهنا للبديع بالفضل ، وجعله سباقا للغايات . وما أحسن هذا الأدب منه على علمه بفضل مقاماته على مقامات البديع ، ومن أدل دليل على ذلك أنه مذ ظهرت مقامات الحريرى لم تستعمل مقامات البديع ، ثم إنه طبّق استعمالُها آفاقَ الأرض إلا أنه أسرّ هنا شيئا ؛ لأنه ختم كلامه بأن البديع بالتقدّم فَضَلَه . وهذا منه مذهبٌ مستحسن . ألا تراه كيف بدأ بتجريد الفضل للبديع وحده ، ثم لم يرلنفسه قدرا ، فى قوله « وان لم يدرك الظالع شأو الضليع » ؛ فجعل نفسه كالفرس الأعرج ، الذى جريُه اذا اجتهد دون مشى الصحيح ، وجعل البديع كالفرس العتيق الكامل القوّة .

ثم لما بلغ الى هذا الموضع بعد أسطار صرح فى الظاهر للسامع ، بأن البديع سبّاق غايات ، وصاحب آيات ، وأومأ الى من فطن أنه إنما فضله بتقدّم الزمان . ثم خلط الكلام بين المتقدّمين والمتأخرين ، ثم تناسى ذلك الى آخر الكتاب فى السابعة والأربعين ، وصرح هناك بتفضيل المتأخر على المتقدّم ، وتفضيل نفسه على البديع ، حيث يقول :

---

(١) هو أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسى الشريشى أحد أئمة الأدب واللغة والنحو من الأندلسيين الذين عاشوا فى خدمة ملوك الغرب من الموحدين . وقد شرح مقامات الحريرى شرحا ضافيا ممتعا .

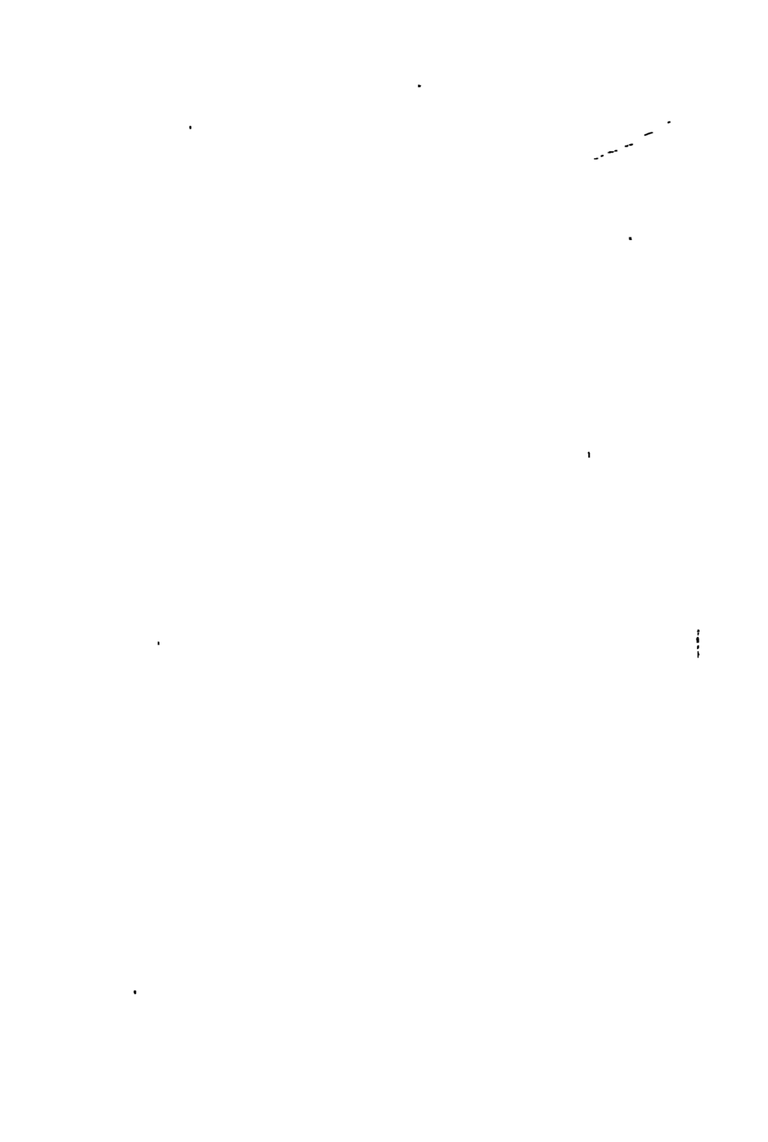
ان يكن ٱلإِسْكَنْدَرِىُّ قبْلى فالطَّلُّ قد يبــدو أمام الوَبْل

والفضـــل للوابل لا للطـــل

ولو كان غيره من العلماء المنسوبين الى سوء الأدب ورأى فضل مقاماته لذم البديع ونقص كتابه ؛ فكان ينعكس الذم عليه ،وكذا رأينا فى الغالب من ادّعى لنفسه فضلا وازدرى غيره أنه قلما يكون إلا ممقوتا . فلمـا أظهر الحريرى مدح البديع ، ووفاه قسطه من التفضيل والترفيع ،ولم ينظر نفسه إلا بطرف خفىّ قلّ من يتفطن له ، ستر الله عليه ، ورفع صيته ، ووضع لكتابه القبول عند الخاصة والعامة .

فَشَرَّقَ حتى لم يجـد ذكر مغـرب وغَرَّبَ حتى لم يجد ذكر مشرق

فلا يذم كتابه إلا أحد الرجلين اللذين ذكرهما : إما جاهل ،أو حاسد . ومذهب الناس فى تفضيل الحديث على القديم ، وأكثرهم على تفضيل القديم .



عصر المماليك والعثمانيين

(ا) الشعر

(١) قال شمس الدين محمود الكوفى يذكر خراب بغداد وقتل التتار للخليفة المعتصم بالله :

عنـدى لأجلِ فراقكمْ آلامُ ... فإلامَ أُعْذَلُ فيكمُ وألامُ

مَنْ كان مثلى للحبيبِ مُفارقًا ... لا تعذلوه؛ فالكلامُ كِلامَ (١)

نِعمَ المساعدُ دمعيَ الجارى على ... خدِّى إلا أنه نَمّامُ (٢)

ويُذيبُ رُوحى نَوْحُ كلِّ حَمامةٍ ... فكأنما نوحُ الحَمامِ حِمامَ (٣)

إن كنتَ مثلى للاحبةِ فاقدًا ... أو فى فؤادِك لَوْعةٌ وغرامُ

قِف فى ديارِ الظاعنينَ ونادِها ... «يا دارُ ما صَنعتْ بِكِ الأيامُ»

أعرضتُ عنكِ؛ لأنهم مذ أعرضوا ... (لم يبق فِيَّ بَشَاشةٌ تُسْتَامُ) (٤)

يا دارُ أين الساكنونَ ؟ وأين ذيـ ... ـاكَ البهاء وذلك الإعظامُ

---

(١) الكلام بالكسر جمع كلم بالفتح وهو الجرح .

(٢) نمام : دال على ما أكنه من الوجد والحزن .

(٣) الحِمام : بالكسر الموت .

(٤) تستام : تقوم و يغالى بها .

يا دارُ أين زمانُ رَبعك مُونِقٌ وشِعارُكِ الإجــلالُ والإكرامُ
يا دار مــذ أفَلَتْ نجومُك عَمَّنـا واللهِ من بعدِ الضياء ظــلامُ (١)

(٢) وقال بدر الدين يوسف الذهبي : (٢)

هَلُمَّ يا صاحِ إلى رَوْضَــةٍ يجلوبها العانى صَــدَا هَمِّهِ (٣)
نســيمُهــا يعــثُرُ فى ذَيْلِهِ وزَهْرُها يضحَكُ فى كُمِّهِ (٤)

وقال :

باكِرْ إلى الروضــةِ تَسْتَجْلِها فثغْـرُها فى الصـبحِ بَسَّـامُ (٥)
والنرجِسُ الغَضُّ اعتراه الحَيَـا فغضَّ طَرْفًا فيـــه أسْـقام (٦)
وبُلبُلُ الدَّوْحِ فصيحٌ على الـ أَيْكَةِ والشُّـــحْرُور تَمْتَـام
ونَسْـمَةُ الريحِ على ضَـعْفِها لهـا بنـا مَــرٌّ وإلْمَام
واكْتُمْ أحاديثَ الهَوى بيننـا ففِى خِلالِ الروضِ نَمَّـامُ (٧)

---

(١) أفلت : غابت .

(٢) كان من شعراء المماليك المشهورين بالشام . سهل الشعر عذبه مولع بالبديع ، مات سنة ٦٨٠ هـ .

(٣) العانى : المهموم .

(٤) يعثرالنسيم فى ذيله : تصوير لمس النسيم العليـل وجه المروج وتحريكه الأزهار فكأنه يتعثر فيها فيضحك منه الزهر وهو فى كمه : أى غلافه .

(٥) استجلى الشيء : استكشفه . والعروس : رآها مجلوة .

(٦) الحيا : المطر . والخجل (الحياء) . أسقام : فتوروانكسار .

(٧) النمام : الواشى ونبت عطرى ، كالريحان ينتشر أريجه بقوة .

وقال :

الروضُ أَحْسَنُ ما رأَيْـ ـتُ إذا تكاثرتِ الهمومُ
تحنــو علىَّ غُصُــونُه ويرِقُّ لى فيــه النسيمُ

وقال :

البَرْدُ قد ولَّى فما لك راقدًا ؟ يأيها المُـــدَّثرُ المُـــزَمِّلُ
أَوَ ما تَرى وجهَ الربيعِ وحسنَهُ والروضُ يضحكُ والحَيَا يَتَهلَّلُ

وقال :

شــوقى إليكَ على البِعادِ تقاصرتْ عنــه خُطاىَ ، وقصَّرتْ أقلامى
واعتلَّتِ النَّسَماتُ فيمَــا بيننـا مما أُحَمِّلُهـا إليــكَ سَـــلامى

(٣) وقال الشاب الظريف من قصيدة : (١)

أَبَتْ رِقَّتى إلَّا الذى يقتضِى الهــوى وعَزْمِىَ إلَّا ما اقتَضَى الرأىُ والعقلُ
فوا عجبا أَنِّى خَفِيتُ ، ولم أَبِنْ وقــد راحَ مملوءًا بِىَ الحَزْنُ والسَّهْلُ
طريدٌ ولى مأوًى ، مُباحٌ ولى حِمًى ، وحيدٌ ولى صَحْبٌ ، غريبٌ ولى أهلُ
سأجهَــدُ : إمَّا للنـايا ، أو المُـنَى قُصاراىَ : إمَّا النَّصرُ ، أو ما جَنَى النَّصْلُ (٢)
فإن لم تَصِلْنِى هِمَّتِى بمطالبى ولم يَنْتَسِــجْ للشَّيْبِ فى لِمَّتِى غزْلُ
فلا نَظَرَتْ عينى ، ولا فاهَ مِقْـوَلِى ولا بَطَشَتْ كَفِّى ، ولا سَعتِ الرِّجْلُ

(١) هو محمد بن سليمان التلمسانى المولود بمصر سنة ٦٦١ هـ . والمتوفى سنة ٦٩٥ هـ . وهو شاب . ويمتاز شعره بالرقة وجمال الصياغة .

(٢) قصاراى : أى غايتى وبين النصر والنصل جناس غير تام .

ومَنْ عرَف الأمرَ الذى أنا عارفٌ ... رأى كُلَّ صَعْب كُلُّ إدْراكِهِ سهلُ

خُذِ العِزَّ من أىّ الوُجُوهِ رأيتَهُ ... فلا خَيْرَ فى عيش يكونُ به الذُّلُّ

وللمرءِ من داعى الطبيعةِ قائدٌ ... إذا لم يذُدْهُ دونَه الحِلْمُ والنُّبْلُ

من التُّرْب هذا الطبعُ، والنفسُ من علًا ... فالمرءِ أنْ يدنو، وللمرء أنْ يعلُو

وقال :

يا ساكنًا قلبىَ المُعَنَّى ... وليس فيهِ سِواكَ ثانى

لأىِّ مَعْنًى كسرتَ قلبى ... وما التَقى فيه ساكنان (١)

وقال :

ولقد أتيتُ الى جنابكَ قاضيًا ... باللثم للعتبات بعضَ الواجب

وأتيتُ أقصِدُ زَوْرةً أحيا بها ... فرُددتُ ـ ياعَيني ـ هناك بحاجب (٢)

وقال :

بَدَا وجهُهُ من فوق أسْمَرِ قَدِّهِ ... وقد لاح من سُودِ الذَّوائب فى جُنْحِ

فقلتُ : عجيبٌ ! كيف لم يذْهَبِ الدُّجَى ... وقد طلعتْ شَمْسُ النهار على رُمْحِ؟ (٣)

وقال :

يا باعثًا شَعْرُهُ انتشارًا ... بقامةٍ ما لها نظيرُ

الموتُ من ناظريك ؛ لكنْ ... مِن شَعْرِكَ البَعْثُ والنُّشُورُ (٤)

---

(١) فى قوله كسرت قلبى تورية والمقصود : ايذاء القلب بالهجر و يورى لذلك بالكسرة المعروفة للتخلص من التقاء الساكنين، وكذلك فى قوله : ساكنان : يريد محبوبين .

(٢) كذلك التورية هنا فى كلمة حاجب .

(٣) يقصد بالدجى : الشعر الأسود الذوائب وشمس النهار الوجه . والرمح : القد .

(٤) البعث والنشور فى الأصل يكونان فى الآخرة، ولكنه ردهما هنا الى ماذكره فى أول البيتين حيث قال : يا باعثا شعره انتشارا .

(٤) وكتب صفى الدين الحلى[1] الى عشيرته بالحلة :

بلغى الأحبـابَ يا رِيـ ـحَ الصَّبا عنّى السَّـلامَا
وإذا خاطَبـك الحَـا هلُ بى ، قـولى سَـلاما
أنا من لم يذمّ النّـا سُ لـه يـومًا ذِماما [2]
يَحْفَـظُ العهـدَ ولا يَسـ ـمَعُ فى الخِـلِّ المَـلاما
مِن أُناسٍ صَـيَّروا العِرْ ضَ على الذم حَـراما [3]
أيْتمـوا الأطفـال فى الحَرْ ب ، وهُمْ كَهفُ اليتـامى
وإذا مَـرُّوا بلَغـو فى الورى مرّوا كراما
فلكم ذقتُ عـذابا للهـوى كان غرَاما [4]
إنّ نارَ الشـوقِ ساءَتْ مُسْـتَقرًا ومقـاما

وقال يحرّض الأمير نورالدين على ملتقى المغول وحربهم عند ما أغاروا على ماردين :

أ منْ حَجـرٍ فـؤادُك أم حديدُ ففيه على الوغَى بأسٌ شـديدُ [5]
وأَطـوادٌ حلومُكَ أم جبـالٌ تميـد الراسياتُ ، ولا تميـدُ [6]

(١) يعدّ صفى الدين من متقدمى عصر المماليك وكان شاعر الدولة الأرتقية فى ماردين وقد زار القاهرة ومدح السلطان الناصر ، وتوفى ببغداد سنة ٧٥٠ ﻫ .

(٢) الذمام : الحرمة .

(٣) العرض : موضع المدح والذم من الناس .

(٤) غراما : لزاما .

(٥) الوغى : الحرب .

(٦) الطود : الجبل ، حلوم مفرده حلم بالكسر وهو الأناة والعقل . تميد الراسيات : تضطرب الجبال الشامخة الثابتة .

لأنكَ كلّما حاولتَ أمرًا يُصوَّبُ فعلَك الرأىُ السديدُ

طلعتَ على العُداة، وأنتَ شمسٌ فذابَ بحرّ موقعِها الجليدُ

أغرتَ على حِماهُم غيرَ عادٍ ولاقَوْا منكَ ما لاقتْ ثمودُ (١)

بجيشٍ ترجُفُ الرّاياتُ فيه وتخفِق دون مَقْدَمِهِ البُنودُ

وتهتزُّ الذوابلُ فيه عُجْبًا كما اهتزّتْ من المَرَح القُدودُ (٢)

عَجِلْتَ الى قراعِهِم بعزمٍ به يدنو لك الأَمَدُ البعيدُ

وكم وَانٍ يَعُدُّ العجزَ حِلْمًا فيندَمُ، والندامة لا تفيدُ (٣)

ومَنْ يَرَ ما يريدُ وكَفَّ جُبْنًا رأى مِنْ بعده ما لا يُريدُ

وقال فى فرسٍ أَدْهَمَ مُحَجَّل :

ولقدْ أروحُ الى القنيصِ وأغتَدِى فى مَتْنِ أدْهَمَ كالظَّلامِ مُحَجِلِ

رام الصباحُ من الدُّجى استنقاذَهُ جَسَدًا، فلم يَظْفَر بغيرِ الأَرْجُلِ (٤)

فكأنّهُ صِبغُ الشَّبِيبَةِ هابَهُ وخطُ المَشِيبِ، فجاءَهُ من أسْفَلِ

---

(١) عاد : معتد ظالم . وفى الكلمة إشارة الى (عاد) المذكورين فى القرآن الكريم وهم قوم هود الذين أهلكوا لما عصوه . وثمود قوم سيدنا صالح الذين عصوه فأخذتهم الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين .

(٢) الذوابل : الرماح الرقيقة اللاصقة بالجلد . المرح : شدّة الفرح مع الاعجاب بالنفس .

(٣) وان : ضعيف، حلما : أناة وعقلا .

(٤) رام الصباح من الدجى استنقاذه : أى طلب الصباح أن ينقذه من الظلام فلم يفز بغير الأرجل . وتفسير ذلك أن الفرس أسود الجسم (أدهم) أبيض الأرجل (محجل) فالصباح له تلك الأرجل البيض فى حين أن الليل له سائر الجسد الأسود .

وقال فى وصف عُودِ طَرَب :

وعـــودٍ به عاد الســـرور لأنّه حَوَى اللهوَ قِدْمًا وهو رَيّانُ ناعمُ

يُغرِّبُ فى تغـــريده فكأنّه يُعيـــدُ لنـا ما لَقّنَتْـــهُ الحمائمُ

وقال من قصيدة للسلطان الملك الأفضل :

عانَـــدَهُ فى الحبِّ أعـــوانُهُ وخانَـــه فى الوُدِّ إخـــوانُهُ

مُتَـــيَّمٌ ليس له ناصـــرٌ أوّلُ مَنْ عَادَاهُ سُـــلْوانُهُ (١)

يكتُمُ ما كابَدَه قلبُـــه ويُعْجِـــزُ الأعينَ كِتمانُهُ

ما شانَهُ غـيرُ مقالِ العِـــدَا، وقد هَمَتْ عيناه : ما شانُهُ ؟

كَلَّفَ إخفاءَ الهوَى قلبَـهُ فعَـــزَّ من ذلك إمكانُهُ

أمانةٌ يُشْفِقُ من حَمْلِها لِفَـرْطِ ذاك الثِّقَـــلِ إنسانُهُ

مَنْ لِمُحبٍّ قلبُـــهُ هائمٌ يَحِنُّ ، والأحبابُ جِيرانُهُ (٢)

ما شامَ برقَ الشام إلّا هَمَتْ بوابِلِ الأدمُـــعِ أجفـانُهُ (٣)

سقَى حِمَى وادِى حَمَـاةَ الحَيَـا وصَـيِّبُ الـوَدْقِ وهتَّـانُهُ (٤)

وحبّذا العاصِى، ويا حبّـــذا تَعْشَـــقُهُ الغَـرّا ومَيْـــدَانُهُ (٥)

وادٍ اذا مـــرَّ نَســـيمٌ بِهِ تعطّـــرتْ بالمسك أَرْدَانُهُ (٦)

---

(١) المتيم ، من عبده الحب وذلله . (٢) هائم : متحير .

(٣) شام البرق : نظر إلى سحابته أين تمطر . الوابل : المطر الشديد .

(٤) الحيا : المطر : الودق . المطر أيضا . صيب : دثير النزول ، وكذلك هتان .

(٥) العاصى : اسم نهر بالشام .

(٦) الأردان مفردها ردن بضم الراء وهو أصل الكم .

تستأسِرُ الأبطالَ آرامُــه ... وتقنِصُ الآسادَ غِزْلانُهُ [1]

كم فيه مِن ظَبْي هَضِيمِ الحَشَى ... إذا انْثَنَى يَحْسُدُه بانُه

تشابهتْ عنــد مرورِ الصَّبَا ... قدودُ أهليــه وأغصانُه

كم ليــلةٍ قضَّيتُ فى مَرْجِهِ ... وقد طَمَتْ بالمــاء غُدْرانُه [2]

والأفق حالٍ بنجــوم الدجى ... قــد كُللت بالدر تيجانُه [3]

كأنَّما الجَوْزَاءُ فيه، وقد ... حَفَّ بها البدرُ وكيــوانُه

بيتُ بنى أيّوبَ إذ شُــيِّدَتْ ... بالملِكِ النــاصِرِ أركانُه

(٥) وقال جمال الدين بن نباتة المصرى

يرثى ولدًا له مات صغيرًا : [4]

اللهُ جارُك إنَّ دمعىَ جارِى ... يا مُوحِش الأوطانِ والأوطــارِ [5]

لمــا سكنتَ من الترابِ حديقــةً ... فاضت عليك العينُ بالأنهــارِ

شتَّانَ ما حالى وحالُكَ : أنتَ فى ... غُرَفِ الجِنانِ، ومهجتى فى النارِ

خَفَّ النَّجَا بك يا بُنَىَّ إلى السُّرَى ... فســبقْتَنى، وثقُــلْتُ بالأَوْزَارِ [6]

---

(١) الآرام : جمع رئم، وهو الظبى الخالص البياض .

(٢) المرج : مرعى الدواب .

(٣) والأفق حال : متزين ومتحل بالنجوم .

(٤) هو جمال الدين أبو بكر ولد بمصر وتوفى بها سنة ٧٦٨هـ، ويظهر فى شعره ذوق سليم ورقة ممتازة .

(٥) الأوطار جمع وطر : الحاجة تهتم لها وتعنى بها .

(٦) النجا : مقصور النجاء وهو السرعة .

ليتَ الرّدى إذْ لم يَدَعْكَ أهابَ بى ؛ حتى نَدُومَ معًـا على مِضْـمارِ (١)
ليتَ القَضا الجارِى تمهّلَ وِرْدُهُ ؛ حتى حَسِبْتُ عواقِبَ الإصْـدارِ
ما كنتَ إلّا مثلَ لمحَةِ بارقٍ وَلّى ، وأغْرَى الجَفْـنَ بالإمطارِ
أبكيكَ ما بكتِ الحمامُ هَديلَها وأحِنُّ ما حَنّتْ إلى الأوكار (٢)
أبكى بمُحمَرّ الدموعِ ؛ وإنما تَبْكى العيونُ نظيرها بنُضارِ
قالوا : صغيرٌ! قلت : إنّ! وربما كانتْ به الحسراتُ غيرَ صغارِ (٣)
وأحـقّ بالأحزان ماضٍ لم يسئْ بيـدٍ ولا لِسْنٍ ولا إضمارِ (٤)
ناءى اللّقا ، وحماه أقرب مطرحا يا بعـدَ مجتَمَعٍ وقربَ مزارِ !
لهفى لغصنٍ راقنى بنباته لو أمهلتـه التربُ للإثمارِ
لهفى لجوهرةٍ خفت ؛ فكأننى حجّبتُها من أدمعى ببحارِ
لهفى لسارٍ حارَ فيـه تجلدى واحيرتى بالكوكب السيارِ !
سكن الثرى ؛ فكأنه سكنَ الحَشَى من فرط ما شُغلَتْ به أفكارى
أعززْ علىّ بأنّ ضَيفَ مسامعى لم يحظ من ذاك اللسان بقارى ! (٥)
أعززْ علىّ بأن رحلتَ ولم تخُضْ أقدامُ فكرِكَ أبحُرَ الأشعارِ
أعززْ علىّ بأن نُثِرْتَ على الثّرى وعليك من دمعى كدُرّ نثار

(١) أهاب بى : دعانى .
(٢) الهديل هنا : أب الحمام زعموا أنه هلك فى القدم فهى تبكيه .
(٣) إن : أى نعم .
(٤) اللسن : بكسر اللام اللسان .
(٥) قارى من القرى أو من القراءة .

أبنيَّ! إنْ تُكْسَ الترابَ فإنه غاياتُ أجمعنا ، وليس بعارِ
ما فى زمانك ما يَسرُّ مؤمَّلا فاذهبْ كما ذهب الخيالُ السارى
لو أنّ أخبارى لديك توصلتْ لبكيتَ فى الجنّاتِ من أخبارى
أحزانُ مذّكِرٍ ، وسَلْوةُ مُفْرَدٍ ، ومُقامُ مَضْيَعَةٍ ، وذُلُّ جِوارِ
أبنيَّ ، إنّى قد كنَزْتُك فى الثّرَى فانفع أباكَ بساعة الإقتار [١]
أبنيَّ ، قد وقفت علىّ حوادثٌ فوقفنَ من طَلَلٍ على آثارِ
ومَضَى البياضُ من الحياة وطيبها لكنها أبقتْه فوق عذارى [٢]
نَمْ وادعًا ، فلقد تقرّح ناظرى سهرًا ، ونامتْ أعينُ السُّمّارِ
أرعَى الدجى وكأنّ ذيلَ ظلامِهِ مُتَشَبِّثٌ بالنّجْم فى مِسْمارِ
خَلَعَ الصباحُ على المَجَرّةِ نجفه أم قُسِّمَتْ شمسُ النهارِ دَرارى
تبًّا لعاديةِ الزمانِ على الفتى ؛ فلقد حذِرْتُ وما أفاد حِذارى
وحويتُ دينارًا بوجهك فانتحَى صَرْفُ الزمانِ ، فراح بالدينارِ [٣]

وقال من قصيدة يمدح بها الملك المؤيد :

سَرَى طَيْفُها حيثُ العواذلُ هُجَّعُ فَنَمَّ علينا نَشْرُه المتَضوِّعُ
وبات يعاطينى الأحاديثَ فى دجًى كأنّ الثريا فيه كأسٌ مرصعُ

---

(١) لعله يريد بساعة الاقتار يوم الحساب ، أى الاقتار من الحسنات وان طفله سيكون له فى ذلك اليوم ذخرا .

(٢) يشير الى مشيبه . والعذار : الشعر المحاذى للا ذن .

(٣) يشبه وجه ابنه بالدينار بهجة وصفاء .

اجيرانَنا، حَيّا الربيـعُ ديارَكم ... وإنْ لم يكن فيها لطرفيَ مَرْبَعُ (١)

شكوتُ إلى سَفْح النقا طولَ نأيِكم ... ومَفْحُ النَقا بالنَأْيِ مثـلى مُرَوَّعُ

ولا بدّ من شكوى الى ذى مُروءةٍ ... يواسـيك أو يُسْـليك أو يتوجعُ

فَدَيتُ حبيبًا قد خلا عنه ناظرى ... ولم يخـلُ منـه فى فؤادىَ موضعُ

مقيمٌ بأكنافِ الغضى، وهى مُهجةٌ ... وإلا بوادى المُنْحَنَى، وهى أضلُعُ (٢)

أطال مجازَ الصـدِّ بيني وبينـه؛ ... فمقلتُـهُ الحَـوْرَا ودمعىَ يَنْبَـعُ (٣)

لئن عَرَضَتْ من دونِ رؤيته الفلا ... فيارُبَّ روضٍ ضَمَّنا فيـه مجمَـعُ

محـلٌّ تَرَى فيـه مَجَامِـعَ لَذَّةٍ ... بها تخطُبُ الأطيارُ، والقُضْبُ تَركَعُ

قـرأنا به نَحْوَ الهنا، فملابِسٌ ... تُجَـرُّ وأيدٍ بالمدامـة تُرْفَـعُ (٤)

وقـد أَمَّنَتْنـا دَوْلَةٌ شَـاذَوِيَّةٌ ... فـا نختشى اللأوا، وما نَتَخَشَّـعُ (٥)

مدائحُها تمحو الأثامَ، ورِفـدُها ... يعوِّضُ من وَفْرِ الغِنَى ما نُضَيِّعُ

رَعَى اللهُ أيامَ المـؤيد إننـا ... وجدنا بها أهلَ المقاصِدِ قد رُعُوا

---

(١) المربع : المكان، يقضى فيه فصل الربيع .

(٢) وادى الغضى، ووادى المنحنى : مكانان فى جزيرة العرب . والغضى : شجر اذا اشتعل كان قوى النار . يقول : ان حبيبه فى أكناف الغضى وهى مهجتى التى تشتمل اشتعال الغضى أو بوادى المنحنى وهو أضلعى ففى البيت شبه استخدام .

(٣) الحورا : وينبع مكانان، وفى البيت مراعاة النظير .

(٤) فى البيت مراعاة نظير فى اصطلاحات النحو .

(٥) شاذوية : نسبة الى شاذى جدّ ملوك حماة . واللأواء : الشدّة .

وقال يعاتب :

لئن ضاع مِثلى عنــدَ مثلكَ إنّنى ... لَعَمْرُ المعالى عنــد غيرِك أَضْيَعُ
متى تَنْجَعُ الشكوى إذا أنا لم أجِد ... لديكَ اعتناءً غيرَ أنك تســمَعُ
وما كان صـعبًا لو منذتَ بلفظـةٍ ... تردُّ بهـا عنى الخطوبَ وتردَعُ
وقلتَ : امرؤٌ للشكرِ والأجرِ قابلٌ ... وللبِرِّ فيــهِ والصنيعَةِ موضِـعُ
ومُغـتَرِبٌ عن قومِـهِ وديارِهِ ... أُسـاعِدُهُ ؛ واللهُ يُعطِى و يمنَـعُ
سأصبِرُ ؛ حتى تنتهِى مدّةُ الجَفا ... وما الصـبرُ إلا بعضُ ما أَتجرّعُ
عسَى ظُلْمَةُ الحَيِّ التى قد تعرّضتْ ... (سحابةُ صَيْفٍ عن قريب تَقَشّعُ)
على أننى راضٍ بمـا أنا صانعٌ ... وَصُـولُ الوَلا لو أننى أتقطّعُ
حُبِسْتُ لضيقِ الرزقِ حَبْسَ حَمامَةٍ ... فهـا أنا فيـكم بالمــدائح أَسْجَــعُ
وأصبح فكرى كالعَبِيرِ سوادُهُ ... إذا نَفَحَتْــه جَذْوَةٌ يَتَضَــوّعُ (١)

وقال يمدح السلطان الأفضل ويعزيه فى والده المؤيد :

هَنـاءٌ مَحـا ذاكَ العزاءَ المُقَدَّما ... فمـا عبَسَ المحزونُ حتى تبَسّما
ثُغـورًا ابتسامٍ فى ثغـورِ مَدَامعٍ ... شبيهان لا يمتاز ذو السبقِ منهما
تفيضُ مجارِى الدمْعِ والبِشرُ واضِحٌ ... كوابِلِ غيْثٍ فى ضُحا الشمسِ قد همَى
سَقَى الغَيْثُ عنّا تُرْبَةَ الملكِ الذى ... تدانت له الدنيـا وعَزَّ بِهِ الحِمَى
مليكان : هذا قد هَوَى لضريحِهِ ... برَغْمِى ، وهــذا للأَسِرّةِ قد سَمَـا
ودَوْحَةُ مُلْكٍ شاذَوِىٌّ تكافأت ؛ ... فغصنٌ ذَوَى منها ، وآخرُ قد نَمَـا

(١) العبير : أخلاط من الطيب تعجن بالزعفران .

فَقَدْنا لأعناقِ البريَّةِ مالكا، ... وشِمْنا لأنواعِ الجميلِ مُتَمِّما
إذا الأفضلُ المَلْكُ اعتبرتَ مَقامَه ... وجدتَ زمانَ المُلْكِ قد عاد مثلما
أعادَ معانِى البيتِ حتى حَسِبْتُهُ ... بوزْنِ الثنا والحمد بيتا منظَّما (١)
وناداهُ مُلْكٌ قد تقادَم إرْثُهُ ... فقام كما تَرْضَى العُلا وتقدَّما
تقابَلَ منه مُقْلَةُ الدهرِ سُودَدًا ... صميمًا، وتَنْضو الرأىَ عَضْبًا مُصَمِّما
ويقسِم فينا كلَّ سهم من الندَى ... ويَبْعَثُ للأعداءِ فى الرَّوْعِ أَسْهُما (٢)
كأنّ دِيارَ المُلْكِ غابٌ إذا انقضَى ... به ضَيْغَمٌ أَنْشا بهِ الدهرُ ضَيْغَما
كأنّ عِمادَ البيتِ غيرُ مُقَوَّضٍ ... وقد قمتَ يا أزكى الأنامِ وأَحْزَما
نَهضتَ فما قلنا : سيادةُ مَعشرٍ ... تداعتْ ، ولا بُنْيَانُ قومٍ تهدَّما
أما والذى أعطاكَ ما انتَ أهلُهُ ... لقد شاد من علياك رُكْنا مُعظَّما
وقد أَبْشَرَ الإسلامَ بالخلَفِ الذى ... تمكَّنَ فى عَلْيائهِ وتحكَّما
فإن يَكُ من أيوبَ نجمٌ قد انقَضَى ... فقد أطلعتْ أوصافُكَ الغُرُّ أَنجُما
وإن تَكُ أوقاتُ المؤيِّدِ قد خَلَتْ ... فقد جَدَّدتْ عَلياك وقتًا وموسِما
عليه سلام الله ما ذَرَّ شارِقٌ ... (ورحمته ما شاءَ أن يترحَّما)

وقال فى الناصر حسن وقد أمره أن ينسخ له ديوانه :

أحبابَنا دارُكمْ والعيشُ نَعْمَانُ ... والسَّفْحُ دَمْعِى ، ودارُ القلبِ حرّانُ (٣)

(١) البيت : أى بيت الملك . (٢) سهم من الندى : أى نصيب .
(٣) العيش : الحياة . نعمان بالفتح : واد فى طريق الطائف يخرج الى عرفات ، يقال له نعمان الأراك . ونعمان أيضا : صفة مشبهة من الفعل نعم ينعم أى صار ناعما لينا . حرّان : بلد بشمالى الشام .

أشكو اشتياقا، وما بالوصل من قدمٍ ... كأن وصلى لفرط الحبِّ هجرانُ
وربما رُمتُ أن أشكو السُّهاد إلى ... مَذْل المنام ، وقلت : النومُ سلطان
يأيها الناصر السلطان لا غمَضت ... عينٌ لها عن سَنى مرآكَ سُلْوانُ[1]
كم فى ملوكِ الورَى فضلٌ ومعرفةٌ ... كانوا ، ومثلُكَ فى ذا النحوِ ما كانوا
إن يمضِ كسرى فكم إيوانِ معدلةٍ ... لديك قد زانه يُمْنٌ وإيمانُ
أمَّرْتَ شِعرىَ يا خيرَ الملوكِ على ... أشعارِ قومٍ؛ فلى أمْرٌ وديوانُ

(٦) قال مجير الدين بن تميم

لمَّا لبِستُ لبُعده ثوبَ الضَّنَى ... وغدوتُ من ثوب اصطبارى عاريا[2]
أجريتُ واقِفَ أدمُعى من بعده ... وجعلتُه وقفًا عليه جاريا

وقال فى كتاب :

ياحُسْنَها نُسخةً يلهُو مُطالعُها ... بها لمَا قد حوَتْ مِنْ رائِق الحِكَمِ
صحَّتْ وقد لطُفتْ أجزاؤها فحكتْ ... لُطْفَ النسيمِ وحاشاها من السَّقَمِ[3]

وقال فى سجادة :

أيا حُسْنها سجَّادةً سُندُسيةً ... يُرَى للتُّقَى والزُّهد فيها توسُّمُ[4]
إذا ما رآها الناسكون ذوو الحجا ... أمامَهم صلَّوْا عليها وسلَّموا

(١) السنى : ضوء البرق .
(٢) الضنى : المرض .
(٣) لطفت : رقت . لطف النسيم : رقته . النسيم : الريح الطيبة .
(٤) توسم : تخيل وتفرس ، أى من يرها يتخيل فيها التقى .

وقال :

بَعَث النســـيمُ رسـالةً بقُـــدومه للروض فهْـــوَ بقُـــرْبه فَـــرْحانُ
ولِطيبِ ما قرأ الهَـــزَارُ بِشَـــدْوه مضـمُونَهـا مالتْ له الأغصانُ[١]

وقال فى وكِيل بدار القاضى بدمشق :

لا تقْـــرَبِ الشرْعَ إذا لم تكن تَخْـبُرُه فهْـــو دقيـــقٌ جليـــلْ[٢]
ووَكِّل العِـــزَّ الذى وَجْهـــهُ على نجاحِ الأمر أقوى دليـــلْ
ولا تَمِـــلْ عنـــه الى غـــيرِه وحســـبُنا اللهُ ونعـــم الوكيلْ

وقال :

أرضٌ كساها القَطْـــرُ حُلّةَ سُنْدُسٍ رُقِمَتْ، لهـا طُرَرٌ من الغُدْرَانِ[٣]
وَفَدَ النســـيم أضـاعَ نَشـرَ رياضِها فالوُرْقُ تَنْشُـــده بـكلِّ مكانِ

وكتب مجير الدين الى كمال الدين بن النجار وكيل بيت المـال بدمشق :

كمالَ الدين يا مَوْلاىَ يا مَنْ يعزُّ البحـرَ فى بَذْل النـوالِ
أتيتُ لحـاجةٍ، فاغنم ثنـائى عليـك بها وشـكرى وابْتهالى
ولا تجعلْ سواكَ لهـا، فإنّى عليـــكَ بِنُجْحها وَقَعَ اتكالى
أيجْمُـل أن يَقُول الناسُ : إنّى أتيتُ لحـاجة لم تَقضها لى
وأُصْبِحُ بينهـم مَثَـــلًا لِأنّى أتانى النقْصُ من جهة الكَمالِ

(١) الهزار بفتح الهاء : طائر . (٢) تخبره : تعلمه . دقيق : أمر غامض .

(٣) القطر : المطر . والمعـنى أن المطر كسا الأرض حلة خضراء من النبات رسمت لهذه الحلة طرر أى جوانب من الغدران، أى المياه التى غادرها المطر .

وقال فى رثاء من يدعى قطب الدين :

نَأَيْتمْ.فلَا قلبِي عن الحزنِ مُقْصِرٌ عليكم ولا جَفْنِي يَجِفُّ له غَرْبُ (١)

وأفلاكُ لذَّاتِي تعطَّلَ سَيْرُها وهلْ فَلَكٌ يسرِى اذا عُدِم القطْبُ (٢)

وقال :

لا تَبْعَثُوا غيرَ الصَّبا بتحيةٍ من أرضكمْ؛ فلَها علَىَّ جميلُ (٣)

خاضَتْ دُموعَ العاشقين وعَرَّجَتْ عَنهمْ الىَّ وثوبُها مَبْلولُ

وقال وقد أهديت اليه مهرة حمراء :

أَهْدَيْتَ لِي يا مالكى مُهْرةً جميلةَ الخَلْق بوجه جميلْ

مُؤْخِرُها والعُنُقُ قدْ أوقعا قلْب الأعادِى فى العريض الطَّويلْ

قدْ لبِسَتْ من شَفَقٍ حُلَّةً تُخْبِرُنا أنَّ أباها أصيلْ

وقال فى هجاء من اسمه عثمان :

توعدْتَ يا عثمانُ بالهجو شاعرًا سيُولِيكَ هجوًا عارُهُ ليس يَنْجَلِي (٤)

فخُذْها قصيدًا قد أتتْ من مُجَيدٍ (كجُلْمُود صخرٍ حطه السيلُ من علِ)

وقال :

بكَوا بالجَراحةِ شَقَّت جبينَ الْـ ـحبيب فقُلْتُ : ما ضَرَّ الجراحُ

أليسَ جبينُهُ صبحًا منيرا ولا عجبٌ اذا انشقَّ الصباحُ

(١) مقصر : مقلع وكاف عن الحزن عليكم . والجفن : العين . الغرب : الدلو العظيمة .

(٢) الفلك : واحد أفلاك النجوم . والقطب : كوكب بين الجدى والفرقدين يدور عليه الفلك .

(٣) الصبا : ريح تهب من مطلع الشمس .

(٤) ينجلى : يمحى و يذهب . والجلمود : الصخر . من عل : من فوق .

وقال :

وعيّرنى بالشيْب قـوم أُحِبُّهمْ فقلت وشأنُ العاشقين التجمُّل :
بعثتمْ الى رأسِى المشيبَ بهَجْرِكمْ ومَهْما أتى منكمْ علَى الرأس يُحمَلُ

وقال :

ونَهْـــرٍ حالَفَ الأهْواءَ حتّى غدَتْ طوْعاً لهُ فى كلّ أمْرِ
اذا سَرقَتْ حِلَى الأزهارِ ألْقتْ اليْـــهِ بهـا فيأخذُها ويجْرِى

وقال :

ولَيْـلةٍ بتُّ أُسْـقَى فى غياهبها راحاً تَسُلّ شبابى منْ يدَ الهَرَمِ (١)
مازِلتُ أشربُها حتى نظرْتُ الى غزالةِ الصُّبْحِ ترْعَى نرْجِسَ الظُّلَمِ

وقال :

أيا ذا الذى قد كفَّ كَفَّيْه عامدًا عنِ الجودِ خوفَ الفقْر ماذاكَ سائغُ (٢)
أتخشى سِهامَ الفقْر ما دمتَ منفقا نصيبَك والنُّعْمى علَيْـك سـوابغُ

وقال :

ونَهرٍ بحبِّ الروْضِ أصـبحَ مُغرماً يَروح ويغـدُو هائمـا بوصالِهـا (٣)
اذَا بَعُـدتْ عنـه شـكا بخريره جفاها وأمْسَى قانعًا بخيالِهـا

---

(١) الغياهب : الظلمات . الراح : الخمر . غزالة الصبح : الشمس .
(٢) كف : منع . سائغ : جائز . النعمى : النعم . سوابغ : واسعات .
(٣) الروض : جمع روضة . المغرم : أسير الحب . هائما : متحيرا .

وقال :

لمّا جَسَسْتُكَ بالمديح ولم أكن ... أدرى بأنك خاملٌ فى الناسِ (١)

ناديتُ لمّا أنْ جَسَسْتَك بالهجا: ... أكليبُ خذها منْ يدَىْ جسّاسِ

وقال :

مُذ لاحظَ المنثورُ طَرْفَ النَّرجسِ الْـ ... ـمُزْوَرِّ قال ، وقولُه لا يُدْفَعُ: (٢)

فتِّحْ عُيونك فى سِوَاىَ ؛ فإنَّنى ... عنـدى قُبَالَةَ كلِّ عينٍ اصْبَعُ

وقال :

أيا حُسْنَهَا من روضة ضاع نَشْرُها ... فنادتْ عليه فى الرياض طيورُ (٣)

ودُولابُهَا كانت تُعَدُّ ضلوعُه ... لكثرة ما يَبْكِى لها ويَدُورُ

وقال :

لِمَ لا أمِيل إلى الرّياض وحُسْنِهَا ... وأعِيشُ منها تحت ظِلّ ضَافِى (٤)

والزهر يلقانِى بثغرٍ باسمٍ ... والماءُ يلقانى بقلبٍ صَافِى

وقال :

ألَا رُبَّ ماءٍ قدْ تقضَّى بِبِركةٍ ... أقمتُ بها فيمَا جَرَى متفكرًا (٥)

---

(١) الجس بالشىء : المس به، كليب : لقب وائل سيد تغلب ، وهو تصغير كلب ، جساس بن مرة : سيد بكر وقاتل كليب ، وهو أيضا صيغة مبالغة من جس ففى كل من كليب وجساس تورية .

(٢) المنثور : المتفرق وهو وصف لنوع من الزهر . طرف النرجس : عينه . المزوّر : المنحرف. لا يدفع : لا يرد . قبالة الشىء : تجاهه .

(٣) ضاع نشرها : يعنى انتشرت رائحتها الطيبة. الدولاب : المنجنون التى تديرها الدابة .

(٤) الظل الضافى : المتسع .

(٥) هوى على رأسه : سقط . الشاهق : الجبل المرتفع.

بعيْنِي رأيتُ المـاء فيها ، وقدهوى على رأســـه من شاهق فتكسّرَا

وقال :

تأمّلْ إلى الدُّولَاب والنّهر إذْجرى ودَمْعُهما بين الرياض غَزيرُ(١)

كأنّ نسيمَ الروض قدضاعَ منهما ؛ فأصـبح ذا يَجْـرى وذاكَ يَدُور

(٧) قال الأمير محمد بن منجك متغزلًا :

تناهَى عنـدَه الأملُ وقصَّرَ دونه العَـذَلُ (٢)

رشًـا يَفْـتَرُّ عن بَرَدٍ تكادُ تُذيبُـه القُبَـلُ (٣)

يُخَامِر عِطفَـهُ ثَمَـلٌ يَميـلُ به ويَعْتَـدِلُ (٤)

يُمَثِّـلُ ما يُروقُ لنـا بِصَفْحةِ خَدِّه الخَجَـلُ

فلَيتَ به كما اتصلَتْ حَشَاى الطَّرْفَ يتصلُ

إذا مَا الخِـدْرُ أبْرزَهُ تَنَاهَبُ حسنَهُ المُقَلُ

لقَدْ أغراهُ فى تَلَفِى شـبابٌ ناضِرٌ خَضِلُ

وقدٌ حَشْـوُه هَيَفٌ وطَرْفٌ مِلْؤه كَحَـلُ (٥)

---

(١) الدولاب : المنجنون التى تديرها الدابة : ضاع منهما أى فقد فهما ينشدانه .

(٢) تناهى : انتهى . والعذل : اللوم والعتاب .

(٣) رشا : أصله رشأ فسهلت همزته وهو الظبي اذا قوى ومشى مع أمه . يفتر: يضحك ضحكا حسنا : البرد : حب الغمام يشبه به الأسنان . القبل : جمع قبلة .

(٤) يخامر : يخالط . والعطف : الجانب ، والثمل : السكر .

(٥) القد : القامة . الهيف : ضمر البطن والخصر .

(٨) قال ابراهيم بن المبلّط من قصيدة طويلة :

حَدَّثَتْ بَانَةُ الحِمَى عن صَبَاها ... عن ثَنِيَّاتِ مَكَّةٍ عَنْ صَفَاهَا : (١)

أَنَّ عَصْرَ اللِّقَـاءِ آنَ وَوَافَى ، ... وزَمَانَ النوَى انْقَضَى وتَنَاهَى (٢)

ونَسِـيمُ الصَّبَا يُؤَدِّى الْأَمَانَا ... تِ إلَى أَهْلِهَـا كَمَا قَدْ رَوَاهَا

كَمْ نسِيمٍ سَرَى فَسَرَّ قُلُوبًا ... شَفَّهَا البُعْـدُ والنَّوَى فَشَفَاهَا (٣)

تَعرِفُ العاشِقِينَ منهـا نَسِيمَا ... تٌ ، وَهُمْ يَعرِفُونَهَـا بِشَذَاها (٤)

إنَّ أَيْدِى الفِرَاقِ جَارَتْ عَلَيْنَا ... فى قَضَـاءٍ فَحَسْبُهَا وكَفَاهَا

آه وَاوَحْشَتِي لِإحْشَـاءِ قَلْبِى ... وَقَلِيـلٌ قولى على البُعْد : آهَا

(٩) قال نور الدين العسيلى يصف دولابا :

ودُولَابٍ مَرَرْتُ به سُحَـيْرًا ... يَئِنُّ كأنَّهُ الصَّـبُّ المَرُوعِ (٥)

فَلَتْ أَضْـلَاعُهُ تَعُـدُّ سُـقْمًا ... وَيُفْنِى جِسْـمَهُ صَـبُّ الدُّمُوعِ (٦)

يَدُورُ كَمَنْ أَضَلَّ الإِلْفَ مِنْهُ ... وذَاقَ تَشَتُّتَ الشَّـمْلِ الجَمِيـعِ (٧)

---

(١) البانة : واحدة البان شجر معروف . الحمى : مايحمى ويحفظ من كل شيء ، الصبا : ريح . ثنيات مكة : جبالها . والصفا : من مشاعر مكة فى جنوب المسعى .

(٢) آن : حان وقرب . وافى : أتى . تناهى : انتهى .

(٣) شفها البعد : هزلها .

(٤) الشذا : قوة ذكاء الرائحة .

(٥) الدولاب : شكل كالناعورة يستقى به الماء .

(٦) صب الدموع : انسكابها .

(٧) أضل الالف : أضاعه ، تشتت الشمل الجميع : تفرق ما اجتمع من أمره .

فقلتُ لهُ : فَدَيْتُـك من كئيبٍ ... كَسَاهُ الهـمُّ أثوابَ الخشـوعِ

علامَ أراكَ تبـكى كلَّ وقتٍ ... وتهتِـف فى المنـازِلِ والرُبوعِ؟ (١)

فقـدْ قرَّبْتَ لى حُزْنا بعيـدًا ... ونحَّانى نُواحُك عن هُجُوعى (٢)

فقالَ : أما علمتَ بأنَّ مِثْلى ... خَليـقٌ بالصَّـبَابة والوُلُوعِ (٣)

فإنِّى كنتُ فى رَوْض رَفيـعًا ... أبيتُ من الأزاهرِ فى جمُوعِ

ولِى فى الْمُنْتَمى أعْراقُ صِـدْقٍ ... أُصُـولٌ أنْجبتْ أزْكى فُرُوعِ

إذَا مَا الْـوَرْدُ قابلَـنى وَحَيَّـا ... تَضَـرَّجُ وجْنَتَـاهُ بالنَجِيـعِ (٤)

ويَصْـفَرُّ البَهَـارُ لدَىَّ خوْفًا ... كصُفْرَةِ عاشِـقٍ صَبٍّ مَرُوعِ (٥)

وإنْ قصَدَتْ بنُو الآدابِ رَبْعِى ... أجُودُ مِن النَّثَارِ علَى الجميعِ (٦)

فَقيَّضَـنى الشَـقاءُ إلَى غَـبِىّ ... شَـدِيدِ البطشِ جَبَّارٍ قَطُوعِ (٧)

فألقَـانى علَى رَأسِى صَريعًـا ... وأنتَ مشاهِـدٌ حالَ الصَّـرِيعِ

وقَطَّع لُطف أوصَـالى بعنفٍ ... وصار يَدُقُّ عَظْـمِى فى ضُـلوعى (٨)

---

(١) تهتف : تصيح . والربوع : جمع ربع وهو الدار .

(٢) نحانى : أبعدنى . الهجوع : النوم ليلا .

(٣) الصبابة : رقة الشوق وحرارته .

(٤) النجيع : الدم الضارب الى السواد .

(٥) البهار : نوع من النبات يسمى العرار .

(٦) ربعى : دارى . النثار : المنثور .

(٧) فقيضنى : بجاءنى .

(٨) لطف أوصالى : دقة مفاصلى .

فَصِرتُ أَرَى الَّذِى قدْ كانَ دُونِى أَنَافَ ، وصَارَ ذَا شأوٍ رَفيعِ (١)

عَلَى قلبِى أدُورُ عَنَّا وأَبْكِى عَلَيْهِ أَسًى كَمِقْلاتٍ هَلُوعِ (٢)

فكيْفَ أُلَامُ؟ إنْ أَدْمَنتُ نَوحِى وَجُدْتُ بمَدْمَعِ الطَّرفِ الهَمُوعِ (٣)

وحَالِى ناصِحٌ أَبْناءَ جِنْسِى ، فَلا تَعْتَدَّ بِالجِذْعِ المَنِيعِ

فانَّ الدَّهْرَ كالصَّيَّادِ كَيْدًا وأَسْبَابُ القَضا شَرَكُ الوُقُوعِ (٤)

(١٠) وقال الأستاذ الامام أبو المواهب البكرى :

يا يَوْمَ بُولَاقَ وأُنْسِى بهِ حَكاكَ منْ شوّالَ يومُ الهِلَالْ

وأقبَلَ النيلُ جَنُوبًا ، وَمَا منْ عَارِضٍ إِلّا نَسيمُ الشَّمَالْ (٥)

يا عَارِضًا أَوْجَبَ للنيلِ مَا سَلْسَلَهُ ، وهْوَ طليقُ المَجَالْ (٦)

وقَهوَةٍ تَنْضَحُ مِسْكًا ، وَلا بِدْعَ ، ففِى الفنْجَانِ شكلُ الغَزَالْ (٧)

حَبَابُهَا منْ فوقِها مانعٌ نِفَارَهُ ، فَهْوَ شِبَاكُ اللآلْ (٨)

تُدِيرُهَا هيْفاءُ مَمْشُوقَةٌ خَودٌ تَثَنَّتْ فى بُرُودِ الدَّلالْ (٩)

---

(١) أناف : ارتفع . الشأو : من معانيه السبق ، وهو المراد هنا .

(٢) المقلات : ناقة تلد واحدا ثم لا تحمل بعده . وامرأة لا يعيش لها ولد . الهلوع : كثيرة الجزع .

(٣) أدمنت نوحى : أدمته . الطرف الهموع : العين الكثيرة سيل الدموع .

(٤) الشرك : حبالة الصائد الواحد شركة . (٥) عارض : مانع يمنع من المضى .

(٦) سلسله : أجراه فى حدور . طليق المجال : غير مقيد فى جولانه وسيره .

(٧) القهوة : من أسماء الخمر . لا بدع : معناه لا عجب .

(٨) الحباب : نفاخات الماء التى تعلوه .

(٩) الهيفاء : ضامرة البطن رقيقة الخصر . ممشوقة : حسنة القوام . الخود : الحسنة الخلق الشابة . تثنت : تمايلت . البرود : الثياب . الدلال : هو جرأة المرأة فى تكسر كأنها مخالفة وليس بها خلاف .

كَادَ حِجَا مَنْ أَقْبَلَتْ نحوهُ ... يَذْهَبُ مِنْ رَنّاتِ تِلك الحِجَالْ (١)
بِغُـــرَّةٍ أَوْ طُـــرَّةٍ وَزَّعَتْ ... أفكارَنا بينَ الهُدى والضلَالْ (٢)
تَقولُ للشمس، وقَدْ أقبلتْ: ... تَلَثَّمِي ما أَنْتِ إلّا خَيَـالْ

وقال :

مَا أَرْسَـلَ الرَّحمٰنُ أَوْ يُرسِـلُ ... مِنْ رَحْمـةٍ تَصْـعَدُ أَوْ تَنْزِلُ
فِي مَلَكُوتِ اللهِ أَوْ مُلْكِهِ ... مِنْ كُلِّ ما يَختصُّ أو يَشمَلُ
إلّا وطَـهَ المصْـطَفَى عَبْـدُهُ ... نبيُّـه مختـارُه المُرْسَـــلُ
وَاسِـطَةٌ فِيها وأصْـــلٌ لَهـا ... يَعلمُ هَـذا كُلُّ مَنْ يعقِلُ (٣)
فـــلُذْ بِهِ في كُلِّ ما تَرْتجِي ... فَهوَ شـفيعٌ دائما يقبَـلُ
وعُـــذْ بِهِ في كل ما تَخْتَشِي ... فإنهُ المَرْجِـعُ والموئِـــلُ
وَحُطَّ أحْمَالَ الرَّجا عِنـــدهُ ... فإنهُ المَأْمَـــلُ والمَعْقِـــلُ
ونَادِهِ إنْ أزْمَـةٌ أَنْشَبَتْ ... أظفارَها واستَحكَمَ المُعْضِـلُ
يا أكْـرمَ الخَـلْقِ على رَبِّه ... وخَيْرَ مَنْ فِيهِـمْ بهِ يُسـأَلُ
قد مسَّـنِي الكَرْبُ وكم مَرةٍ ... فَرَّجْتَ كرباً بعضُــهُ يُذْهِلُ
ولنْ تَرى أعجزَ مِنِّي فَـا ... لِشــدَّةٍ أقوى ولا أحمَـــلُ

---

(١) الحجال : الخلاخيل .
(٢) الغرة : بياض فى جبهة الفرس فوق الدرهم والمراد بها بياض وجه الهيفاء . والطرة : الناصية .
(٣) واســطة فيها : يريد وسيلة فى إنزالها ، والواسطة ليست بهذا المعنى بل هى أعظم حبات العقد وتوجد فى وسطه .

(١١) قال الشيخ عبد الله الشبراوى المتوفى سنة ١١٧٢ هـ

فى السيد عبد القادر نقيب الأشراف الذى حضر من البلاد الرومية، وبعد أن بات ليلةً وجد مذبوحًا

أيها القومُ وَيْحَكُمْ ! قد هَدَمْتُمْ بِنْيَــةَ اللهِ، واتّهمتُمْ عِبادَه(١)

وذبحتُمْ هـذا المهـذَّبَ غَدْرًا وقَطَعْتُمْ بِغِلْظَــةٍ أَوْرَادَه(٢)

ثم نُمْتُمْ عليه زُورًا : ولكنْ ذاكَ أمرٌ قضى الإلٰه نَفَادَه(٣)

أيها النائحون مهـلًا ! فَمَنْ ذَا نال من دهرِه الخئُونِ مُرادَه ؟

لا تُطيـلوا على النقيبِ نحيبًا فهو بالذَّبح نال أعلَى سَعادَه

كم نبىٍّ وصالحٍ ووَلِىٍّ مات قتلا، ونال أجرَ الشهاده

هـذه سُنّةُ الأماجدِ قِدْمًا كحُسَيْنٍ وسعدِ ابنِ عُباده

حازهذا الشريفُ لُطفًا من اللـ ـهِ وساوَى فى حَوْزِها أجدادَه

لوُفورِ الأُجُورِ والرتبةِ العليـ ـيا وحُسْنَى من ربنا وزيادَه

يا خليلِى لا تأسفنَّ وأرِّخْ قَـدَّرَ اللهُ قتـلَهُ وأراده

٣٠٤ ٦٦ ٥٣٥ ٢١٧ = ١١٢٢

وقال فى بعض أسفاره متشوّقًا الى مصر :

أعِـدْ ذِكْرَ مصرٍ، إنَّ قَلْبِىَ مُولَعٌ بمصرَ، ومَنْ لى أَنْ تَرَى مقلتِى مِصرا؟(٤)

(١) بنية الله : ما بناه الله .

(٢) الغدر: ترك الوفاء . الوريدان : عرقان فى العنق جمعها أوردة وورود لا أوراد كما جمع الشاعر.

(٣) نفاده : فناءه .

(٤) مولع : مغرم . المقلة : شحمة العين التى تجمع سوادها و بياضها .

وكرّر على سمعى أحاديثَ نيلِهـا ، فقــد ردّتِ الأمواج سائلَهُ نَهْرا
بلادٌ بهـا مدّ السـماحُ جَنَاحَهُ وأظهر فيهـا المجدُ آيتَه الكُبرى
رُوَيْدًا إذا حدّثتَنِي عن رُبُوعِها ، فتطويلُ أخبارِ الهَوى لذةٌ أخرى
إذا صاح شُحْرور على غصنِ بانَة تذكّرتُ فيها اللحظَ والصَّعْدَةَ السَّمْرا (١)
عَسَى نحوَها يَلوِى الزمانُ مَطيتِى وأشهد بعد الكَسْر من نيلها جَبْرا
لقــد كان لى فيهـا مَعَاهِــدُ لذةٍ تَقَضَّتْ وأبقتْ بعدَها أنفسا حَسْرى

وقال :

أَحِنُّ إلى تلك المعاهِدِ كلّما يُجَــدِّدُ لى مَرُّ النسيمِ بهـا ذِكرا (٢)
أَمَا والقُدُودِ المـائساتِ بسَفْحِها وألحاظِ غاداتٍ قد امتلأتْ سِحْرا (٣)
وما فى رُباها من قَوام مهفْهَفٍ علا وغَلا عن أن يباعَ وأن يُشْرَى (٤)
لئن عاد لى هــذا السرورُ بأرضها وقَرّتْ بِمَنْ أهواهُ مُقلَتِيَ العَبْرَى
لأعتنِقَنَّ اللهــوَ فى عَرَصاتِها وأسجُــدُ فى محرابِ لذّتهـا شُكْرا (٥)
رعَى اللهُ مَرْعاها ، وحيَّا رِياضَها وصَبَّ على أرجائِها المُزْنَ والقَطْرا (٦)

---

(١) الشحرور : طائر . الصعدة : القناة المستوية يشبه بها قدّ الفتاة .

(٢) مرّ النسيم : مروره .

(٣) المـائسات : المتبخترات . الغادة : المرأة الناعمة الليّنة الليّنة الغيد .

(٤) قوام مهفهف : ضامر البطن دقيق الخصر .

(٥) العرصة : كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء .

(٦) المزن : السحب والمطر . والمراد هنا المطر .

منازلُ فيها للقلوبِ منازهٌ ... فللهِ ما أحلَى وللهِ ما أمرَا ! (١)
يذكرني ريحُ الصبا لذةَ الصبا ... بروضتها الغنَّا وقد تنفعُ الذكرى (٢)
على نيلها شوقًا أصبُّ مدامعي ... وأصبو إلى غُدْرانِ روْضَتِها الغرّا (٣)
كساها مديدُ النيلِ ثوبًا معصفرًا ... وألبسها مِنْ بعدِه حُلّةً خضرا
وصافحَ أغصانَ الرياضِ فأصبحتْ ... تمدُّ له كفًّا، وتُهدِى له زهْرا
وأودعَ في أجفانِ مُنتزَهاتِها ... نسيمًا إذا وافاه ذو عِلّةٍ تبرَا (٤)
إذا حذرتني بلدة عن تشوقٍ ... إلى نيلِ مصرٍ كان تحذيرُها إغرا
سأعرِضُ عن ذكرِ البلادِ وأهلِها ... وأروِى بماءِ النيلِ مُهجتيَ الحرَّى
وكم لى إلى مجرَى الخليجِ التفاتةٌ ... يسيلُ بها دمعي على ذلكَ المجرَى
جداولُ كالحيّاتِ يلتفُّ بعضُها ... ولستَ ترَى بطنًا، ولستَ ترَى ظَهرَا
وكم قلتُ للقلبِ الولوعِ بذكرِها: ... تصبّرْ فقال القلبُ: لم أستطع صبْرا
أمَا والهوى العُذريِّ والعُصبةِ التي ... أقام لها العشاقُ في فنِّهم عُذْرا
لئن كنتُ مشغوفًا بمصرَ فليس لى ... بها حاجةٌ إلا لقاءُ بني الزّهْرا (٥)
أجَلُّ بني الدنيا وأشرفُ أهلِها ... وأنداهُمُ كفًّا وأعلاهُمُ قدْرا (٦)

---

(١) منازه : مفردها منزه اسم مكان من الفعل «نزهت» الأرض أي تزينت .
(٢) الروضة الغناء : هي التي تمر الريح فيها غير صافية الصوت لكثافة عشبها .
(٣) الغدران : مفردها غدير وهو القطعة من الماء يغادرها السيل .
(٤) متنزهات : الفعل تنزه واسم المكان منه متنزه وجمعه متنزهات لا منتزهات .
(٥) الزهراء : المراد بها فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم .
(٦) أنداهم كفا : أجودهم يدا .

(ب) النـــــثر

(١) قال الشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي[1]

يصــف بســتانا

فوصلنا الى بستانٍ قد أخذ زخرفَه وتزين ، وفاضتْ عيونه غيرةً من نازليــه وتلوّن ، تنساب جداول جوانبه كالأراقم ، ويصفّق النهر لرقص الغصون على غناء الحمائم ، ويهُبّ النسيم فينقّطُها من الزّهر بدنانيرَ ودراهم ، قد تطاول فيــه من البان كلُّ قدٍّ مخطوف ، وخجِل فيه من الورد كلُّ خدٍّ موصوف ، فأجلسنا النرجس على عينيــه وأحداقِه ، وظلّلَنا الغصنُ بسائر أوراقه ، وحيــا منثورُه الأبيضُ والأزرقُ بالأصابع ، وفتح كفوفَه الصُّفْرَ وهو منا غَيْرانُ فاقع ، وجرىٰ النهر بين أيدينا متواضعًا بسجوده ، وشب الشُّحْرور بمنقاره لمّــا تغَنّى الهَزار على عوده ، فدقّ نسيمه وراق ، وجذب الحمائم الى الغناء بالأطواق :

أظن نسيم الروض للزهر قد روى حديثًا فطابت من شــذاه المسالكُ

وقال :

دنا فصـــل الربيـــع ؛ فَـــكلُّهُ ثُغُـــورٌ لِمـا قال النسيمُ ضواحكُ

قد شاب ذلك الزهر قبــل شبابه ، وغنّاه الطـير فتساقط من طَرَبه وإعجابه ، ومرّ عليه النسيمُ بذيله البَليل ، فشب حتى عجبنا من حصول الشفاء من العليل . فيالها

---

(١) ولد بصفد سنة ٦٩٦ هـ . وتلق العلم بدمشق عن ابن نباته وعن أبي حيان النحوى وغيرهما وتولى ديوان الإنشاء بصفد والقاهرة وحلب وهو كاتب شاعر مؤرّخ . وتوفى فى سنة ٧٦٤ هـ .

روضـــةٌ صدحت أطيارُها فأطربت الأشجـار ، وألبستنا ثوب الخلاعة عنــد خلع العِــــذار :

انظر إلى الروض النضـير كأنمـا نُشِرَتْ عليـــه مُـلاءةٌ خضراءُ
أنَّى سَرحتَ بلحظِ عينك لا ترَى إلا غـــديراً جَال فيـــه المـاءُ
وترَى بنفســـك عزةً فى دوحه إذ فوق رأسك حيث سِرتَ لواءُ

والمـاءُ قد رقَّ وراق، وتسلسل وهو فى الإطلاق، وجَرى فتكسَّر، وصفا ولم يتغيَّر، وصاحَبَ النسماتِ وحالَفها، وقاطعَ الأغصانَ وخالفها، وأتته الرياحُ للزيارة من شِعابها وهضابها، وسَرَق حُلِيَّ الأغصان فضمَّها فى صدره وجَرى بها، والعيونُ ترمُقه فى جريه ومسيره، وهو لا يفتُرعن تصفيقه وخريره، حتى خشينا عليه التكسير من التمادِى، ورجونا من ماء عينيه رِىَّ كل صادِى :

يا حسنَه من جدولٍ متدفقٍ يلهو برونق حســـنه مَنْ أبصرا
ما زلت أُنذره عيـونًا حـوله خوفًا عليـه أن يُصاب فيعثُرا
فأبى وزاد تمـاديًا فى جريه حتى هوَى من شاهقٍ فتكسرا

ولم يزل الطير يسـعى بين النهر والغصن فى الاتفاق ، ويكرِّر ألحانَهُ ويُراســل فى الأوراق، ويجتهد فى الصلح ويدعو اليه ، ويحرِص على الوفاء ويحرِّض عليه . وقام الشُّحرور بينهما واعظًـا وخطيبا ؛ فأجدَتْ مَواعظُه وكان قلبُ النهر صافيًـا وقريبا . وقامَ النِّسرين من السرور على ساق، وجذب كل صَدوح للغناء بالأطواق، وتبسمتْ من الأُقحوان الثغور، ونسَمت نفحات المسك والكافور ؛ واعتلَّ النسيمُ

غَيْرةً وتغيّر، فتولى وهو بذيله يتعـثر، وجعل يجرّ من الحياء ذيولاً على الأغصان، فتعتنق اعتناق المواصل الغضبان :

في روضـــة عـلّم أغصانُهـا أهلَ الهوى العذرى كيفَ العناقْ
هبّتْ بهـا ريحُ الصبا سُحْـرةً فالتفّتْ الأغصان ساقًا بسـاق

وبكى النهرُ على مواصـلة الغصون ، ونحرّ لديها وفاضتْ منـه العيون، ومثّلَها في قلبه شغفًا وحبّا، وصار بها من دون الصَّبا صَبّا :

والنهر قد عشِق الغصون فلم يزل أبدًا يمثّـل شخصَها في قلبـه
حتى اذا فطِن النسيم لجـاءه من غَيْرةٍ فأزالهـا من قربه
وغدا عليـه مهيـمنًا بعتـابه سِـرًّا بجعْد وجهه من عَتبـه

فلم يَزْجُر النهرَ عن حُبّ الغصون زاجرٌ ولا عاذل ، ولم يُجِب العذل إلا بدمعه السائل؛ وصار يردّ برد الهَوَى بحرّ هواه العُذرى، وغدا ساعيًا بسعادة الأغصان يجرى، فقنع منها بأدنى وِصال، وربما اقتصر منها فى الحب على الخَيال :

ونهر بحبّ الدوح أصبح مغرما يروح ويغدو هائمًـا بوصالها
اذا أبعدتْ عنـه شـكّا بخـريره جفاها، وأضحى قانعًـا بخيالهـا

(٢) من رسالة عن الملك الناصر فرج بن برقوق الى صاحب فاس

وقد ورد فى كتابه ذِكْرُ لوقعـة «تمرلنك» من إنشاء الشيخ أبى العباس أحمد القلقشندى[1] مؤلف صبح الأعشى :

(١) هو أبو العباس أحمد بن على القلقشندى صاحب كتاب «صبح الأعشى فى كتابة الانشا» ولد فى قرية قلقشندة من قرى القليوبية بمصر سنة ٧٥٦ هـ ، من بيت عربى ، وقد تأدب فى القاهرة وألف مؤلفات عدة أشهرها ما ذكرنا . وعاش فاضلا مبجلاً حتى توفى سنة ٨٢١ هـ .

وتحرّكنا من الديار المصرية فى جُيوش لا يأخذها حَصْر، ولا يَلْحَقها هَصْر، ولا يُظَنّ بهـا على كثرةِ الأعداد كَسْر، ولم نزل نَحُثّ السير، ونُسْرِع الحركة للقـاءِ العدُوّ إسْراعَ الطير، حتى وافينا دمشقَ المحروسةَ فنزلنا بظاهرِها، مستمطرين النصر فى أوائل حركتنا وأواخرِها؛ وانضم الينا من عساكر الشام وعُرْبانها، وتركمانها الزائدة على العدّ وعشرانها، ما لا ينقطع له مَدَد، ولا يدخل تحت حَصْرٍ ولا عَدَد؛ وأقبل القوم فى لفيف كالجراد المنتَشِر، وأمواجِ البحرِ التى لا تنحصر: من أجناس مختلِفة، وجموع على تبَـايُن الأنواع مُؤْتَلِفة، وتراءَى الجمعـان فى أفسح مكان، ورأى كل قبيل الآخر رأْىَ العينِ وليس الخبر كالعيان، واعتدّ الفريقان للنّزال، واحتَفَروا خَنادِقَ للاحتراس وتبوَّأْنا مقاعدَ للقتال، ولم يبقَ إلا المبـارزة، والتقاءُ الصفوفِ والمُناجزة، اذْ ورد وارِدٌ من جهتهم بطَلَبِ الصلح والمُوادَعَة، والجنوح الى السَّلْم وقَطْع المُنازَعَة؛ فأجبناهم بالإجابة، ورأينـا أنّ حَقْنَ الدماءِ من الجانبـين من أتمّ مَواقِعِ الرأى إصابة؛ وكتبنا اليهم فى ضمن الجواب :

لمّـا أتانا منكُـمُ قاصِـدٌ	يسألُ فى الصُّلح وكفّ القِتال
قلنـا له : نِعمَ الذى قلتَـه؟	والصلحُ خيرٌ وأجَبْنا السؤال

(٣) وكتب عبد الرحمن عماد الدين الشـامى الحنفى الى الشهاب الخفاجى وقد سمع بعودته لمصر :

« أسعد الله تعالى طالع مصر وما حولها من الأمصار، وأنجد هـذا العصرَ وما يليـه من الأعصار، وأيّد العلوم وأهليها، وأيّد دولة الفضائل وطالبيها، بدوام سعادة أيام عين أهل المعارف والمعالى، وواسطة عِقدهم الغالى، ونادرة فَلَكهم

العالى، الذى هو صدر العلماء وبدرهم، ومن يدور عليه أمرهم، فكأنهم فَلك هو قطبه، أو جسدٌ هو روحه وقلبه. علّامة العلوم والمعارف، وروضة الأدب الوريفةُ وظلُّها الوارف، شمس عصره، وعزيز مصره، جامع المزايا والمناقب، شهاب الفضل الثاقب. أُهْدِى إلى حضرته العلية، تحف التحية، وطرف الأَدعية المرضية، وأنهى اليه شكايةَ نِكايةِ الشوق واستطالة سلطانه، ومدّ مدّة البين واستطالة زمانه، وأهنيه برتبــة الرياسة العلميــة، التى بعض صفاتها أنّ ولاية مصر المحمية جزء من آلائهـا وآلاتها، حيث أتت تسعى اليه، ومُدّ بالأمر الشريف رواقها عليه؛ على أن المولى أنبل قدرا، وأنبــه شأنًا وذكرا، من أن يُهنّى بولايةٍ وإن أمَر أمْرها، وعلا بين أهل العلا قدرها، ومنصِب مصر وإن عظم موقعه؛ فالمولى بحمــد الله تعالى يرفعه والمنصب لا يرفعه، وما شرّفه المؤثّل المعلوم، إلا بفنون الفضائل والعلوم، وحين بلَغنا وصوله بالسلامة بتيسير الميسّر عجبنا كيف ركب البحرُ البحر، وسلك البرّ البر، ولقد أحسن مولانا السلطان، إذ أنام الأنام فى حرز العدل والامان، بنصْب فيصل حكمه وحسام قضائه، لحسم مادة الظلم وانتضائه، وفتح بذلك باب دولة العرب، وروّج بضاعة العلم والفضل والأدب، نخلّد الله دولة سعادته مدى الليالى والأيام، ونظم أعوام مدّة سلطنته فى سلك التأبيد والدوام، ونسأل الله لحضرتكم طول البقاء، ودوام العز والارتقاء.

من الكتابة العلمية التأليفية فى هـــذا العصر

(٤) ولابن خِلِّكَان[1] من كتابه وَفَيَات الأعيان

يترجم لأبى طالب يحيى بن أبى الفرج سـعيد بن أبى قاسم بن زيادة الشيبانى البغدادى المتوفى سنة ٥٨٣ هـ .

كان من الأعيانِ الأماثلِ[2]، والصـدور الأفاضل، انتهت إليـه المعرفة بأمور الكتابة والإنشاءِ والحساب، مع مشاركته فى الفقه وعلم الكلام والأصول وغير ذلك. وله النظم الجيد. جالس أبا منصور بن الجَوَالِيقِى، وقرأ عليه وعلى من بعده، وسمِع الحديث من جماعة . وخدم الديوان ــ من صباه إلى أن تُوُفِّىَ ــ عدّة خدمات. وكان مليح العبارة فى الإنشاء، جيـد الفكرة حلو الترصيع، لطيف الإشارة . وكان الغالب فى رسائله العناية بالمعانى أكثر من طلب السجع . وله رسائل بليغة، وشعر رائق، وفضله أكثر من أن يذكر. وتولى النظر بديوان البصرة وواسط والحِلة ، ولم يزل على ذلك الى المحرم سنة ٥٧٥ هـ . ورُتب حاجبا بباب المتولى، وقُلد النظر فى المظالم ثم عزل عن ذلك .

(١) هو قاضى القضاة شمس الدين الإربلى ولد سـنة ٦٠٨ هـ . ثم تنقل فى البلاد حتى نزل دمشق سنة ٦٣٣ هـ. وتولى قضاء الشام ودرس فى مدارس عدة وتوفى سنة ٦٨١ هـ. واشتهر بكتابه وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان . وهو كتاب مفيد فى تاريخ الأشخاص .

(٢) الاماثل : جمع أمثل أى أفضل .

(٢) من كتاب المستطرف للشيخ شهاب الدين أحمد الابشيهى

وهو من أدباء النصف الأوّل من القرن التاسع :

أما علو الهمة فهو أصـل الرياسة، فمّن علت همته وشرُفت نفسُه عُمارة بن حمزة، قيل إنه دخل يوما على المنصور وقعد فى مجلسه ؛ فقام رجل وقال : مظلومٌ يا أمير المؤمنين ! قال : من ظلمك ؟ قال : عمارة بن حمزة غصبنى ضيعتى! فقال المنصور : يا عمــارة قم فاقعــد مع خصمك ، فقال : ما هو لى بخصم، إن كانت الضــيعةُ له فلست أنازعه فيها ، و إن كانت لى فقد وهبتها له؛ ولا أقوم من مقام شّرفنى به أمير المؤمنين، ورفعنى وأقعدنى أدنى منه، لأجل ضيعة .

وتحدّث السفّاح هو وأم سلمة يوما، فى نزاهة نفس عمارة وكبره، فقالت له : ادع به وأنا أهَب له سُبْحَتِى هذه، فانّ ثمنها خمسون ألف دينار، فان هو قبِلها علمنا أنه غير نَزِه النفس. فوجّه اليه فحضر، فحادثته ساعة ثم رمت اليه بالسبحة، وقالت: هى من الطُرَف، وهى لك . فجعلها عمــارة بين يديه . ثم قام وتركها . فقالت : لعله نَسيَها . فبعثت بها اليه مع خادم، فقال للخادم: هى لك. فرجع الخادم، فقال : قد وهبها لى، فأعطت أم سلمة للخادم ألف دينار، واستعادتها منه .

وأهدى عبيد الله بن السرى إلى عبد الله بن طاهر لمـا وَلِىَ مصر مائة وصيف، مع كل وصيف ألف دينـار، ووجه اليه بذلك ليلا ، فردّه وكتب اليه : لو قبلتُ هديتك ليلا، لقبلتها نهارا؛ « فما آتانِىَ اللهُ خيرٌ مما آتاكُمْ، بَلْ أنتُمْ بِهَدِيّتِكُمْ تَفْرَحُونَ » .

(وكان) سبب فتح المعتصم عَمُّورية أن امرأة من الثغر سُبِيَت فنادت: وامحمداه! وامعتصماه! فبلغه الخبرُ. فركب لوقته، وتبعه الجيش. فلمّا فتحها قال: لَبَّيْك أيتها المنادية!

وكان سعيد بن عمرو بن العاص ذا نخوة وهمة، قيل له فى مرضه: إنّ المريض يستريح الى الأنين، والى شرح ما به الى الطبيب. فقال: أما الأنين فهو جَزَع وعار، واللهِ لا يسمَع الله منى أنينا، فأكونَ عنده جزوعا. وأما وصف ما بى الى الطبيب فوالله لا يحكم غيرُ الله فى نفسى، إن شاء أمسكها، وإن شاء قبضها.

ومن كِبَر النفس ما رُوِى عن قيس بن زهير أنه أصابته الفاقة، فكان يأكل الحنظل حتى قتله، ولم يخبر أحدا بحاجته.

ومن الشرف والرياسة حِفظُ الجوار وحَمى الذمار. وكانت العرب ترى ذلك دِينا تدعو اليه، وحقا واجبا تحافظ عليه. وكان أبو سفيان بن حرب إذا نزل به جار قال: يا هـذا إنك اخترتنى جارا، واخترت دارى دارا، فجنايةُ يدك علىّ دونك، وإن جنت عليك يدٌ فاحتكم حكم الصبىّ على أهله.

وكان الفرزدق يُجير من عاذ بقبر أبيه غالب بن صَعْصَعة؛ فممن استجار بقبر أبيه فأجاره امرأة من بنى جعفر بن كلاب، خافت لمّا هجا الفرزدق بنى جعفر أن يسميَها وينسبَها، فعاذت بقبر أبيه، فلم يذكر لها اسما ولا نسبا ولكن قال:

عجوزٌ تصلى الخمسَ عاذت بغالب   فلا والذى عاذت به لا أضيرُها

وقال مَرْوانُ بنُ أبى حفصة:

هُمُ يمنعون الجارَ حتى كأنما   لجارهم بين السِّماكَيْنِ منزلُ

وقال ابن نبـاتة :

ولو يكون سوادُ الشـعر فى ذِمَمٍ ماكان للشيب سلطانٌ على اللِّمَمِ

(وقيل) إنّ الحجـاج أخذ يزيد بن المهلب بن أبى صُـفْرة وعذّبه واستأصل موجوده وسجنه . فتوصل يزيد بحسن تلطفه وأرغب السجان واستماله وهرب هو والسجان. وقصد الشام إلى سليمان بن عبد الملك بن مروان. وكان الخليفةُ فى ذلك الوقت الوليد بن عبد الملك . فلما وصل يزيد بن المهلب إلى سليمان بن عبد الملك أكرمه وأحسن اليه وأقامه عنده . فكتب الحجاج الى الوليد يعلمه أن يزيد هرب من السجن، وأنه عند سليمان بن عبد الملك أخى أمير المؤمنين، وولى عهد المسلمين، وأن أمير المؤمنين أعلى رأيا . فكتب الوليد الى أخيه سليمان بذلك، فكتب سليمان الى أخيه يقول : يا أمير المؤمنين إنى ما أجرت يزيد بن المهلب إلا لأنه هو وأبوه وإخوته من صنائعنا قديما وحديثا، ولم أُجر عدوًّا لأمير المؤمنين . وقد كان الحجـاج قصده وعذبه وغرّمه أربعة آلاف ألف درهم ظلما، ثم طالبه بعدها بثلاثة آلاف ألف درهم . وقد صار إلىّ واستجار بى، فأجرته، وأنا أغرّم عنه هذه الثلاثة آلاف ألف درهم، فان رأى أمير المؤمنين ألّا يُخزينى فى ضيفى فليفعل، فإنه أهل الفضل والكرم . فكتب اليه الوليد : إنه لابدّ أن ترسل إلىّ يزيدَ مغلولا مقيدا . فلما ورد ذلك على سليمان أحضر ولده أيوب فقيّـده، ودعا يزيدَ بن المهلب فقيّده، ثم شدّ قيـد هذا الى قيد هذا بسلسلة ، وغلّهما جميعا بغُلّين، وأرسلهما الى اخيه الوليد، وكتب اليه :

أما بعد يا أمير المؤمنين فقد وجهت اليك يزيد وابن أخيك أيوب بن سليمان ، ولقد هممت أن أكون ثالثهما . فان هممت يا أمير المؤمنين بقتل يزيد فبالله عليك ابدأ بأيوب من قبله ، ثم اجعل يزيد ثانيا ، واجعلنى اذا شئت ثالثا والسلام . فلما دخل يزيد بن المهلب وأيوب بن سليمان فى سلسلة واحدة أطرق الوليد استحياء ، وقال : لقد أسأنا الى أبى أيوب ، إذ بلغنا به هذا المبلغ . فأخذ يزيد ليتكلم[1] ويحتجَّ لنفسه ، فقال له الوليد : ما تحتاج الى كلام ، فقد قبلنا عذرك ، وعلمنا ظلم الحجاج . ثم إنه أحضر حدادا ، وأزال عنهما الحديد ، وأحسن اليهما ، ووصل أيوب ابنَ أخيه بثلاثين ألف درهم ، ووصل يزيد بن المهلب بعشرين ألف درهم ، وردّهما الى سليمان . وكتب كتابا الى الحجاج يقول له : لا سبيل لك على يزيد بن المهلب ، فاياك أن تعاودنى فيه بعد اليوم . فسار يزيد الى سليمان بن عبد الملك وأقام عنده فى أعلى المراتب وأرفع المنازل .

(٣) وصف استيلاء التتار على بغداد

من كتاب الخميس فى أحوال أنفس نفيس للديار بكرى[2] :

وفى سنة أربع وخمسين وستمائة خرج الطاغية العنيد مبيدُ الأمم هولاكو ، فأخذ قلعة الَموت من الاسماعيلية ، وقتلهم وأخرب نواحى الرَّى ، وبُذِلتْ السيوف على عوائدهم ، فتوجه الكامل محمد صاحب ميّافارقين ، إلى خدمة هولاكو فأعطاه الفرمان . ثم نزل هولاكو بأذربيجان وأخذها .

(١) أخذ ليتكلم : أخذ يتكلم .

(٢) هو حسين بن محمد بن الحسن الديار بكرى نسبة الى ديار بكر تولى قضاء مكة وتوفى بها حول سنة ٩٨٢ هـ .

وفى سنة خمس وخمسين وستمائة ثارت فتنة مهولة ببغداد بين السنية والرافضة أدت إلى نهب عظيم وخراب وقتـل عدّة من الرافضـة . فغضب لهـا وتنمّر آبن العلقمى الوزير، وجسّر التتار على العراق ليشتفى من السنية .

وفى أوّل سنة ست وخمسين وستمائة وصل الطاغية هولاكو بن تولى بن جنكيزخان المغلى بغداد بجيوشه وبالكرّج وبعسكر الموصل. فخرج الدُّويدار بالعسكر، فالتقى بطلائع هولاكو وعليهم ياجنوس ، فانكسر المسلمون لقلتهم . ثم أقبل ياجنوس فنزل على بغداد من غربيّها ، ونزل هولاكو من شرقيّها . فقال الوزير آبن العلقمى للخليفة المستعصم بالله : إنى أخرج إلى القاآن الأعظم فى تقرير الصلح . فخرج الكلب وتوثق لنفسه ورجع . فقال: إن القاآن قد رغب فى أن يزوّج بنته بابنك، وأن يكون الطاعة له كالملوك السلجوقية ويرحل عنك، فخرج المستعصم فى أعيـان دولته ، وأكابر الوقت ليحضُروا العقد ، فضربت رقاب الجميـع، وقتلوا الخليفة : رفسوه حتى مات . ودخلت التتار بغداد واقتسموها . وأخذ كلٌّ ناحية، وبقى السيف يعمل أربعة وثلاثين يوما . وقلَّ من سلم . فبلغت القتلى ألف ألف وثمانمائة ألف وزيادة . فعند ذلك نادَوْا بالأمان، ثم أمر هولاكو بضرب عنق ياجنوس، لكونه كاتب الخليفة . وأرسل إلى صاحب الشام يهـدّده إن لم يُخرِّب أسـوار بلاده . كذا فى « دول الاسلام » .

وفى تاريخ الجمـالى يوسف : سبب قتل المستعصم بالله أنه لمـا وَلِىَ الخـلافة لم يتوثّق أمرُه، لأنه كان قليل المعرفة بتدبير الملك ، نازِلَ الهمـة ، مهملا للأمور

المهمة، محبا لجمع المـال، أهمل أمر هولاكو وانقاد إلى وزيره ابن العلقمى، حتى كان فى ذلك هلاكه وهلاك الرعيـة ، فان وزيره ابن العلقمى الرافضى كان كتب كتابا إلى هولاكو ملك التتار فى الدشت : أنك تحضرُ إلى بغداد، وأنا أسلمها لك، وكان قد داخل قلبَ اللعين الكفر . فكتب هولاكو : إنّ عساكر بغداد كثيرة، فان كنت صادقا فيما قلته، وداخلا فى طاعتنا ، فرّق عساكر بغـداد ونحن نحضرُ . فلما وصل كتابه الى الوزير، دخل إلى المستعصم وقال: إن جندك كثيرة وعليك كلفة كبيرة، والعدوّ قد رجع من بلاد العجم، والصواب أنك تعطى دستور الخمسة عشر ألفا من عسكرك، وتوفرّ معلومهـم . فأجابه المستعصم لذلك . فخرج الوزير لوقتـه ومحا اسم من ذكر من الديوان، ثم نفاهم من بغداد ومنعهم من الاقامة بها . ثم بعد شهر فعل مثل فَعْلَته الأولى ومحا اسم عشرين ألفاً من الديوان. ثم كتب الى هولاكو بمـا فعل. وكان قصد الوزير بمجىء التتار أشياءَ منهـا أنه كان رافضيا خبيثا، وأراد أن ينقلُ الخـلافة من بنى العباس الى العلويين ، فلم يتم له ذلك من عظم شوكة بنى العباس وعساكرهم، فأفكر أن هولاكو إذا قدم يقتُل المستعصم وأتباعه، ثم يعود الى حال سـبيله، وقد زالت شوكة بنى العباس، وقد بقى هو على ما كان عليه من العظمة والعساكر وتدبير المملكة، فيقوم عند ذلك بدعوة العلويين الرافضة، من غير ممانع لضعف العساكر ولقوّته ، ثم يضع السيف فى أهل السنة . فهذا كان قصدَه لعنه الله .

ولـمـا بلغ هولاكو ما فعل الوزير ببغـداد ركب وقصدها، إلى أن نزل عليها، وصار المستعصم يستدعى العساكر، ويتجهز لحرب هولاكو. وقد اجتمع أهل بغداد

وتحالفوا على قتال هولاكو، وخرجوا الى ظاهر بغـداد، ومشى عليهـم هولاكو بعساكره فقاتلوا قتالا شديدا، وصبّر كل من الطائفتين صبرا عظيما، وكثُرت الجراحات والقتـلى فى الفريقين، إلى أن نصر الله تعـالى عساكر بغـداد وانكسر هولاكو أقبح كسرة، وساق المسلمون خلفهم وأسروا منهم جماعة، وعادوا بالاسرى ورؤوس القتلى الى ظاهر بغداد، ونزلوا بخيمهم مطمئنين بهروب العـدوّ. فأرسل الوزير ابن العلقمى فى تلك الليـلة جماعة من أصحـابه فقطعوا شطر الدجلة، فخرج ماؤها على عساكر بغـداد وهم نائمون، فغرقت مواشيهم وخيامهم وأموالهم وصار السعيد منهم من لقىّ فرسا يركبها . وكان الوزير قد أرسل الى هولاكو يعرفه بما فعل، ويأمره بالرجوع إلى بغداد . فرجعت عساكر هولاكو إلى ظاهر بغداد، فلم يجدوا هناك من يردهم . فلما أصبحوا استولّوا على بغداد، وبذلوا فيها السيف، ووقع منهم أمور يطول شرحها . والمقصود أن هولاكو استولى على بغـداد، وأخذ المستعصم أسيرا . ثم بذل السيف فى المسلمين، فلم يرحم شيخا كبيرا لكبره، ولا صغيرا لصغره.

ولمـا أخذ الخليفة أسيرا هو وولده وأُحضر بين يديه، أمر به هولاكو فأخرج من بغداد، وأنزله بُخَيّم صغير بظاهر بغداد هو وولده . ثم فى عصر ذلك اليوم وضع الخليفة وولده فى عدلين، وأمر التتار برفسهما الى أن ماتا فى المحرّم سنة ست وخمسين وستمائة . ثم نهبت دار الخلافة ومدينة بغـداد حتى لم يبق فيهـا لا ما قلّ ولا ما جلّ . ثم أحرقت بغداد بعد أن قتل أكثر أهلها، حتى قيل أن عدّة من قتل فى نوبة هولاكو يزيد على ألف ألف وثلاثين ألف انسان . وانقرضت الخلافة من

بغداد بقتل المستعصم هذا ، و بقيت الدنيا بلا خلافة سنين الى أن أقام الملك الظاهر بيبرس البنـدقدارى بعض بنى العباس فى الخـلافة ، حسبما يأتى ذكره على سبيل الاختصار . وكانت خلافة المستعصم خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وأياما وتقدير عمره سبع وأربعون سنة وزالت الخلافة من بغداد . قال الشاعر :

خلت المنـابر والأسِرّة منهـمُ فعليهمُ حتى الممـاتِ ســـلام

أما الوزير ابن العلقمى فلم يتم له ما أراد من أن التتار يبذلون السيف فى أهل السـنة ، فجاء بخلاف ما أراد و بذلوا السيف فى أهل السنة والرافضة كلهم، وهو فى منصبه مع الذل والهوان ، وهو يظهر قوة النفس والفرح، وأنه بلغ مراده . فلم يلبث أن أمسكه هولاكو بعد قتل المستعصم بأيام، ووبخـه بألفاظ شنيعة معناها أنه لم يكن له خير فى مخدومه، ولا فى دينه فكيف يكون له خير فى هولاكو . ثم أنه قتله شر قتلة، فى أوائل سنة سبع وخمسين وستمائة، الى سقر لا دنيا ولا آخرة .

(٤) قال شهاب الدين محمود الخفاجى[1] فى كتابه ريحانة الالبّا وزهرة الحياة الدنيا يترجم ليحيى الأصيلى

أديب ماهر، وشاعر ساحر، عَبِقت بالديار المصرية، أنفاسُـه النديِة ، نشأ بدِمْياط وقد ٱبتسم بمحياه ثغرها، ودرّت عليه سحائب نعمها فلله دَرُّها، ثم هاجر لمصر

(١) ولد فى سرياقوس وتعـلم فى مصر ورحل الى الحرمين والآستانه وكان أديبـا لغو يا توفى سنة ١٠٦٩ هـ .

وعود شــبابه خَضِر،[١] وروض محاسنه بمـاء الصبا بهج نَضِر، فتخرج بالنُّور العُسيلِي[٢] حتى حلا فى ذوقه شَهدُ آدابه وتزينت حِقَاق أفكاره بفـرائد خطابه ، وكان يتغنى بالقرآن ، ويَقْرِى بصوته الحسن الآذان ؛ وله أنفاس فى الغناء تُميتُ الهموم وتُحيي الطرب، وترشُف منهـا الآذان ماتسكَر منه ٱبنـة العنب ، فإذا ترنم فى نادى سادة اعيان،فكأنه نسيم الصبا والقوم أغصان،فأنفاسه أطرب من عود ، وذكره الجميل أطيب من عود :

فإن العود مشــتق   من العــود بإتقان
فهــذا طيب آناف   وهــذا طيب آذانِ

ولم يزل بعد العسيلى يُدير سُلافة اللطافة ، وما برح بالديوان فى محل خلافةٍ لا يرضى خلافه، يقطِف ثمـراتِ المُنَى، ويقيل تحت ظلال الهنا، حتى مدّ الغِناء له فى الغنى، مع ماله فى فنون العلم والآداب من المآرب .

فلله منه جانب لا يضـــيعه   وللهــو منــه والخلاعة جانب

مع أنه خفيف الروح خفيف الشـقة على سائر الناس ، فمحبته لذلك تجـرى مع الأنفاس .

وإذا أحب الله يوما عبــده   ألـقى عليـه محبـــةً للنـاس

ولم يزل كذلك حتى قصد الحج يطلب من شريف مكة أمله وتنويله ، ولم يدر ما أضمرت له سـود الليالى وما تنوى له؛ فلما ألقى العصا بها وٱستقرت به النوى ،

(١) الخضر : الغض الطرى .

(٢) يقصد نور الدين على العسيلى وهو من أدباء مصر فى ذلك العصر .

قضى مناسك حجه وأخلص لله مانوى ، ودعاه الكريم إلى داره ، فحل ممتعاً بالرحمة في جواره، واقفًا في عرفات إحسانه، محرمًا في إزار أكفانه .

وكان بيني وبينه ودّ جميل، إلا أنه لضيق وقته كشمس الشتاء عند الأصيل، فما نطق به لسان قلمه، وأودعه من نور معانيه في كِمام كلمه قوله :

مَن منصفي من ظالم بيتُ المظالم بيتُه
أُخفيه خشية بأسه وأودُّ لو سمَّيتُه

العصر الحديث

(١) الشعر

(١) قال السيد إسماعيل الخشّاب[1] متغزلا :

يَا شَقِيقَ البَدْرِ نُورًا وَسَنًى ... وَأَخَا الغُصْنِ إِذَا مَا انْعَطَفَا (٢)

بِأَبِي مِنْكَ جَبِينًا مُشْرِقًا ... لَوْ بَدَا لِلنَّيِّرَيْنِ انْكَسَفَا (٣)

بُغْيَتِي مِنْكَ رُضَابٌ وَرِضًى ... وَعَلَى الدُّنْيَا وَمَنْ فِيهَا العَفَا (٤)

وقال يتغزل :

وَلِعْتَ بِسُودِ أَجْفَانِ المِلَاحِ ... وَهُنَّ أَحَدُّ مِنْ بَعْضِ الصِّفَاحِ (٥)

وَشَاقَتْكَ القُدُودُ أَلَسْتَ تَدْرِي ... كُمُونَ الحَتْفِ فِي لُدْنِ الرِّمَاحِ (٦)

حَذَارِ ظِبَا الكِنَاسِ ، فَثَمَّ رِيمٌ ... يَصِيدُ لُيُوثَ آجَامِ البِطَاحِ

---

(١) كان الخشاب أديبا شاعرا ظهر فى مصر قبيـل الاحتلال الفرنسى وامتد به العمر الى أول زمن محمد على باشا وقد توفى سنة ١٢٣٠ هـ . وله ديوان شعر مطبوع بالآستانه .

(٢) السنى : الرفعة والضوء . و انعطف : مال وانثنى .

(٣) بأبى : أفديك بأبى . والنيران : الشمس والقمر .

(٤) الرضاب : بضم الراء الريق المرشوف . والعفاء : الهلاك . والمراد أنه إذ ينال بغيته تلك لا يبالى الدنيا ومن فيها . (٥) الصفاح : المراد بها هنا السيوف .

(٦) القدود : جمع قد ، وهو القامة . والحتف : بفتح الحاء الموت . واللدن : بضم اللام اللينة ، أى التى لا تقصف ، يقول إن القدود قد هاجت شوقه ، ولكنه غفل عن فتكها . فى حين أن الموت كامن فى الرمح المعتدل .

(٢) وللشيخ حسن العطار [١]

قال يصف بركة الأزبكية :

بِالأَزْبَكِيَّةِ طَابَتْ لِي مَسَـرَّاتُ ... وَلَذَّ لِي فِي بَدِيعِ الأُنْسِ أَوقاتُ

حَيْثُ المِيَـاهُ بِهَـا وَالفُلْكُ سَابِحَةٌ ... كَأَنَّهَـا الزُّهْرُ تَحْوِيهَـا السَّمواتُ [٢]

وَقَـدْ أُدِيرَ بِهَـا دُورٌ مُشَيَّدَةٌ ... كَأَنَّهَا لِبُدُورِ الحُسْنِ هَالَاتُ [٣]

وَالمَـاءُ حين سَرَى رَطْبُ النَّسِيمِ بِهِ ... وَحَلَّ فِيهِ مِن الأَدْوَاحِ زَهْرَاتُ [٤]

كسابِغَـاتِ دُرُوعٍ فَوْقَهَـا نُقَطٌ ... مِن ضَبَّةٍ واحْمرارُ الوَرْدِ طَعنَاتُ [٥]

وقال يمدح ابراهيم باشا عند عودته من الشام :

سَمْهَرِىٌّ يَنثَـنِى أم غصنُ بانْ ... أمْ قَوام دونه صـبرى بَانْ [٦]

صانَ بالعسّـالِ معسولَ اللَّمى ... وتَهادَى هادِمًا ما أنَا بَان [٧]

---

(١) هو حسن بن محمد العطار كان من علماء الأزهر ، رحل الى كثير من الممالك الاسلامية ، وانتهت به الحال الى أن صار محررا للوقائع المصرية أوّل ظهورها ، ثم صار شيخا للازهر ، وكان على جلالة محله فى العلم شاعرا كاتبا بليغا توفى سنة ١٢٥٠ ه .

(٢) الفلك : بضم الفاء وسكون اللام . السفينة : ولفظ جمعه كلفظ مفرده . ويريد (بالزهر) بضم الزاى النجوم المشرقة .

(٣) الهالات : جمع هالة ، وهى الدائرة التى ترى حول القمر ، كالطفاوة بضم الطاء للشمس .

(٤) الأدواح : جمع دوحة بفتح الدال وهى الشجرة العظيمة .

(٥) سابغات : طويلة ضافية . يشبه البركة وما يعلوها من الزبد والفقاقيع بالدرع الضافى رصع بالفضة ، وخيال الورد فيها بالدم من آثار الطعنات ، وهو تشبيه جيد .

(٦) السمهرى : الرمح يشبه به القد . وبان : ذهب وفقد .

(٧) العسال : الرمح يهتز لينا . واللمى هنا : الثغر . وبان : أى ما بنيته .

يا مليـــكَ الحسنِ رِفقا بِشَجٍ   كلّمـا حاول كتمَ الشجو بان(١)
مرجَ البحرينِ فيضًا دمعُــــه   إذ رأى جفنيهِ لا يلتقيـان(٢)
جاءَ لمـا جارَ سُـلطانُ الهوى   طالبـا من عادلِ القدِّ الأمان(٣)
رُبَّ ساقٍ، وهو قاسٍ قلبُه،   عطفُــه منذُ أدارَ الكأسَ لان(٤)
أهيفٌ، ان ماس تيها ورنا،   رُحت منهُ بين سيفٍ وسـنان(٥)
كسَرَ القلبَ ، وما كانَ ألتقى   فيـــه من حين هواهُ سا كان(٦)

* * *

يا نديمى قُم وباكرها وطِبْ   هـذه الجنـة والحور الحسان(٧)
وأدِرْ لى بِنتَ كَرْمٍ عُتِّقَتْ   نُورها البـاهر يحكى البهرمان (٨)
بالنُّهى قد فعلت كاساتُها   فعلَ ابراهيمَ سلطانِ الزمانِ (٩)
أسَـدُ الهيجاء ضِرغامُ الوغى   قاصِمُ الأعداء من قاصٍ ودان(١٠)

---

(١) الشجى : الحزين والمتيم عشقا . وبان : ظهر .

(٢) مرج : خلط .

(٣) عادل القد : معتدله يقصد المحبوب .

(٤) العطف بكسر العين : الجانب . ولان عطفه : مال .

(٥) الأهيف : الرقيق الخصر . ماس : تبختر . رنا : أدام النظـر بسكون الطرف . السـنان : نصل الرمح ويطلق على الرمح ، يقصد به القدّ ، والسيف يقصد به الطرف .

(٦) يورى الى الكسرة فى النحو بدليل (التقى سا كان) .

(٧) النديم : المنادم على الشراب . والحور : النساء جميلات العيون .

(٨) بنت كرم : خمر . والبهرمان : فارسىّ نوع من الياقوت الأحمر .

(٩) النهى : جمع نُهيه بضم النون : العقل .

(١٠) الوغى والهيجاء : الحرب . والضرغام : الأسد . والوغى : الحرب .

فَهو كالشمسِ سمتَ آفاقُها وسناها كان فى كل مكان (١)

فَرعُ أصلٍ قد تسامى فى العُلا وعلا شأنا على رغمِ لشان (٢)

كَم لهُ فى السلم من مَرحَمة وكأيّن من حُنوٍّ وحَنان

يمّم اليمَّ ورِد ما تشتهى وعلى المورد يا صاح الضّمان (٣)

لم يكن فى كل بحر لؤلؤ إنما اللؤلؤُ فى بَحرِ عُمان (٤)

حلمُه الروضُ جناه يُجتنى ويُرجّى العفوَ فيه كُلُّ جان (٥)

هِمَم فوق السموات سمت ومعالٍ دونهن الصعب هان

وحلًى جلّت وجلّت غَايةً أيُجارَى مَن له سَبْقُ الرّهَان

يا عزيزاً لا يُضَاهى أبدًا عِزُّهُ يكسُو العِدَا ثوبَ الهوان

كم حروبٍ كشَفت عن ساقِها خاضَها طِرفُكَ مِطواعَ العِنان (٦)

بجيوش شمّرتْ عن ساعِدٍ ما له يومَ نِزالٍ من تَوان

هاكَ مِنّى بنتَ فكر تجتلى فى حُلًى من بديع وبيان (٧)

قد أُعيذت بشهاب ثَاقِبٍ صانَها عن كل شيطان وجان (٨)

---

(١) السنى : الضوء .

(٢) على رغم لشان : أى على رغم الشانئ : العدو المبغض .

(٣) يمم : اقصد . واليم : البحر يشبه به الكريم .

(٤) يقصر الخير على الممدوح ويمثله ببحر عمان .

(٥) جان : الجانى الآثم .

(٦) كشفت عن ساقها : حميت والطرف بكسر الطاء : الفرس .

(٧) هاك : خذ . بنت فكر : قصيدة .

(٨) الشهاب . ما يرى كأنه كوكب انقض .

وبدتْ من خـــدرها قائلةً إنَّ وصـــلِي للحبيب الآنَ آنْ

وبودى لو ألاقى حُظـــوةً منه تُكسونى جلابيب امتنان

تُدْنُوى منـــه غاياتُ المـنى وقَبولى منتهى كل الأمان

(٣) لمحمود صفوت الساعاتى : [1]

قال يعاتب بعض أصحابه ، وكان قد وعده بسعْى ولم ينجز :

يَا مَنْ إِذَا قَالَ لَمْ يَغلَطْ بِحُسْنِ وفَا طَالَ انتِظَارِى بَيْنَ اليَأْسِ وَالأَمَلِ

لِى عِنْدَكُمْ مَوْعِدٌ قَـدْ لَاحَ بَارِقُهُ بَيْنَ السَّحَابِ فَـلَمْ يُدْرَكْ وَلَمْ يَنَلِ [2]

حَتَّى مَتَى وَإِلَى كَمْ طُـولُ وَعْدِكُمُ ؟ أَمَا لَهُ أَجَلٌ قَبْلَ انقِضَا أَجَـــلِى ؟

إِنِّى أُحِبُّ بِأَنِّى اليَـــوْمَ أَمْدَحُكُمْ وَالمَدْحُ خَيْرٌ لَكُمْ لَوْ تَعْلَمُـونَ وَلِى

أَمَّلْتُ إِدْرَاكَ شَىْءٍ أَنْتَ وَاسِـطَةٌ فِيـــهِ فَلَمْ تَجْتَهِدْ كَالْوَعْدِ فِى أَمَلِى

وَقَـدْ بَخِلْتَ بِشَىْءٍ لَسْتَ غَارِمَهُ وَالبُخْلُ بِالجَاهِ أَقْصَى غَايَةِ البَخَلِ [3]

(٤) قال عبد الله باشا فكرى يشكر الخديو توفيق باشا على إجابة ملتمس له [4] :

بِعَـلِىِّ مَجْـدِكَ تَفْخَرُ العَلْيَـاءُ وبِجُودِ كَفِّكَ تَقْتَـدِى الأَنْوَاءُ [5]

وَإِلَيْكَ يَنْتَسِبُ الكَمَالُ ويَنْتَهِى كَرَمُ الخِلَالِ ويَنْتَمِى الكُرَمَاءُ [6]

---

(١) هو ابن مصطفى أغا نشأ بمصر واتصـــل بشريف مكة ثم عاد الى مصر وخدم بخاصة سـعيد باشا وتوفى سنة ١٢٩٨ هـ . وشعره سهل سلس كثير الفنون .

(٢) يريد بالموعد الشىء الموعود به . (٣) البخل : بفتحتين البخل .

(٤) هو الكاتب الشاعر الأديب عبـد الله فكرى بن محمـد بليغ نشأ بالأزهر وأجاد العربية والتركية وشغل مناصب عدة حتى أفضت اليه الوزارة . وكانت كتابته نموذج الكتابات الديوانية وتوفى سنة ١٣٠٧ هـ .

(٥) الأنواء : الأمطار ، واحدها نوء بفتح النون وسكون الواو . (٦) ينتمى : ينتسب .

وَعَلَيْكَ مِن نُورِ الإِلٰهِ جَلَالَةٌ تَعْنُو لَدَيْكَ لِعِزِّهَا العُظَمَاءُ [١]

وَمَحَبَّةٌ غَدَتِ القُلُوبُ بِأَسْرِهَا أَسْرَى لَهَا وانْقَادَتِ الأَهْوَاءُ [٢]

فَلْتَفْخَرِ الدُّنْيَا بِمَجْدِكَ وَالعُلَا وَالمُلْكُ والوُزَرَاءُ والكُبَرَاءُ

مَوْلَايَ دَعْوَةَ عَبْدِ رِقٍّ مُخْلِصٍ ثَاءٍ يُقَرِّبُهُ إِلَيْكَ وَلَاءُ

أَوْلَيْتَنِي مِن جُودِ كَفِّكَ نِعْمَةً غَرَّاءَ كَانَتْ قَبْلَهَا آلَاءُ [٣]

فَلَأَشْكُرَنَّ نَدَاكَ مَا صَحِبَتْ يَدِى قَلَمًا وَصَاحَبَ مَنْطِقِى إِصْغَاءُ [٤]

✦ ✦ ✦

وقال يتغزل :

وَعَارِفٍ بِفُنُونِ الطِّبِّ تَجْرِبَةً وَخِبْرَةٍ لَيْسَ يَخْفَى عَنْهُ ما الْتَبَسَا

وَافَى لِيَبْلُوَ مَا أَشْكُو فَجَسَّ يَدِى حِينًا وَأَرْسَلَهَا حِينًا وَقَدْ عَبَسَا [٥]

وَقَالَ: دَاءُ هَوًى يَأْبَى الشِّفَاءَ فَإِنْ أَهْمَلْتَهُ زَادَ أَوْ دَاوَيْتَهُ نُكِسَا [٦]

(٥) وقال نجيب الحدّاد يمدح مصر والمصريين : [٧]

يَا أَرْضَ مِصْرَ تَحِيَّةٌ وَسَلَامُ وَسَقَاكِ مِن صَوْبِ الغَمَامِ رُكَامُ [٨]

بَلْ أَنْتِ غَانِيَةٌ عَنِ المَطَرِ الَّذِى يَهْمِى؛ فَانَّ النِّيلَ فِيكِ غَمَامُ [٩]

---

(١) تعنو : تذل وتخضع . (٢) الأهواء : الميول .

(٣) كانت هنا تامة : والآلاء النعم . (٤) الندى : الجود والعطاء .

(٥) يبلو : يختبر . وما أشكو ما أحد من العلة . وعبس عبوسا : قطب وجهه .

(٦) نكس المريض بالبناء للجهول وانتكس بالبناء للعلوم عاوده المرض بعد الشفاء .

(٧) نشأ الشيخ نجيب الحدّاد نشأة أدبية فصار شاعرا رقيقا كاتبا بليغا له روايات شتى تأليفا وترجمة توفى سنة ١٨٩٩ م . (٨) صوب الغمام : نزوله . والغمام : السحاب . والركام : بضم الراء المتراكب بعضه فوق بعض . (٩) غانية : غنية . ويهمى : يسيل .

نَهْـرٌ تَبَارَكَ مَاؤُهُ فَتَكَادُ أَنْ ... تُمْحَى بِطُهْرِ مِيَاهِـهِ الآثَامُ

وَيَكَادُ لَوْ رَشَفَ العَلِيلُ زُلَالَهُ ... يُشْفَى العَلِيلُ وَتَذْهَبُ الأَسْقَامُ (١)

يُحْيِي البِلَادَ بِمَائِهِ ؛ فكأنه الرُّ ... وحُ الَّتِي تَحْيَا بِهَا الأَجْسَامُ

إِنْ شَابَهُ كَدَرٌ فَفِي أَكْدَارِهِ ... صَفْوٌ وَفِي فَيَضَانِهِ إِنْعَامُ (٢)

* * *

أَرْضٌ إِذَا لَمْ يَعْلُ فِي أَرْجَائِهَا ... عَلَمٌ فَإِنَّ كِرَامَهَا أَعْلَامُ (٣)

لَبِسَتْ من المَجْدِ التَّلِيدِ مَطَارِفًا ... وَلَهَا مِنَ المَجْدِ الطَّرِيفِ وِسَامُ (٤)

وَتَعَانَقَتْ والفَخْرَ من قِدَمٍ كَمَا ... قَدْ عَانَقَتْ أَلِفَ الكِتَابَةِ لَامُ

مَجْدٌ بِهِ هَرِمَ الزَّمَانُ وَلَمْ يَزَلْ ... غَضًّا وَقَدْ شَهِدَتْ بِهِ الأَهْرَامُ (٥)

هَرَمَانِ زَانَا صَدْرَ مِصْرَ فَأَشْبَهَا ... نَهْدَيْنِ زَانَهُمَا سَنًى وَتَمَامُ (٦)

نَهْدَانِ كَانَ الدَّهْرُ يَرْضَعُ مِنْهُمَا ... إِنَّ الزَّمَانَ لِمَجْدِ مِصْرَ غُلَامُ

أَرْضُ الفَرَاعِنَةِ الَّذِينَ بَنَوْا لَهَا ... فِي الدَّهْرِ مَا لا تَبْلُغُ الأَوْهَامُ

---

(١) الماء الزلال بضم الزاى : العذب الصافى .

(٢) شابه : خالطه . ويريد بأكداره ما يحمله من الغرين إبان (الطمى) الفيضان فان فيه زيادة فى خصب الأرض ، وهذا ما صرعته بالصفو ليقابل به الأكدار .

(٣) العلم بفتحتين : الجبل الطويل . والأعلام : جمع علم بفتحتين أيضا وهو سيد القوم . يريد أن مصر اذا خلت أرضها من الجبال العظيمة فان فيها السادة العظماء .

(٤) التليد : القديم . والمطارف : جمع مطرف بكسر الميم وفتح الراء الثوب من الحرير . والطريف : الجـــديد .

(٥) الغض : الناضر .

(٦) النهد : بفتح النون الثدى وجمعه نهود . والسنى : بفتح السين الضوء . والتمام : بتثليث التاء الكمال .

بُنْيَانَ عِزٍّ فِي السُّطُورِ مُخَلَّدٍ وَبِنَاءَ مَجْدٍ فِي الصُّخُورِ يُقَامُ
لَا بِدْعَ إِنْ بَقِيَتْ مَآثِرُهم فَقَدْ بَقِيَتْ جُسُومُهُمُ وَهُنَّ رِمَامُ (١)

(٦) قال مصطفى بك نجيب(٢) يشكر بعض الأدباء على ساعة أهداها إليه :

مَتَّعَنَا أَخٌ كَرِيمٌ حَسَبَا وَحَاتِمِيٌّ مَحْتِدًا وَنَسَبَا
بِسَاعَةٍ مِن خَيْرِ مَا قَدْ جَلَبَا مَا إِنْ رَأَتْ عَيْنٌ لَهَا مُضْطَرَبَا
تَمْشِي مَعَ الزَّمَانِ سَيْرًا عَجَبَا لَا تُخْطِئُ الوَقْتَ وَلَوْ تَذَبْذَبَا
كَأَنَّ بِالنَّجْمِ لَهَا مُنْتَسَبَا وَبِذُكَاءٍ لُحْمَةً وَنَسَبَا (٣)
حَتَّى إِذَا وَقْتُ الزَّوَالِ وَجَبَا وَرَامَتِ الشَّمْسُ لَهَا مُنْقَلَبَا (٤)
رَأَيْتَ فِيهَا العَقْرَبَيْنِ عَقْرَبَا

وكتب على يد مروحة :

إِذَا يَدٌ لَعِبَتْ بِي قَابَلْتُهَا بِهَوَاهَا
مَزَجْتُ لُطْفَ نَسِيمِي بِلُطْفِ رَيَّا مُنَاهَا (٥)

---

(١) رمام : بالية .

(٢) هو ابن محمد نجيب أديب ادارى وكاتب شاعر مقل ، صاحب كتاب حماة الاسلام ومقالات أحلام الأحلام توفى سنة ١٣٢٠ هـ .

(٣) ذكاء بضم الذال : الشمس . واللحمة بضم اللام : القرابة .

(٤) وقت الزوال : الظهر . ويريد بقوله وجب : حل .

(٥) الريا : بفتح الراء وتشديد الياء : الريح الطيبة .

فَزَادَهَا الرِّيحُ وَجْــدًا   وَزَادَهَا الوَجْـدُ لَهَـا
جَاءَتْ لِتَـبْرُدَ شَــوْقًا   فَزِدْتُ مِنْهَـا جَــوَاهَا

(٧) كتب السيد على أبو النصر إلى بعض أصحابه[١] :

حُرُوفُ وُدِّى وَسَائِلْ   وَالدَّمْـعُ جَارٍ وَسَائِلْ[٢]
وَلَوْعَــتِى وَشُجُــونِى   تَضِيقُ عَنْهَـا الرَّسَائِلْ[٣]
لِى فِى هَــوَاكُمْ غَرَامٌ   طُولَ المَدَى غَيْرُ زَائِلْ
لَمَّا هَجَــرْتُمْ وَبَانَتْ   صَـبَابَتِى لِلعَــوَاذِلْ[٤]
دَخَلْتُ دَارَ اصْطِبَارِى   خَرَجْتُ مِنْ غَيْرِ طَائِلْ[٥]
فَقُلْتُ لِلعَيْنِ : جُودِى   بِالْمُرْسَلَاتِ الهَوَامِـلْ[٦]
وَقَــدْ أَمَرْتُ يَرَاعِى   بِخَــطِّ مَا أَنَا قَائِــلْ
وَحُبُّــكُمْ فِى ضَمِــيرِى   سِــوَاهُ زُورٌ وَبَاطِــلْ

(١) أصله من منفلوط بمديرية أســيوط تعلم بالأزهر واتصل بالبيت الخديوى من عهد محمد على باشا الكبير الى توفيق باشا ، وقد توفى سنة ١٢٩٨ هـ . وله شعر متوسط وزجل بديع .
(٢) وسائل الأولى : جمع وسيلة ، أما الثانية فاسم فاعل من سال يسيل . وهذا من الجناس التام .
(٣) اللوعة : حرقة الهوى . والشجون : جمع شجن بفتحتين وهو الهم والحزن .
(٤) الصبابة : شدة العشق .
(٥) جعل للاصطبار دارا وهو غير مستحسن ، وإنما الذى يجشمه هذا هو التوسل الى الاتيان بالجملة السائرة « خرجت من غير طائل » .
(٦) المرسلات : يريد بها الدموع الجاريات . والهوامل : الفائضات بالدموع .

وَمَــدْحُكُمْ كُلَّ وَقْتٍ فَرَائِضُ لَا نَوَافِــلْ (١)
وَإِنْ سَأَلْتُمْ فَإِنِّى بِشُــكْرِكُمْ لَا أُمَاطِلْ (٢)
أَوَاخِرُ الشَّــوْقِ عِنْدِى إِلَى لِقَــاكُمْ أَوَائِــلْ

(٨) قال المرحوم الشيخ على الليثى وقد زارته سائحة أمريكية وهو فى ضيعته فى الصف (٣) :

وَزَائِرَةٍ زَارَتْ عَلَى غَــيْرِ مَــوْعِدٍ غَرِيبَــةِ دَارٍ تَنْتَحِى كُلَّ مَــوْرِدِ (٤)
تَبَدَّى لَنَــا وَقْتَ الظَّهِــيرَةِ نُورُهَا وَنَحْنُ عَلَى رَوْضٍ زَهَا بِالتَّــوَرُّدِ
مِنَ اللَّاءِ لَمْ يَدْخُلْنَ مِصْرَ لِحَاجَــةٍ سِوَى رُؤْيَةِ الآثَارِ فى كُلِّ مَشْهَدِ
لَهَــا فى أَمِيرِيكَا انْتِسَابٌ وَدَارُهَا بِبُسْــتِنَ إِذْ تُعْزَى لِمَسْــقَطِ مَوْلِدِ (٥)
تَحَيَّتْ وَقَالَتْ والمُــتَرْجِمُ بينَنَــا لَنَــا فَأْذَنُوا نَحْظَى بِرَوضِكُمُ النَّدِى (٦)
فَقُلْنَــا وَنَــوْرُ الإِشْرِ أَزْهَرَ بَيْنَنَــا عَلَى الرَّحْبِ وَالإِقْبَالِ مَشْكُورَةَ الْيَدِ (٧)

---

(١) النوافل : جمع نافلة وهى ما يفعله الانسان طلبا للثواب وإن كان غير مفروض عليــه . وأكثر ما تستعمل فى الصلاة .

(٢) أماطل : أتراخى وأسوّف .

(٣) ولد حوالى سنة ١٢٣٠ هـ . ونبغ فى الأدب والشعر والفكاهة واتصل بالمغفور له اسماعيل باشا وقد توفى سنة ١٣١٣ هـ . وكان رقيق الشعر غزير الأدب .

(٤) يريد بقوله تنتحى تقصد . ويريد بكل مورد كل مكان .

(٥) بستن : ولاية ومدينة فى أمريكا . وتعزى بسكون العين وفتح الزاى : تنسب .

(٦) الندى : الذى بلله المطر .

(٧) النور : بفتح النون الزهر . واليد : النعمة .

وَدَارَتْ أَحادِيثُ التَّسَاؤُلِ بَيْنَنَـا ... فَجَاءَت بِدُرٍّ مِن حَدِيثٍ مُنَضَّـدِ (١)

* * *

وَلَمَّـا رَأَتْ شَمْسَ النَّهَارِ تَأَزَّرَتْ ... بِأَصْـفَرَ فِي بُرْدِ الأَصِـيلِ المُجَسَّدِ (٢)

دَعَتْنَا لِمَرْساهَا وَكَانَ رُكُوبُهَـا ... ذُرَى جَمَـلٍ رَامَتْهُ عِنْدَ التَّزَوُّدِ (٣)

* * *

عَنِ البَحْرِ حَدَّثْ إِذْ وَرَدْنَا وَقَدْ غَدَا ... بِصَفْوٍ يُصَافِينَا فَيَا طِيبَ مَـوْرِدِ

سَـفِينَتُنَا تَعْـلُو عَلَى فَلَكِ السَّمَا ... بِمَـا حَلَّ فِيهَا مِنْ شُمُوسٍ وَفَرْقَدِ (٤)

هُنَاكَ مُرَادُ العَيْنِ وَالسَّمْعِ وَالهَوَى ... مَعَ العِفَّةِ العَلْيَاءِ فِي كُلِّ مَقْصِـدِ

وَقُمْنَا وَوَدَّعْنَا القُلُوبَ فَهَلْ دَرَتْ ... بِمَـا نَابَنَـا عند الوداعِ المُمَهَّـدِ (٥)

وَلَوْلَا اللِّقَا فِي مِصْرَ مَا انْطَفَأَ الجوى ... وَهَـذَا الَّذِي أَبْقَى تَمَامَ التَّجَلُّدِ (٦)

---

(١) المنضد : المنتظم .

(٢) تأزرت : لبست الأزار وهو كل ماستر . والبرد : بضم الباء وسكون الراء الثوب . والأصيل : وقت بين العصر والمغرب . وفيه يصفر لون الشمس .

(٣) الذرى : بضم الذال وفتح الراء ، جمع ذروة وهى أعلى الشىء . وأصل التزود اتخاذ الزاد عند سفر ؛ ولكنه يريد به هنا الارتحال .

(٤) الفرقد : نجم قريب من القطب الشمالى ، وهما فرقدان يريدها ومن كانوا معها ممن أشار اليهم بما حذفناه من القصيدة .

(٥) يريد بالممهد المتهيأ .

(٦) الجوى : حرقة العشق .

(٩) وقال البارودى يصف الفراق [١] :

مَحَا الْبَيْنُ مَا أَبْقَتْ عُيُونُ الْمَهَا مِنِّى ... وَشِبْتُ وَلَمْ أَقْضِ اللُّبَانَةَ من سِنِّى [٢]

عَنَاءٌ وَيَأْسٌ وَاشْتِيَاقٌ وَغُرْبَةٌ ... أَلَا شَدَّ مَا أَلْقَاهُ فِي الدَّهْرِ مِن غَبْنِ ! [٣]

فَإِنْ أَكُ فَارَقْتُ الدِّيَارَ فَلِي بِهَا ... فُؤَادٌ أَضَلَّتْهُ عُيُونُ الْمَهَا عَنِّى

بَعَثْتُ بِهِ يَوْمَ النَّوَى إِثْرَ لَحْظَةٍ ... فَأَوْقَعَهُ الْمِقْدَارُ فِي شَرَكِ الْحُسْنِ [٤]

فَهَلْ مِن فَتًى فِي الدَّهْرِ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ... فَلَيْسَ كِلَانَا عَن أَخِيهِ بِمُسْتَغْنِ

وَلَمَّا وَقَفْنَا لِلْوَدَاعِ وَأَسْبَلَتْ ... مَدَامِعُنَا فَوْقَ التَّرَائِبِ كَالْمُزْنِ [٥]

أَهَبْتُ بِصَبْرِى أَنْ يَعُودَ فَعَزَّنِى ... وَنَادَيْتُ حِلْمِى أَنْ يَثُوبَ، فَلَمْ يُغْنِ [٦]

وَمَا هِيَ إِلَّا خَطْرَةٌ ، ثُمَّ أَقْلَعَتْ ... بِنَا عَنْ شُطُوطِ الْحَيِّ أَجْنِحَةُ السُّفْنِ [٧]

فَكَمْ مُهْجَةٍ مِن زَفْرَةِ الْوَجْدِ فِي لَظًى ... وَكَمْ مُقْلَةٍ مِن غَزْرَةِ الدَّمْعِ فِي دَجْنِ [٨]

---

(١) هو محمود باشا سامى البارودى ابن حسن حسنى بك البارودى نشأ بالمدرسة الحربية وكان عصاميا فى الشعر لم يتعلق شاعر من معاصريه بغباره . وله مواقف مشهورة فى الحروب وفى الثورة العرابية . يعدّ شعره صورة مقاربة لفحول المتقدمين، وقد توفى سنة ١٣٢٢ هـ .

(٢) البين : البعد والفرقة . والمها : جمع مهاة وهى البقرة الوحشية يضرب بها المثل فى جمال العيون . واللبانة الحاجة فى غير فاقة . ولبانة الشباب : ما يقتضيه من لهو ومراح .

(٣) ألا شدّ : ما أشدّ . والغبن بفتح الغين : يريد به الظلم .

(٤) النوى : الفراق . وإثر لحظة عقب لحظة . واللحظة : النظرة بمؤخر العين . والمقدار : القدر . والشرك : بفتحتين حبائل الصيد .

(٥) أسبلت : أرسلت . والترائب : جمع تريبة وهى عظمة الصدر، والمراد بها هنا الصدر . والمزن بضم الميم وسكون الزاى : المطر .

(٦) أهاب به : دعاه . وعزنى : غلبنى . ويثوب : يرجع .

(٧) الحى : منازل القوم .

(٨) المهجة : دم القلب . واللظى : لهب النار . والمقلة : بضم الميم العين . والدجن : الظلمة .

وَمَا كُنتُ جَرَّبْتُ النَّوى قَبْلَ هَذِهِ ... فَلَمَّا دَهَتْنِي كِدْتُ أَقْضِي مِنَ الحُزْنِ (١)

وَلٰكِنَّنِي رَاجَعْتُ حِلْمِي وَرَدَّنِي ... إِلَى الحَزْمِ رَأْىٌ لا يَحُومُ عَلَى أَفْنِ (٢)

وَلَوْلَا بُنَيَّاتٌ وَشَيْبٌ عَوَاطِلٌ ... لَمَا قَرَعَتْ نَفْسِي عَلَى فَائِتٍ سِنِّي (٣)

ومن قصيدة له يرثى بها زوجته وقد ماتت بمصر وهو لا يزال فى منفاه :

لَا لَوْعَتِي تَدَعُ الفُؤَادَ وَلَا يَدِي ... تَقْوَى عَلَى رَدِّ الحَبِيبِ الغَادِي (٤)

يَا دَهْرُ فِيمَ فَجَعْتَنِي بِحَلِيلَةٍ ... كَانَتْ خُلَاصَةَ عُدَّتِي وَعَتَادِي (٥)

إِنْ كُنْتَ لَمْ تَرْحَمْ ضَنَايَ لِبُعْدِهَا ... أَفَلَا رَحِمْتَ مِنَ الأَسَى أَوْلَادِي (٦)

وَمِنَ البَلِيَّةِ أَنْ يُسَامَ أَخُو الأَسَى ... رَعْيَ التَّجَلُّدِ وَهُوَ غَيْرُ جَمَادِ (٧)

هَيْهَاتَ بَعْدَكِ أَنْ تَقَرَّ جَوَانِحِي ... أَسَفًا لِبُعْدِكِ أَوْ يَلِينَ مِهَادِي

وَلَهِي عَلَيْكِ مُصَاحِبٌ لِمَسِيرَتِي ... وَالدَّمْعُ فِيكِ مُلَازِمٌ لِوِسَادِي (٨)

---

(١) قضى الرجل يقضى من باب ضرب : مات .

(٢) الأفن : سوء الرأى .

(٣) البنيات : بضم الباء وفتح النون وتشديد الياء : جمع بنية وهى البنت الصغيرة . والمرء يقرع سنه فى حالة الندم . والفائت مالم يدركه الانسان من خير ونحوه . يريد أنه لولا بناته الصغار، ولولا من يعولهم من أهله المسنين الذين لا كسب لهم ماندم على شىء .

(٤) غدا يغدو فهو غاد ذهب فى الصباح . والمراد هنا مجرد الذهاب من الدنيا .

(٥) عتاد المرء بفتح العين ماهيئ له . فهو مثل العدة . يريد أنها كانت سنده فى الحياة وعونه .

(٦) الضنا : الضعف والسقم . والأسى : الحزن .

(٧) رعى التجلد : مراعاته .

(٨) المسيرة : المسير .

فَإِذَا انْتَبَهْتُ فَأَنْتِ أَوَّلُ ذِكْرَتِى وَإِذَا أَوَيْتُ فَأَنْتِ آخِرُ زَادِى (١)

وقال يصف الحرب :

وَلَمَّا تَدَاعَى الْقَوْمُ وَاشْتَبَكَ الْقَنَا وَدَارَتْ، كَمَا تَهْوَى، عَلَى قُطْبِهَا الْحَرْبُ (٢)

وَزُيِّنَ لِلنَّاسِ الْفِرَارُ مِنَ الرَّدَى وَمَاجَتْ صُدُورُ الْخَيْلِ وَالْتَهَبَ الضَّرْبُ (٣)

وَدَارَتْ بِنَا الأَرْضُ الْفَضَاءُ كَأَنَّنَا سُقِينَا بِكَأْسٍ لَا يُفِيقُ لَهَا شَرْبُ (٤)

صَبَرْتُ لَهَا حَتَّى تَجَلَّتْ سَمَاؤُهَا وَإِنِّى صَبُورٌ إِنْ أَلَمَّ بِىَ الْخَطْبُ

(١٠) قال حفنى بك ناصف (٥) يتحسر على ضياع علمه بموته :

أَتَقْضِى مَعِى إِنْ حَانَ حَيْنِى تَجَارِبِى وَمَا نِلْتُهَا إِلَّا بِطُولِ عَنَائِى (٦)

وَأَبْذُلُ جُهْدِى فِى اكْتِسَابِ مَعَارِفٍ وَيَفْنَى الَّذِى حَصَّلْتُهُ بِفَنَائِى؟

وَيَحْزُنُنِى أَلَّا أَرَى لِىَ حِيلَةً لِإِعْطَائِهَا مَنْ يَسْتَحِقُّ عَطَائِى

إِذَا وَرَّثَ الْجُهَّالُ أَبْنَاءَهُمْ غِنًى وَجَاهًا فَمَا أَشْقَى بَنِى الْعُلَمَاءِ!

---

(١) أويت : يريد الدخول فى الفراش لطلب النوم . ومعنى هذا البيت شبيه بقول الشاعر :

آخر شىء أنت فى كل هجعة وأول شىء أنت عند هبوبى

على أن بيت البارودى أسلس وأبين . وما أبدع قوله « فأنت آخر زادى » .

(٢) تداعى القوم : دعا بعضهم بعضا الى القتال . والقنا : جمع قناة وهى الرمح . وشبه الحرب بالرحا فى دورانها على قطبها . وكما تهوى : لا تبالى من تقتل ولا من تهزم .

(٣) الردى : الموت .

(٤) الشرب بفتح الشين : الشاربون .

(٥) هو القاضى الفاضل والشاعر الكاتب محمد حفنى ناصف ، نشأ يتيما فقيرا ودرس بالأزهر ودار العلوم ، وشغل عدة مناصب فى القضاء والتعليم ؛ فكان مثلا جميلا للنزاهة والكفاية وقد توفى سنة ١٩١٩ م وكان فكها عالى الأسلوب شعرا ونثرا له فضل كبير فى النهضة الحديثة فى العلم وفى الأدب .

(٦) تقضى : تموت . والحين بفتح الحاء : الهلاك .

ومن قصيدة له قالها فى حفلة للجمعية الخيرية الاسلامية وقد مضى على تأسيسها خمس وعشرون سنة :

اليَوْمَ أَوْفَتْ عَلَى خَمْسٍ وعِشْرِينَا	فَاسْتَقْبِلُوا عِيدَهَا الفِضى مَيْمُونَا (١)
وَهَنِّئُوا فُقَرَاءَ المُسْلِمِينَ بِهِ	وَصَافِحُوا بِيَدِ البِشْرِ المَسَاكِينَا
وَعَلِّلُوهُمْ بِآمَالٍ مُفَرِّحَةٍ	فَطَالَمَا سَرَّتِ الآمَالُ مَحْزُونَا (٢)
لَوْلَا الأَمَانِيُّ فَاضَتْ رُوحُهُمْ جَزَعًا	مِنَ الهُمُومِ، وَأَمْسَى عَيْشُهُمْ هُونَا (٣)
وَالْيَأْسُ يُحْدِثُ فِى أَعْضَاءِ صَاحِبِهِ	ضَعْفًا، وَيُورِثُ أَهْلَ العَزْمِ تَوْهِينَا (٤)
وَيُخْرِسُ البُلْبُلَ الصَّدَّاحَ سَوْرَتُهُ	وَتَسْلُبُ الذَّلِقَ المِنْطِيقَ تَبْيِينَا (٥)
خَلُّوا سَوَاعِدَهُمْ تَمْتَدُّ نَاشِطَةً	زَرْعًا وَصُنْعًا وَتَطْرِيقًا وَتَعْدِينَا (٦)
اللهَ فِيهِمْ، فَخَيْرُ الأَرْضِ فِى يَدِهِمْ	يُبْدُونَ مِنْ سِرِّهَا مَا كَانَ مَكْنُونَا (٧)
وَهُمْ قِيَامٌ عَلَى الأَنْعَامِ سَائِمَةً	وَهُمْ طُهَاةٌ وَنَسَّاجٌ وَبَانُونَا (٨)
لَهُمْ يَدٌ كُلَّ يَوْمٍ فِى مَرَافِقِنَا	فَلْتَجْرِ مِنْ فَوْقِ أَيْدِيهِمْ أَيَادِينَا (٩)
أَنْتُمْ خَلَائِفُهُ فِى الأَرْضِ أَلْزَمَكُمْ	أَنْ تَعْمُرُوهَا وَتَفْتَنُّوا الأَفَانِينَا (١٠)

(١) أوفت : أشرفت . والميمون : المبارك . (٢) علله بالشىء : شغله به وألهاه .

(٣) هونا : حقيرا . (٤) توهينا : إضعافا .

(٥) سورته : حدته وسطوته . والذلق بكسر اللام : الفصيح .

(٦) طرق الحديد تطريقا : مدّده ورققه . وعدن الحجر : قلعه . واستعمال التعدين فى صناعة المعادن مولد . (٧) المراد بسر الأرض ما يخرج من ألوان النبات .

(٨) قيام : قائمون . وسائمة : راعية . (٩) أياديا : نعمنا .

(١٠) تفتنوا : تتفننوا . والأفانين : الأنواع واحدتها أفنونة بضم الهمزة . يريد الابداع فى تعمير الأرض بكل ما أوتوا من ذكاء وجهد .

وَلَنْ تَنَالُوا نَصِيبًا مِن خِلَافَتِــهِ إِلَّا بِأَنْ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّــونَا[1]
فَبَـادِرُوا بِزَكَاةِ المَـالِ إِنَّ بِهَـا لِلنَّفْسِ وَالمَـالِ تَطْمِينًا وَتَحْصِينًا[2]

(١١) وقال اسماعيل باشا صبرى[3] يرثى (عمر) ابن المرحوم الشيخ على يوسف وقد مات صغيرا :

يا مَالِئَ العَيْنِ نُورًا والفُؤَادِ هَوًى والبَيْتِ أُنْسًا تَمَهَّـلْ أَيُّها القَمَـــرُ
لَا تُخْلِ أُفْقَكَ يَخْلُفْـكَ الظَّلَامُ بِهِ وَالْزَمْ مَكَانَكَ لا يَحْلُلْ بِهِ الْكَدَرُ[4]
فِي الحَيِّ قَلْبَـانِ بَاتَا ، يَانَعِيمَهُمَا ، وفِيهِمَا إِذْ قَضَيْتَ النَّارُ تَسْـتَعِرُ[5]
وَأَعْيُنٌ أَرْبَعٌ تَبْكِي عَلَيْكَ أَسًى ومِن بُكَاءِ الثَّكَالَى السَّـيْلُ وَالمَطَرُ[6]
قَدْ كُنتَ رَيْحَانَةً فِي البَيْتِ وَاحِدَةً يَرُوحُ فِيهِ ويَغْـدُو نَفْحُها العَطِرُ[7]

---

(١) يشير الى قوله تعالى : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » .

(٢) تحصين النفس حمايتها ووقايتها كأنه جعل لها حصنا .

(٣) ولد المرحوم اسماعيل باشا صبرى سنة ١٨٥٤ م ودرس الحقوق والآداب بمصر وفرنسة ، وشغل مناصب سامية آخرها وكالة الحقانية وقد توفى سنة ١٩٢٣ م ويعدّ صبرى من أئمة الشعر الناهضين به فى رقة وجدّة وبراعة مع إفادة من الأدب الغربى واتقان للادب العربى .

(٤) لا يحلل : لا يحل ، وقد فك فى موضع الادغام لضرورة الشعر .

(٥) الحى : منازل القوم . ويريد به بيت أبيه . والقلبان : قلبا والديه ، وكان نعيمهما حيا . وقضى الرجل : مات .

(٦) الأسى : الحزن . والثكالى : جمع ثاكل وهو الذى يفقد ولده . ومن بكاء الخ : أى منه ما يشبه السيل والمطر فى تدفقه وانهماره .

(٧) ريحانة واحدة : لأنه مات ولم يكن لكلا والديه غيره . ونفح الطيب نفحا : انتشرت رائحته . والعطر بفتح العين وكسر الطاء الطيب الرائحة .

مَا كَانَ عَيْشُكَ فى الأَحْيَاءِ مُخْتَصَرًا ... إِلَّا كَمَا عَاشَ فى أَكْمَامِهِ الزَّهَرُ

فَارْحَلْ تُشَيِّعْكَ الأَرْوَاحُ جازِعَةً ... فِى ذِمَّةِ اللهِ بَعْدَ القَبْرِ يَا عُمَرُ

ومن قوله يحمّس المصريين على لسان فرعون :

لَا القَوْمُ قَوْمِى وَلَا الأَعْوَانُ أَعْوَانِى ... إِذَا وَنَى يَوْمَ تَحْصِيلِ العُلَا وَانِى[1]

وَلَسْتُ إِنْ لَمْ تُؤَيِّدْنِى فَرَاعِنَةٌ ... مِنْكُمْ بِفِرْعَوْنَ عَالِى العَرْشِ والشَّانِ[2]

* * *

لَا تَقْرَبُوا النِّيلَ إِنْ لَمْ تَعْمَلُوا عَمَلًا ... فَمَاؤُهُ العَذْبُ لَمْ يُخْلَقْ لِكَسْلَانِ

وقال فى مسامحة الصديق :

إِذَا خَانَنِى خِلٌّ قَدِيمٌ وَعَقَّنِى ... وَفَوَّقْتُ يَوْمًا فى مَقَاتِلِهِ سَهْمِى[3]

تَعَرَّضَ طَيْفُ الوُدِّ بَيْنِى وَبَيْنَهُ ... فَكَسَّرَ سَهْمِى، فَانْثَنَيْتُ وَلَمْ أَرْمِ

(ب) النــــثر

(١) كتب الشيخ حسن العطار

لَمَّا نَزَحْتُ عَنِ الأَوْطَانِ[4]، وَتَرَامَتْ بِىَ البُلْدَانُ، وَفَارَقْتُ الإِخْوَانَ وَالخُلَّانَ، وَتَبَاعَدْتُ عَنِ السَّكَنِ وَالجِيرَانِ، أَخَذْتُ أَنْتَقِلُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ ، وَأَتَقَلَّبُ فِى السَّفَرِ

(١) ونى ينى فهو وان : أى ضعف وفتر .

(٢) يريد بالفراعنة من أهــل مصر الذائدين عن حمى الوطن المشمرين للاصلاح . فاذا لم يكونوا كذلك فقد بددوا ميراثه وأضاعوا ذكره .

(٣) عقه عصاه : ولم يبر به . وفوق السهم بتشديد الواو المفتوحة جعل الوتر فى فوقه عند الرمى ، والفوق بضم الفاء : هو رأس السهم . يريد أنه اذا سدد الى مقاتله السهم كناية عن ايذائه والكيد له .

(٤) نزح عن الأوطان : فارقها وبعد عنها .

مِن سُرُورٍ إلى نَكَد، أَجُوبُ أَرْضًا بَعْدَ أَرْض، بَيْنَ رَفْع وَخَفْض، وَتَرْحَالٍ وَحَط، وَضِيقٍ وَبَسْط، حَتَّى لَاحَ لِي وَجْهُ الرَّجَاء بَعْدَ القُنُوط، وَأَنَخْتُ(1) بِبَلْدَةِ أُسْيُوط.

فَشَاهَدْتُ أَحْسَنَ بَلَد، بِهَا يَلْهُو الوَالِدُ عَنِ الوَلَد:

مَنْزِلٌ فَسِيحٌ، وَهَوَاءٌ صَحِيح. فَلَمَّا نَظَرْتُ الى ذٰلِكَ الحُسْن، ذَهَبَ عَنِّي مَا أَجِدُهُ من الحُزْن. وَأَنَخْتُ الرَّحْلَ(2) مُجِلًا، وَقُلْتُ مُرْتَجِلا:

سَقْيًا لِأُسْيُوطَ ذَاتِ الظِّلِّ وَالشَّجَرِ وَمَرْتَعِ اللَّهْوِ وَاللَّذَاتِ وَالزَّهَرِ(3)
مَنَازِلٌ بِصُنُوفِ العَيْشِ عَامِرَةٌ يَلْهُو النَّدِيمُ بِهَا فِي مشتهى العطر

فَأَلْقَيْتُ بِهَا عَصَا التَّسْيَار، وَتَبَوَّأْتُهَا(4) خَيْرَ دَار.

(٢) رفاعة بك رافع الطهطاوى(5)

من كلام له فى حب الوطن:

إِنَّ حُبَّ الوَطَنِ مِنَ الإِيمَانِ، وَمِن طَبْعِ الأَحْرَارِ إِحْرَازُ الحَنِينِ إِلَى الأَوْطَانِ. وَمَوْلِدُ الانْسَانِ عَلَى الدَّوَامِ مَحْبُوبٌ، وَمَنْشَؤُهُ مَأْلُوفٌ لَهُ وَمَرْغُوبٌ. وَلِأَرْضِكَ

(١) أناخ الجمل: بركه لينزل عنه. والمراد هنا حلوله بأسيوط.

(٢) الرحل بفتح الراء وسكون الحاء: ما يوضع على ظهر البعير كالسرج. وأطلقه هنا على البعير. والمراد على كل حال باناخة الرحل نزوله بذلك البلد.

(٣) العيش: الحياة. ويريد بصنوف العيش أسباب متاع الحياة.

(٤) تبوأ الدار: أقام بها.

(٥) ولد بطهطا مدينة بسوهاج وربى بالأزهر وفرنسة وشغل مناصب تعليمية وسواها وألف عدة كتب. وهو على الجملة من أول بناة النهضة الحديثة فى العلم والأدب. وتوفى سنة ١٢٩٠ هـ.

حُرْمَةُ وَطَنِهَا، كَمَا لِوَالِدَتِكَ حَقُّ لَبَنِهَا . وَالْكَرِيمُ لَا يَجْفُو أَرْضًا بِهَا قَوَابِلُهُ (١) ، وَلَا يَنْسَى دَارًا فِيهَا قَبَائِلُهُ . فَإِنِّي وَإِنْ أَنْبَتَتْنِي الْمَحْرُوسَةُ نَعَمًا، وَرَفَعَتْ لِي بَيْنَ أَمْثَالِي عَلَمًا (٢) . وَكَانَتْ أُمَّ الْوَطَنِ الْعَامِّ، وَوَلِيَّةَ الْآلَاءِ وَالْانْعَام . وَأُحِبُّهَا حُبًّا جَمًّا، لِأَنَّهَا وَلِيَّةُ النُّعْمَى. وَقَضَيْتُ فِيهَا الْأَرْبَعِينَ مُجَاوِرًا « كِرَامَ السَّجَايَا وَالْبُحُورَ الطَّوَامِيَا» فَلَا زِلْتُ أَتَشَوَّقُ إِلَى وَطَنِي الْخُصُوصِيِّ وَأَتَشَوَّفُ (٣) ، وَأَتَطَلَّعُ إِلَى أَخْبَارِهِ السَّارَّةِ وَأَتَعَرَّفُ . وَلَا أُسَاوِي بِطَهْطَا الْخِصْبَةِ سِوَاهَا، فِي الْقِيَامِ بِالْحُقُوقِ وَإِكْرَامِ مَثْوَاهَا .

مَنَازِلُ لَسْتُ أَهْوَى غَيْرَهَا سُقِيَتْ ... حَيًا يَعُمُّ وَخُصَّتْ بِالتَّحِيَّاتِ (٤)

وَأَمْنَحُهَا زَمَنًا بَعْدَ زَمَنِ الزِّيَارَةِ، وَأُجَدِّدُ فِيهَا مِنْ هِبَاتِ الْحُكُومَةِ الْعِمَارَةَ . وَأَبْذُلُ فِي مَحَبَّتِهَا النَّفِيسَ لِتَحْصِيلِ الْأَرَاضِي لِلزَّرْعِ وَالْغَرْسِ، وَأَفْتَخِرُ بِهَا كَمَا افْتَخَرَ عِصَامٌ بِالنَّفْسِ (٥) . وَأُنْشِدُ قَوْلَ الْحَافِظِ كَمَالِ الدِّينِ الْأُدْفُوِيِّ :

أَحِنُّ إِلَى أَرْضِ الصَّعِيدِ وَأَهْلِهِ ... وَيَزْدَادُ وَجْدِي حِينَ تَبْدُو قِبَابُهَا

وَتَذْكُرُهَا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ مُهْجَتِي ... فَتَجْرِي دُمُوعًا إِذْ يَزِيدُ الْتِهَابُهَا

---

(١) القوابل : جمع قابلة وهى المرأة التى تتلق الولد عند ولادته .

(٢) العلم بفتحتين : الراية . يريد أنها أعظمت شأنه وأكرمت محله .

(٣) تشوّف الى الشيء : تطلع اليه .

(٤) الحيا : المطر . يدعو لها بالخصب .

(٥) يشير الى قول الشاعر :

نفس عصام سودت عصاما ... وعلمتـه الكر والاقداما

وصيرته ملكا همـاما

(٣) للمعلم بطرس البستاني[1] من مقدّمة دائرة المعارف له :

« ... لَيْسَ مَنْ يُنْكِرُ أَنَّ الأُمَمَ الشَّرْقِيَّةَ قَدْ شَرَعَتْ فِي تَوْسِيعِ خُطَاهَا فِي سَبِيلِ التَّمَدُّنِ وَالارْتِقَاءِ فِي سُلَّمِ المَعَارِفِ المُؤَدِّيَةِ إِلَى مَا هُنَالِكَ . وأَنَّ المُؤَلَّفَاتِ المَعْرُوفَةَ عِنْدَ الافْرِنْجِ « بالأنْسِكْلُو بِيذيات » هِيَ مِن أَسْبَابِ المَنَافِعِ العُمُومِيَّةِ الَّتِي تَبْسُطُ أَمَامَ المُطَالِعِ كُلَّ عِلْمٍ ومَعْرِفَةٍ وَفَنٍّ وَصِنَاعَةٍ وَحِكْمَةٍ ؛ بَلْ كُلَّ مَا فِي العَالَمِ مِنَ المَطَالِبِ والمَعَارِفِ المُهِمَّةِ ، بِحَيْثُ يَسْتَغْنِي بِهَا عَنْ مِئَاتٍ مِنَ الكُتُبِ ، وَتَفْتَحُ الأَبْوَابَ لِجَمِيعِ مَا ذُكِرَ ، مَعَ سُهُولَةِ مِرَاسٍ وَقُرْبِ مَأْخَذٍ ؛ حَتَّى إِنَّ كُلَّ شَعْبٍ مُتَمَدِّنٍ قَدْ أَدْخَلَ تِلْكَ المُؤَلَّفَاتِ فِى لُغَتِه ، وَزَانَ جِيدَ مَكْتَبَتِهَا بِقَلَائِدِهَا .

وَلَمَّا كَانَ لَابُدَّ لِأَهْلِ العَرَبِيَّةِ مِنَ الحُصُولِ عَلَى ذَلِكَ لِمُنَاسَبَةِ أَحْوَالِهِمْ ، وَتَرْقِيَةِ أَسْبَابِ التَّقَدُّمِ والتَّمَدُّنِ والثَّرْوَةِ والرَّفَاهِيَةِ والعُلُومِ والمَعَارِفِ فِى رُبُوعِهِمْ ، لِكَيْ يَنْخَرِطُوا فِى سِلْكِ مَنْ نَهَجَ هَذَا المَنْهَجَ مِنْ مُعَاصِرِيهِمْ ، وَلَا سِيَّمَا بَعْدَ أَنْ كَثُرَتْ عِنْدَهُمُ المُؤَلَّفَاتُ والجَرَائِد ، وَرَأَوْا أَنَّهُمْ فِى افْتِقَارٍ الَى تَحْسِينِ كُلِّ عَمَلٍ مِن أَعْمَالِهِمْ ، لِمُجَاوَرَتِهِمِ البُلْدَانَ المُتَمَدِّنَةَ ، وَأَنَّهُمْ غَيْرُ فَائِزِينَ بِأَسْبَابِ قَطْعِ سُبُلِهَا لِإِدْرَاكِهَا وصِيَانَةِ أَنْفُسِهِمْ بِاتْقَانِ أَعْمَالِهِم مِنْ آفَةِ اقْتِبَاسِ عَادَاتٍ وَأَعْمَالٍ لَيْسُوا بِقَادِرِينَ عَلَى القِيَامِ بِسَدِّ احْتِيَاجَاتِهَا لِافْتِقَارِهِمْ الَى مَعَارِفِ هَذَا الزَّمَانِ ، وَأَسْبَابِ إِتْقَانِ زِرَاعَتِهِ وَصِنَاعَتِهِ وَتِجَارَتِهِ ؛ وَهَلُمَّ جرًّا مِمَّا هُوَ مِنْ أَسْبَابِ النَّجَاحِ والثَّرْوَةِ — خَطَرَ لَنَا أَنْ نُؤَلِّفَ «أنسِكْلُو بِيذْيَا» عَرَبِيَّةً تَقُومُ بِسَدِّ هَذِهِ الاحْتِيَاجَاتِ المَقْصُودَةِ .

---

(١) هو بطرس بن بولس البستانى صاحب دائرة المعارف وكان عالما واسع الاطلاع يعرف عدّة لغات وله عدا الدائرة معجم محيط المحيط ومختصره وقطر المحيط . وتوفى سنة ١٢٩٩ هـ .

(٤) لأديب إسحاق[١]

"أوروبا والشرق"

كتب تحت هذا العنوان :

قُضِىَ عَلَى الشَّرْقِ أَنْ يَهْبِطَ بَعْدَ الارْتِفَاعِ، وَيَذِلَّ بَعْدَ الامْتِنَاعِ . وَيَكُونَ هَدَفًا لِسِهَامِ المَطَامِعِ والمَطَالِبِ، تَعْبَثُ بِهِ أَيْدِى الأَجَانِبِ مِن كُلِّ جَانِبٍ . فَمِنْهُمْ مَن يُغِيرُ عَلَيْهِ بِحُجَّةِ الغَيْرَةِ عَلَى الإِنْسَانِيَّةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَدَاخَلُ فِيهِ بِدَعْوَى إِقَامَةِ المَدَنِيَّةِ . وَلَمْ نَرَ مِنْهُمْ مَنْ صَدَقَ فِى دَعْوَاهُ، بَلْ كُلُّهُمْ تَابِعٌ فِى ذَلِكَ قَصْدَهُ وَهَوَاهُ .

(٥) كتب المرحوم عبد الله فكرى باشا إلى صديق له :

سَيِّدِى . سَلَّمَكَ اللهُ وَحَيَّاكَ، وَأَسْعَدَنِى بِرُؤْيَةِ مُحَيَّاكَ[٢]، وَزَادَ عِزَّكَ وَعُلْيَاكَ، وَحَرَسَ دِينَكَ وَدُنْيَاكَ، وَجَمَعَنِى عَلَى بِسَاطِ المَسَرَّةِ وَإِيَّاكَ، وَلَا حَرَمَنِى دَوَامَ لُقْيَاكَ . وَلَا بَرِحَ الدَّهْرُ مُبْتَسِمَ الثَّغْرِ بِمَحَاسِنِ مَعَالِيكَ، مُبَاهِيًا أَعْصَارَ الأَوَائِلِ بِأَيَّامِكَ وَلَيَالِيكَ، مُحَلِّيًا أَجْيَادَ المَفَاخِرِ بِزَوَاهِرِ لآلِيكَ .

وَرَدَ عَلَيَّ كِتَابُكَ الكَرِيمُ، مَوْرِدَ إِعْزَازٍ وَتَكْرِيمٍ، فَبَلَّ بَعْضَ مَا فِى الجَوَانِحِ[٣] مِن الصَّدَى[٤]، وَأَنْعَشَنِى وَلَا انْتِعَاشَ الزَّهْرِ بِمُبَاكَرَةِ النَّدَى[٥] . وَجَلَا عَلَيَّ مِن البَلَاغَةِ

---

(١) ولد بدمشق وتعلم فى مدارس المرسلين العربية والفرنسية وأجاد الأدب العربى واشتغل بالسياسة والصحافة وأنشأ جريدة مصر واتصل بجمال الدين الأفغانى توفى سنة ١٨٨٥ م ويمتاز أسلوبه بالارسال الممزوج بالسجع مع السهولة .

(٢) المحيا بضم الميم وتشديد الياء : الوجه . (٣) الجوانح : الاضلاع واحدتها جانحة .

(٤) الصدى : شدة الظمأ ، والمراد به هنا شدة الشوق .

(٥) الندى : المطر، ومباكرته نزوله فى الصباح الباكر .

رَوْضًا غَضًّا[1]، وَأَدَارَ لَدَىَّ صَفْوًا مِن سُلَافَةِ المَحَبَّةِ مَحْضًا[2] . وَهَزَّنِى هِزَّةَ النَّشْوَانِ شَوْقًا وَطَرَبًا، وَاسْتَفَزَّنِى بِمُعْجِزِ آيَاتِهِ الحِسَانِ عُجْبًا[3] وَعَجَبًا . وَنَثَرَ عَلَىَّ مِن مَحَاسِنِ لَفْظِكَ الحُرِّ، وَكَلِمَاتِكَ الغُرِّ، مَا يُخْجِلُ الدَّرَارِىَ[4] وَيَفْضَحُ الدُّرَ :

كَلَامٌ كَسَتْهُ بَهْجَةُ الحُسْنِ رَوْنَقًا ... هُوَ السِّحْرُ لَا بَلْ جَلَّ قَدْرًا عَنِ السِّحْرِ

(٦) وكتب سليم تقلا[5] :

"القطر المصرى"

عن جريدة الأهرام فى سنة ١٨٨٣ :

اخْتَلَفَتْ الجَرَائِدُ الأُورُبِّيَّةُ رَأْيًا فِى شَأْنِ أَحْوَالِ المَالِيَّةِ المِصْرِيَّةِ، فَخَاضَتْ فِى هَذَا المَوْضُوعِ تَخْبِطُ فِيهِ خَبْطَ عَشْوَاءَ، لا تُمَيِّزُ صَحِيحَهُ مِن فَاسِدِهِ . وَجُلُّ ما بَنَتْ عَلَيْهِ بَحْثَهَا مُرَاسَلَاتٌ غَيْرُ وَافِيَةٍ، نَقَلَتْهَا إِلَيْهَا أَقْلَامُ بَعْضِ الأَجَانِبِ الَّذِينَ لَم تَتَوَفَّرْ لَهُمُ الخِبْرَةُ الكَافِيَةُ، مِن مَاهِيَّةِ البِلَادِ وَحَالَتِهَا ، وَأَسْبَابِ زِيَادَةِ وَارِدَاتِهَا أَوْ نُقْصَانِهَا وَمَا شَاكَلَ ذَلِكَ .

وَلَمَّا كَانَ بَعْضُ هَؤُلَاءِ الكُتَّابِ قَدْ حَرَّرُوا مَقَالَاتٍ بِهَذَا الشَّأْنِ خَرَجَتْ عَنْ دَائِرَةِ الحَالَةِ الوَاقِعِيَّةِ ، وَتَوَرَّطُوا فِى شُرُوحٍ لَم يَكُونُوا لِيُدْرِكُوا مُقْتَضَيَاتِهَا حَقَّ الإِدْرَاكِ ، جَنَحَ بَعْضُ أَصْحَابِ الغَايَاتِ إِلَى تَأْوِيلِ تِلْكَ المَقَالَاتِ تَأْوِيلًا يَحْسَبُونَهُ آئِلًا الَى مَنْفَعَتِهِمُ الخَاصَّةِ ، فَأَخَذَتْ تَتَضَارَبُ الأَفْكَارُ وَالمَصَالِحُ تَضَارُبًا عَادَ بِالضَّرَرِ الحِسِّى وَالمَعْنَوِىّ

(١) الغض : الناضر . (٢) السلافة من أسماء الخمر، ومحضا أى خالصة لم تمزج بماء .

(٣) العجب بضم العين وسكون الجيم : الزهو والتكبر . (٤) الدرارى : الكواكب المضيئة .

(٥) نشأ فى لبنان وزاول فن التحرير والانشاء وهاجر الى مصر وأصدر جريدة الأهرام ولقى فى إصدارها صعابا جمة وكان يساعده فى إصدارها أخوه بشارة تقلا واضطر أيام الثورة العرابية إلى الهجرة الى سورية ثم عاد الى القاهرة وأعاد إصدار الأهرام، ثم مرض وعاد الى لبنان وبها مات سنة ١٣١٠ هـ .

عَلَى البِـلَادِ المِصْرِيَّةِ ، وَلِذَلِكَ رَأَيْنَا أَنْ نَذْكُرَ مِن غَوَامِضِ هَذِهِ المَسْأَلَةِ ، وَنَكْشِفَ عَنْ مُخَبَّآتِهَا ، لَعَلَّ مَا نَبْسُطُهُ بِهَذَا الشَّأْنِ يَكُونُ فِيهِ بَعْضُ الفَائِدَةِ لِقُرَّاءِ هَذِهِ الجَرِيدَةِ وَسِوَاهَا فَنَقُولُ :

المُقَرَّرُ أَنَّ البِلَادَ المِصْرِيَّةَ مِنْ أَحْسَنِ البِـلَادِ تُرْبَةً ، وَأَغْنَاهَا أَرْضًا ، فَإِنَّ حَيَاتَهَا وَخِصْبَهَا وَغِنَاهَا وَثَرْوَتَهَا مُتَوَقِّفَةٌ عَلَى مَا خَصَّهَا اللهُ بِهِ مِنْ بَرَكَاتِ بَحْرِ النِّيلِ الَّذِي يُرْوِي أَرَاضِيهَا بِمِيعَادٍ مَضْرُوبٍ فَيُقَوِّي مَا ضَعُفَ فِيهَا ، وَيُكْسِبُهَا قُوَّةً جَدِيدَةً عَنِ الَّتِي اقْتَضَتْهَا مِنْهَا المَزْرُوعَاتُ الشَّتَوِيَّةُ ؛ فَهُوَ لَهَا إِكْسِيرٌ وَمَعْدِنٌ مِنَ الخِصْبِ لَا يَفْنَى ، وَلِذَا فَمَا نَسَبَهُ البَعْضُ إِلَيْهَا مِنَ الافْتِقَارِ لَيْسَ إِلَّا أَمْرًا وَهْمِيًّا نَاتِجًا مِنَ الجِهَةِ الوَاحِدَةِ عَنْ سُوءِ حَالَةِ الفَـلَّاحِ وَعَدَمِ انْتِظَامِ أَعْمَالِهِ . وَمِنَ الجِهَةِ الثَّانِيَـةِ عَنِ ازْدِيَادِ النَّفَقَاتِ السَّنَوِيَّةِ مِنْ جَرَّاءِ الاحْتِلَالِ وَالتَّعْوِيضَاتِ وَمَا ضَارَعَ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّ الرَّجُلَ إِذَا أَصَابَهُ أَلَمٌ فِي بَعْضِ أَعْضَائِهِ ، وَهَى جِسْمُهُ إِجْمَالًا وَامْتَـدَّ الضَّعْفُ إِلَى أَعْضَائِهِ السَّلِيمَةِ لَا عَنْ خَلَلٍ بِهَا ؛ بَلْ عَنْ تَأْثِيرٍ مِنَ العُضْوِ السَّقِيمِ . وَهَذِهِ هِيَ حَالُنَا .

(٧) ولعلى باشا مبارك[١] من كتابه الخطط التوفيقية :

" القاهرة قبل العائلة المحمدية "

مِن أَمْعَنَ النَّظَرَ فِيمَا كَتَبْنَاهُ ، وَتَأَمَّلَ فِيمَا سَطَّرْنَاهُ ، عَلِمَ أَنَّ الفَاطِمِيِّينَ مَا قَصَدُوا بِوَضْـعِ القَاهِرَةِ إِلَّا جَعْلَهَا مَعْقِلًا لِعَسَاكِرِهِمْ ، وَمَقَرًّا لِخُلَفَائِهِـمْ . فَلِذَا سَوَّرُوهَا

(١) هو العالم المؤرخ والمؤلف المترجم على بن مبارك بن سليمان وله بمديرية الدقهلية ودرس بالمدارس المصرية وبأوربة وأقام باصـلاح فى الحربية والمعارف وأسس دار العـلوم ودار الكتب وبقى يتقلب فى النظارات ووكالاتها وقد توفى سنة ١٣١١ هـ . وله عدة مؤلفات .

بِالسُّورِ ، وَجَعَلُوا لَهَا الأَبْوَابَ المَنِيعَةَ وَاشْتَرَطُوا لِلمُرُورِ بِهَا شُرُوطًا ، وَلَمْ يُبِيحُوا سُكْنَاهَا لِكُلِّ أَحَدٍ ، كَمَا هُوَ شَأْنُ الحُصُونِ . وَلَمْ يَحْصُلِ التَّهَاوُنُ فِي ذٰلِكَ إِلَّا آخِرَ مُدَّتِهِمْ ، فَسَكَنَهَا بَعْضُ النَّاسِ وَانْبَثُّوا فِي رِحَابِهَا . وَكَانَتْ عَاصِمَةُ الحُكُومَةِ مَدِينَةَ الفُسْطَاطِ . وَلَمَّا زَالَتْ دَوْلَةُ الفَاطِمِيِّينَ بالأَكْرَادِ الأَيُّوبِيَّةِ ، أَبَاحُوا سُكْنَاهَا لِكُلِّ أَحَدٍ ، وَأَخَذَ رِجَالُ الدَّوْلَةِ يَغْرِسُونَ حَوْلَهَا البَسَاتِينَ وَيَبْنُونَ بِهَا القُصُورَ لِلنُّزْهَةِ وَتَغْيِيرِ الهَوَاءِ كَمَا هُوَ الآنَ فِي مَبَانِي جِهَةِ شَبْرَى (شبرا) ثُمَّ بِتَقَادُمِ الزَّمَانِ وَازْدِيَادِ الثَّرْوَةِ بَنَى النَّاسُ فِي الفَضَاءِ وَفِي أَرْضِ تِلْكَ البَسَاتِينِ ، وَعَلَى مَا تَخَلَّفَ مِنَ النِّيلِ فِي الأَرَاضِي ، وَحَوْلَ البِرَكِ المُتَخَلِّفَةِ عَنْهُ . وَتَجَدَّدَتِ الأَسْوَاقُ وَالدُّرُوبُ فَاتَّسَعَتِ المَدِينَةُ بِاتِّصَالِ تِلْكَ المَبَانِي بِها ، حَتَّى كَانَ زَمَنُ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ فَأَخَذَتْ فِيهِ العِمَارَةُ غَايَتَهَا ، وبَلَغَتِ البَلَدُ فِي السَّعَةِ نِهَايَتَها ، لِكَوْنِهِ كَانَ مَشْغُوفًا بِالأَبْنِيَةِ ، فَحَذَا النَّاسُ حَذْوَهُ ، وَجَدَّدُوا المَبَانِي العَظِيمَةَ ، لَا سِيَّمَا عِنْدَ مَا حَفر الخَلِيجَ النَّاصِرِيَّ ، فَإِنَّ النَّاسَ أَكْثَرُوا مِنَ المَبَانِي عَلَى حَافَتَيْهِ كَمَا نَوَّهْنَا بِذٰلِكَ فِيمَا تَقَدَّمَ .

(٨) وكتب نجيب الحدّاد في «إرضاء الناس»

«عِبَارَةٌ لَوْ وُضِعَتْ فِي كُتُبِ اللُّغَةِ لَكَانَتْ أُخْتَ المُسْتَحِيلِ فِي المَعْنَى ، ومُرَادِفَ النَّجْمِ فِي البُعْدِ ، وَشِبْهَ الكِبْرِيتِ الأَحْمَرِ فى الندرةِ والقِلَّةِ . وإِنْ شِئْتَ فَقُلْ : إِرْضَاءُ النَّاسِ كَلِمَةٌ تُقَالُ ، وَلَا تُنَالُ ، حَتَّى يُصَاغَ مِنَ الخَاتَمِ خَلْخَالٌ . وَمَنْ لَا يَقْدِرُ أَنْ يُرْضِيَ الوَاحِدَ الفَرْدَ فِي جَمِيعِ أَخْلَاقِهِ فَكَيْفَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُرْضِيَ الجَمِيعَ؟ ... » .

ومن كلامه الجارى مجرى الحكم :

مَنْ جَارَ عَلى صِبَاهُ، جَارَتْ عَلَيه شَيْخُوخَتُهُ .

مَهْمَا اجْتَهَدَت المَرْأَةُ فِى أَنْ تُقَلِّدَ الرَّجُلَ بِكُلِّ مَا تَصِلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا لَاتَصِيرُ رَجُلًا وَلَا تَعُودُ امْرَأَة .

من غَرِيب طَبَائِعِ الانْسَانِ أَنَّهُ يحب العَـدَالَةَ مَظْلُومًا ، وَيكْرَهُهَا ظَالِمًـا . وَيَطْلُبُ الحُرِّيَّةَ مَرْءُوسًا، وَيُنْكِرُهَا رَئِيسا .

(٩) قال مصطفى بك نجيب يصف الحاكى (الفونغراف)

مِثَالُ القُوَّةِ النَّاطِقَـةِ، مِن غَيْرِ إِرَادَةٍ سَابِقَـةٍ . يَقْتَطِفُ الأَلْفَـاظَ اقْتِطَافًا ، وَيَخْتَطِفُ الصَّوْتَ اخْتِطَافًا . مِطْبَعَةُ الأَصْوَاتِ، ومِرْآةُ الكَلِمَاتِ . يَنْقُلُ الكَلَامَ من نَاحِيَةٍ إِلَى نَاحِيَةٍ، نَقْلَ كَلَامِ عُمَرَ رَضِىَ اللهُ عَنهُ إلى سَارِيَةَ[١] . أَشَدُّ من الصَّدَى فِى فِعْلِهِ، فِى إِعَادَةِ الصَّوْتِ إِلَى أَصْلِهِ . كَأَنَّهُ الحَرْفُ عَن يَدِ الطَّابِعِ، وَالوَتَرُ عَن يد الضَّارِبِ، والقَصَبُ عَن فَمِ القَاصِبِ . يَحْفَظُ الكَلَامَ وَلَا يُبِيدُهُ، ومَتَى اسْتَعَدْتَهُ مِنهُ يُعِيـدُهُ . مِن غَيْرِ أَنْ يُبْقِيَ لَفظًا فِى صَدْرِهِ ، أَوْ يَكْتُمَ شَيْئًا مِن أَمْرِهِ . كَأَنَّمَـا حِفْظُ الوَدِيعَةِ، فِى نَفْسِهِ طَبِيعَةٌ . فَلَوْ تَقَدَّمَ لَهُ الوُجُودُ فِى مَرْتَبَةِ الزَّمَنِ لَمَـا احْتَجْنَا فِى الأَخْبَارِ الى عَنْعَنَةٍ ، وَلَا فِى الدَّعَاوَى الى بَيِّنَةٍ . بَلْ كَانَ يُسْمِعُنَا كَلَامَ السَّـيِّدِ المَسِيحِ فِى المَهْدِ ، وَصَوتَ عَازَرَ من اللَّحْدِ . وكَانَتْ استَوْدَعَتْهُ الفَلَاسِفَةُ حِكَمَتَهُم، وَأَنْشَـدُوهُ كَلِمَتَهُمْ . فرَأَيْنَا بِهِ غَرَائِبَ اليُونَانِ، وبَدَائِعَ الرُّومَانِ ، وَرُبَّمَـا سَمِعْنَا

(١) هو سارية الجبل الذى روى أنه سمع نداء عمر بن الخطاب رضى الله عنه من مكان بعيد .

(٢) عازر بفتح الراء هو الذى أحياه عيسى عليه السلام .

خُطَبَ سَحْبَانَ ، وَشِعْرَ سَيِّدِنَا حَسَّانَ ، بِذَلِكَ اللِّسَانِ ، وَأَصْبَحَ وُجُودُ الإِنْسَانِ ، غَيْرَ مَحْدُودٍ بِزَمَنٍ مِنَ الأَزْمَانِ . لِلَّهِ دَرُّهُ مِنْ تِلْمِيذٍ يَسْتَوْعِبُ مَا عِنْدَ المُعَلِّمِ وَيَسْتَخْلِصُهُ فِي لَحْظَةٍ ، مُعِيدًا لِقَوْلِهِ نَاقِلًا صَوْتَهُ وَلَفْظَهُ .

لَقَدْ وَجَدْتُ مَكَانَ القَوْلِ ذَا سَعَةٍ فَإِنْ وَجَدْتَ لِسَانًا قَائِلًا فَقُلِ

نَدِيمٌ لَيْسَ فِيهِ هَفْوَةُ النَّدِيمِ ، وَسَمِيرٌ لَا يُنْسَبُ إِلَيْهِ تَقْصِيرٌ . تُسْكِتُهُ وَتَسْتَعِيدُهُ ، وَتَذُمُّهُ وَتَسْتَجِيدُهُ . وَهُوَ فِي كُلِّ هَذِهِ الأَحْوَالِ ، رَاضٍ بِمَا يُقَالُ . لَا يَكِلُّ مِنْ تَحْدِيثٍ ، وَلَا يَمَلُّ مِنْ حَدِيثٍ . نَمَّامٌ كَمَا يَنِمُّ لَكَ يَنِمُّ عَلَيْكَ ، وَيَنْقُلُ لِغَيْرِكَ كَمَا يَنْقُلُ إِلَيْكَ . فَهُوَ المُصَوِّرُ لِكُلِّ فَنٍّ ، المُتَكَلِّمُ بِكُلِّ لُغَةٍ . المُحَدِّثُ عَنْ كُلِّ إِنْسَانٍ ، المُؤَرِّخُ لِكُلِّ زَمَانٍ . الشَّاعِرُ النَّاثِرُ ، المُغَنِّي العَازِفُ . لَا تُعْجِزُهُ العِبَارَةُ ، وَلَا تُجْهِدُهُ الإِدَارَةُ . وَلَا يَضِيرُهُ اخْتِلَافُ شَكْلٍ ، وَلَا تَبَايُنُ أَصْلٍ .

(١٠) من كتاب لابراهيم بك المويلحي[1] الى السيد أبى الهدى الصيادى رحمهما الله

أُقَبِّلُ يَدًا خُلِقَ بَاطِنُهَا لِلكَرَمِ ، وَظَاهِرُهَا لِلقُبَلِ . وَبَعْدُ فَقَدْ أَقْرَأَنِي (فلان) كِتَابًا أَتَاهُ مِنْ (فُلَانٍ) فِيهِ مِنَ الطَّعْنِ عَلَى البَيْتِ الرِّفَاعِيِّ[2] الرَّفِيعِ . وَذَكَرَ السَّيِّدَ (فُلَانًا) بِمَا لَوْ سَمِعَهُ المِسْكِينُ لَكَرَّ[3] هَائِمًا عَلَى وَجْهِهِ ، أَوْ عَائِمًا عَلَى قَفَاهُ . وَلَتَرَكَ بَلَدًا لَيْسَ فِيهِ

(١) أصل أجداده من مرفأ المويلح ببلاد العرب جاءوا الى مصر من زمن قديم وقد ولع بالأدب منذ صغره حتى خرج كاتبا أديبا وأنشأ جريدة نزهة الأفكار وحرر فيها وفى غيرها وشغل مناصب مدة وتوفى سنة ١٣٢٣ هـ .

(٢) البيت الرفاعى : بيت السيد أبى الهدى .

(٣) كر : رجع .

لِلْحَقِّ سَمَّاعُونَ، وَلَا لِكَلِمَةِ الصِّدْقِ وَاعُونَ . لَا هُوَ كَالْبَادِيَةِ فَيَحْفَظ الْمَرْءُ فِيهَا شَرَفَهُ بِقُوَّتِهِ ، وَلَا كَالْحَضَرِ فَيَعْتَزِ الْمَرْءُ فِيهِ بِحُسْنِ سِيرَتِهِ ؛ بَلْ كَالْجَحِيمِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا . وَمَاذَا أَقُولُ فِي بَلَدٍ لَوْ كَانَ الْمَرْءُ يَمْشِي فِيهِ عَلَى بِسَاطِ سُلَيْمَانَ ، وَيَجْلِسُ عَلَى عَرْشِ بِلْقِيسَ، وَيَأْكُلُ شِوَاءً مِنْ كَبْشِ إِسْمَاعِيلَ، وَيَشْرَبُ مَعَ الْخَضِرِ مِنْ عَيْنِ الْحَيَاةِ، وَيُنَادِمُهُ مَالِكٌ وَعقيلٌ[(١)]، وَيُصَرِّفُ خَتْمَهُ الْأَمْرَ مِنْ مِصْرَ إِلَى مَدْيَنَ، فَالشَّامِ، فَالْعِرَاقِ، فَأَرْضِ الرُّومِ ، فَالنُّوبِ[(٢)] . وَكَانَ مَعَهُ أَمْثَالُ هَؤُلَاءِ يُسَاكِنُونَ فِيهِ وَهُوَ غَيْرُ قَادِرٍ عَلَى أَنْ يَسْحَقَهُمْ فَيُؤْذِيَهُمْ ، أَوْ يَمْحَقَهُمْ فَيُرْدِيَهُمْ[(٣)] ، لَكَانَ الْمَشْيُ عَلَى شَوْكِ السَّيَالِ[(٤)] ، وَالْجُلُوسُ عَلَى صَخْرَةٍ مِنْ مُنْقَطِعِ الْعُمْرَانِ، وَالْأَكْلُ مِنْ رَأْسِ الضَّبِّ[(٥)] ، وَالشُّرْبُ مِنَ الطُّحْلُبِ[(٦)] ، وَالْجُلُوسُ مَعَ حَسَن بَاشَا مُحَافِظ بِيشْكِطَاش، أَهْنَأَ لِلنُّفُوسِ وَأَرْوَحَ لِلْبَالِ :

لِمَنْ تَطْلُبُ الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تُرِدْ بِهَا سُرُورَ مُحِبٍّ أَوْ إِسَاءَةَ مُجْرِمِ

* * *

أَكْتُبُ كِتَابِي هَـٰذَا إِلَيْكَ وَنَفْسِي تَنْظُرُ إِلَى نَفْسِكَ فِي عُلُوِّهَا وَارْتِفَاعِهَا نَظَرَ السُّلَحْفَاةِ إِلَى الْأَجْدَلِ[(٧)] ، فَوْقَ شُرُفَاتِ الْمِجْدَلِ[(٨)] . وَتُحَدِّثُنِي : لَوْ مُدَّ لِي طَرِيقٌ قَضْبَانُهُ

---

(١) مالك وعقيل : نديمان مشهوران قديمان .

(٢) النوب : بلاد النوبة . (٣) يرديهم : يهلكهم .

(٤) السيال بفتح السين : نبات له شوك أبيض طويل .

(٥) يضرب المثل برأس الضب فى الصلابة فيقال : حريذيب دماغ الضب .

(٦) الطحلب : خضرة تعلو الماء المزمن .

(٧) الأجدل : الصقر . (٨) المجدل بكسر الميم وفتح الدال : القصر .

مِنَ الذَّهَبِ لَا الحَدِيدِ، وَمَرْكَبَاتُهُ مِنَ اليَوَاقِيتِ، وَسَائِقُ آلَتِهِ جِبْرَائِيلُ، لِيُبْلِغَنِي بَلَدًا أُسَاكِنُ فِيهِ هٰؤُلَاءِ القَوْمَ، لَفَضَّلْتُ الجُلُوسَ حَيْثُ أَنَا الآنَ . أَكْتُبُ لَكَ هٰذَا الكِتَابَ تَحْتَ ظِلِّ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ لَا أَظْلِمُ وَلَا أُظْلَمُ .

(١١) للشيخ محمد عبده[(١)] يَصِفُ نهج البلاغة :

أَوْفَى لِي حُكْمُ القَدَرِ بِالاطِّلَاعِ عَلَى كِتَابِ (نَهْجِ البَلَاغَةِ) صُدْفَةً بِلَا تَعَمُّلٍ . أَصَبْتُهُ عَلَى تَغَيُّرِ حَالٍ، وَتَبَلْبُلِ[(٢)] بَالٍ، وَتَزَاحُمِ أَشْغَالٍ، وَعُطْلَةٍ مِنْ أَعْمَالٍ . فَحَسِبْتُهُ تَسْلِيَةً . وَجَعَلْتُهُ لِلتَّخْلِيَةِ . فَتَصَفَّحْتُ بَعْضَ صَفَحَاتِهِ، وَتَأَمَّلْتُ جُمَلًا مِنْ عِبَارَاتِهِ، مِنْ مَوَاضِعَ مُخْتَلِفَاتٍ، وَمَوَاضِيعَ مُتَفَرِّقَاتٍ . وَكَانَ يُخَيَّلُ لِي فِي كُلِّ مَقَامٍ أَنَّ حُرُوبًا شُبَّتْ . وَغَارَاتٍ شُنَّتْ . وَأَنَّ لِلبَلَاغَةِ دَوْلَةً . وَلِلفَصَاحَةِ صَوْلَةً . وَأَنَّ لِلأَوْهَامِ عَرَامَةً[(٣)] ، وَلِلرَّيْبِ دَعَارَةً[(٤)] . وَأَنَّ جَحَافِلَ[(٥)] الخَطَابَةِ ، وَكَتَائِبَ[(٦)] الذَّرَابَةِ[(٧)] .

---

(١) نشأ الشيخ محمد عبده بمحلة نصر من قرى البحيرة ، وحفظ القرآن ودرس بالأزهر واتصل بجمال الدين الأفغاني فخرج عالما كاتبا خطيبا حر الفكر ، درس بالأزهر ودار العلوم وشغل مناصب القضاء والافتاء وله مؤلفات ومقالات دينية واجتماعية وسياسية ، توفى سنة ١٣٢٣ هـ.

(٢) تبلبل البال : سوءه واضطرابه .

(٣) عرامة بفتح العين : شدة وشراسة .

(٤) الدعارة بفتح الدال وكسرها : الفجور وسوء الخلق .

(٥) الجحافل : جمع جحفل بفتح الجيم وهو الجيش الكثير .

(٦) الكتائب : جمع كتيبة بفتح الكاف ، وهى القطعة من الجيش .

(٧) الذرابة بفتح الذال : الفصاحة .

فِي عُقُـودِ النِّظَامِ ، وَصُـفُوفِ الانْتِظَامِ . تَنَافِحُ (١) بِالصَّـفِيحِ (٢) الأَبْلَجِ (٣) ، وَالقَـوِيمِ الأَمْلَجِ (٤) . وَتَمْتَلِجُ (٥) المُهَـجَ (٦) ، بِرَوَائِعِ الحُجَجِ . وَتَفِـلُّ دَعَارَةَ الوَسَاوِسِ ، وَتُصِيبُ مَقَـاتِلَ الخَوَانِسِ (٧) . فَمَـا أَنَا إِلَّا وَالحَقُّ مُنْتَصِرٌ ، وَالبَاطِلُ مُنْكَسِرٌ . وَمَرَجُ (٨) الشَّكِّ فِي خُمُـودٍ ، وَهَرْجُ الرَّيْبِ فِي رُكُودٍ . وَأَنَّ مُدَبِّرَ تِلْكَ الدَّوْلَةِ ، وَبَاسِـلَ تِلْكَ الصَّـوْلَةِ . هُوَ حَامِلُ لِوَائِهَا الغَالِب ، أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِب . بَلْ كُنْتُ كُلَّمَـا انْتَقَلْتُ مِن مَوْضِـعٍ إِلَى مَوْضِعٍ أُحِسُّ بِتَغَـيُّرِ المَشَاهِـدِ . وَتَحَوُّلِ المَعَاهِـدِ : فَتَارَةً كُنْتُ أَجِدُنِي فِي عَالَمٍ يَعْمُرُهُ مِن المَعَانِي أَرْوَاحٌ عَالِيَـةٌ ، فِي حُلَلٍ مِن العِبَارَاتِ الزَّاهِيَةِ . تَطُوفُ عَلَى النُّفُوسِ الزَّاكِيَةِ (٩) ، وَتَدْنُو مِن القُلُوبِ الصَّافِيَةِ . تُوحِي إِلَيْهَا رَشَادَهَا ، وَتُقَوِّمُ مِنْهَا مُنَآدَهَا (١٠) ، وَتَنْفِرُ بِهَا عَنْ مَدَاحِضِ (١١) المَزَالِّ ، إِلَى جَوَادِّ (١٢) الفَضْلِ وَالكَمَالِ . وَطَوْرًا كَانَتْ تَتَكَشَّفُ لِي الجُمَلُ عَنْ وُجُوهٍ بَاسِرَةٍ (١٣) ، وَأَنْيَـابٍ كَاشِرَةٍ . وَأَرْوَاحٍ فِي أَشْـبَاحِ النُّمُورِ ، وَمَخَالِبِ النُّسُورِ . وَقَدْ تَحَفَّـزَتْ لِلوِثَابِ ، ثُمَّ انْقَضَّتْ لِلاخْتِلَابِ . فَخَلَبَتْ القُلُوبَ عَنْ هَوَاهَا ، وَأَخَذَتْ الخَوَاطِرَ دُونَ مَرْمَاهَا . وَاغْتَالَتْ فَاسِـدَ الأَهْوَاءِ ، وَبَاطِلَ الآرَاءِ . وَأَحْيَانًا كُنْتُ أَشْهَدُ أَنَّ

---

(١) تنافح : تدافع . (٢) الصفيح : السيوف وأراد بها هنا المفرد .

(٣) الأبلج : الأبيض اللامع . (٤) يريد بالقويم الأملج : الرمح المعتدل الأسمر .

(٥) تمتلج : تمتص . (٦) المهج : جمع مهجة بضم الميم وهى دم القلب .

(٧) لعله يريد بالخوانس : ما يجول فى النفس من خواطر السوء . (٨) المرج بفتح الراء القلق والاضطراب ، وإنما تسكن الراء إذا قرنت بالهرج . والهرج بسكون الراء : الفتنة .

(٩) الزاكية : المطهرة . (١٠) المنآد : المعوج . (١١) المداحض : جمع مدحضة بفتح الميم وهى المزلقة والمزلة . (١٢) الجواد بتشديد الدال : جمع جادة وهى معظم الطريق ووسطه . (١٣) باسرة : منقطبة .

عقلاً نورانياً، لا يُشبِهُ خلقاً جسدانياً . فصَل(١) عن الموكب الإلهيّ . واتصل بالروح الإنسانيّ . نخلعهُ عن غاشيات الطبيعة وسما به إلى الملكوت الأعلى . ونما(٢) به إلى مشهد النور الأجلى . وسكن به إلى عمار جانب التقديس، بعد استخلاصه من شوائب التلبيس . وآنات كأنى أسمع خطيب الحكمة ، ينادى بأعلياء الكلمة . وأولياء أمر الأمة . يعرفهم مواقع الصواب ، ويبصرهم مواضع الارتياب ، ويحذرهم مزالق الاضطراب . ويرشدهم إلى دقائق السياسة ، ويهديهم طريق الكياسة ، ويرتفع بهم إلى منصات(٣) الرياسة . ويصعدهم شرف التدبير، ويشرف بهم على حسن المصير .

(١٢) كتب الشيخ ابراهيم اليازجى(٤) الى صديق له :

مهما زدتني من جميلك المألوف ، وصنيعك المعروف ، فما أزيدك على ما ينطق به لسان حالي من الاعتراف بتطولك(٥) ، والثناء على تفضلك ، لا سيما فيما أبديت من الحفاوة(٦) واللطف في جانب أخى وأخيك النازل في كنف(٧) تدبيرك ، الموكول إلى حسن رأيك . وهى يد(٨) لك حملت جميلها على عاتقي(٩) فوق ما أثقلته

(١) فصل عنه بصيغة البناء للفاعل خرج منه . (٢) نما به : ارتفع .

(٣) المنصات : جمع منصة بكسر الميم وهى الكرسى .

(٤) كان إبراهيم اليازجى من علماء اللغة والنحو والأدب ألف عدة كتب وأصدر بمصر مجلتى البيان والضياء، وقد توفى سنة ١٣٢٤ هـ . (٥) تطولك : تفضلك .

(٦) الحفاوة بالرجل : إكرامه وإظهار السرور برؤيته . (٧) الكنف بفتحتين : الظل .

(٨) اليد : النعمة . (٩) العاتق : ما بين المنكب والعنق .

أَيَادِيكَ السَّابِقَة، وَأَلْطَافُكَ(١) السَّالفةُ . وإنّي لآمُلُ لَهُ بمؤازرتك نُجحًا لا يعترضُهُ إخفاقُ مَسْعًى، وفوزًا لا يَصْدِفُ(٢) عنه طَيْشُ رأْيٍ . وأسأَلُ اللهَ لكَ ولَهُ السَّلامَةَ والتَّوفيقَ بمَنّه وطَوْلِه(٣) .

(١٣) ولمصطفى كامل باشا(٤) من خطبة له رحمه الله :

... مَثَلُ مِصْرَ اليَوْمَ وهي عَلَى باب السَّعادَةِ المُقْبِلَةِ مَثَلُ مَرِيضٍ قَارَبَ الشِّفَاءَ، يَنْصَحُ لَهُ الطَّبِيبُ بِزِيَادَةِ التَّحَفُّظِ وَعَدَمِ التَّعَرُّضِ لِلْهَوَاءِ لِئَلَّا يَنْتَكِسَ بِالعِلَّةِ فتعودَ عَلَيْهِ بِوَيْلٍ أَشَدَّ مِنْ وَيْلِهَا الأَوَّلِ . فَلْنَحْتَرِسْ جَمِيعًا مَعْشَرَ المِصْرِيِّينَ من التَّعَرُّضِ إِلَى مَا وَرَاءَهُ تَعْرِيضُ الوَطَنِ نَفْسِهِ إِلَى خَطَرٍ عَظِيمٍ .

وَإِنَّ صِفَتَي التَّسَامُحِ وَالغُفْرَانِ اللَّتَيْنِ اشْتَهَرَتْ بِهِمَا الأُمَّةُ المِصْرِيَّةُ كَانَتَا مِنْ أَعْظَمِ الأَسْبَابِ الَّتِي اسْتَمَالَتْ قُلُوبَ الأُورُبِّيِّينَ نَحْوَهَا، وَجَعَلَتْهُمْ يَعْتَبِرُونَ مِصْرَ كَقِطْعَةِ أَرْضٍ مِنْ أَقْطَارِهِمْ، فَهُمْ يَقْطُنُونَهَا آمِنِينَ مُطْمَئِنِّينَ، مُتَمَتِّعِينَ بِرَاحَةِ البَالِ، والبُعْدِ عَنِ البَلْبَالِ . وَلِذَا وَجَدْنَا مِنْهُمْ، عَلَى اخْتِلَافِ جِنْسِيَّاتِهِمْ نُصَرَاءَ أَشِدَّاءَ لِلْمُطَالَبَةِ بِحُقُوقِ مِصْرَ وَتَحْقِيقِ رَغَبَاتِ أَبْنَائِهَا .

فَدَاوِمُوا أَيُّهَا الوَطَنِيُّونَ الأَعِزَّاءُ عَلَى إِكْرَامِ وِفَادَةِ ضُيُوفِكُمْ وَنُزَلَائِكُمُ الَّذِينَ يَشْتَرِكُونَ مَعَكُمْ فِي الإِحْسَاسَاتِ نَحْوَ هَذَا البَلَدِ الأَمِينِ . وَلْيَكُنْ مَبْدَؤُنَا دَائِمًا : "أَحْرَارٌ فِي بِلَادِنَا . كُرَمَاءُ لِضُيُوفِنَا" .

(١) الألطاف : جمع لطف بفتحتين وهو الاحسان والاتحاف .
(٢) لا يصدف : لا يصرف . (٣) الطول بفتح الطاء : الفضل .
(٤) نشأ بمصر ودرس الحقوق واشتغل بالسياسة مناهضا الاحتلال الانجليزى بخطبه ومقالاته وكتبه ونشر دعوته فى أوربة، وقد أنشأ بمصر جريدة اللواء وألف الحزب الوطنى، وتوفى سنة ١٣٢٦ هـ .

وَإِنَّ فى مِصْرَ فِئَةً مِنَ النَّاسِ نَسِيَتْ أَنَّ الأَمَلَ، دَاعِى العَمَلِ . فَلَبِسَتْ ثِيَابَ اليَأْسِ، وَقَضَتْ بِظُنُونِهَا عَلَى مُسْتَقْبَلِ الوَطَنِ العزيز . وَجَعَلَتْ مُهِمَّتَهَا فى الأُمَّةِ تَثْبِيطَ الهِمَمِ وَإِقْعَادَ العَزَائِمِ . فَلَا تُنَادِى فِى المَحَافِلِ وَالأَنْدِيَةِ إِلَّا بِأَنَّهُ لَيْسَ لِمِصْرَ حَظٌّ فى المُسْتَقْبَلِ مِنَ الحُرِّيَّةِ والسَّعَادَةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ . وَأَنَّ شَعْبَهَا قَدْ مَاتَ مِنْ زَمَنٍ طَوِيلٍ، وَلَيْسَ لِمُفَكِّرٍ عَاقِلٍ أَنْ يُؤَمِّلَ لَهُ مُسْتَقْبَلًا جَدِيدًا . وَتَرَى رِجَالَ هَذِهِ الفِئَةِ اليَائِسَةِ يَرْمُونَ كُلَّ رَجُلٍ يَقُومُ بِالدِّفَاعِ عَنْ حُقُوقِ البِلَادِ المُقَدَّسَةِ بِعَدَمِ الخِبْرَةِ وَقِصَرِ النَّظَرِ، قَائِلِينَ له :

لَقَدْ أَسْمَعْتَ لَوْ نَادَيْتَ حَيًّا وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِى

وَعِنْدِى أَنَّ الرِّجَالَ اليَائِسِينَ، وَإِنْ كَانُوا أَقَلَّ مِنَ القَلِيلِ، يَضُرُّونَ بِلَادَهُمْ أَعْظَمَ ضَرَرٍ بِمَا يَقُولُونَهُ وَيُكَرِّرُونَهُ، إِذْ أَنَّ قَتْلَ العَوَاطِفِ الشَّرِيفَةِ، وَإِخْمَادَ نَارِ الغَيْرَةِ الوَطَنِيَّةِ أَكْبَرُ جِنَايَةٍ تُجْنَى عَلَى الوَطَنِ وَأَهْلِهِ . فَلْيَكُنْ مِنْ وَاجِبَاتِنَا أَنْ نَتْرُكَ هَؤُلَاءِ اليَائِسِينَ فى سُفُنِ يَأْسِهِمْ، تُصْعِدُهُمْ أَمْوَاجُ الأَفْكَارِ وَتَهْبِطُ بِهِمْ، حَتَّى يَصِلُوا إِلَى شَاطِئِ الخَيْرِ وَبَرِّ الرَّفَاهِيَةِ . فَنُذَكِّرُهُمْ عِنْدَئِذٍ بِفَسَادِ مَزَاعِمِهِمْ وَخَطَإِ آرَائِهِمْ .

(١٤) لقاسم أمين من كتاب المرأة الجديدة [1]

فى حرية المـــرأة

دلت التجربةُ على أن الحريةَ هى منبعُ الخيرِ للانسان وأصلُ ترقيه وأساسُ كماله الأدبى، وأن استقلالَ إرادة الانسان كانت أهمَّ عامل أدبى فى نهوض الرجال؛ فلا يمكن أن يكون لها إلا مِثل ذلك الأثر فى نفوس النساء .

---

(١) ولد قاسم أمين مصريا يجرى فى عروقه دم كردى من أسرة متوسطة الحال ودرس الحقوق فى مصر وفرنسة وترقى الى منصب القضاء ثم عين مستشارا بمحكمة الاستئناف الى أن توفى سنة ١٩٠٨ م ويعد من رجال الاصلاح الاجتماعى وخاصة الناحية النسوية .

غاية الأمر أن كل تغيير يُعْرَض على الأنظار فى صورة مشروع يلتمس قبوله ولم يكن بدأ الناس فيه من قبل هو فى الحقيقة فكرٌ سبق أوانَه وقت عرضه، ولهذا لا يفهمه ولا يقدره حق قدره إلا العدد القليل مما يمتد نظرهم الى ما يكنّه المستقبل من الحوادث . انظر الى حالة مصر : عاشت الأمة المصرية أجيالًا فى الاستعباد السياسى فكانت النتيجة انحطاطا عاما فى جميع مظاهر حياتها، انحطاطا فى العقول، وانحطاطا فى الأخلاق وانحطاطا فى الأعمال . وما زالت تهبط من درجة الى أسفلَ منها حتى انتهى بها الحال الى أن تكون جسما ضعيفا عليلا ساكنا يعيش عيشة النبات أكثرَ من عيشة الحيوان . فلما تخلصت من الاستعباد رأت نفسها فى أوّل الأمر فى حيرة لا تدرى معها ما تصنع بحريتها الجديدة، وكان الكل لا يفهم لهذه الكلمة معنى، ولا يقدر لها قيمة، وكان الناس يستخفون ويهزءون بالحرية بل ويتألمون منها، وينسبون إليها اختلال عيشتهم وعلل نفوسهم؛ فكم من مرة سمعنا بأذننا أن سبب شقاء مصر هو تمتعها بالحرية والمساواة، ثم اعتاد القوم شيئا فشيئا على الحرية، وبدءوا يشعرون بأن اختلال عيشتهم لا يمكن أن يكون ناجا عنها، بل له أسبابٌ اخرى، وتعلق بنفوس الكثير منا حبُّ الحرية حتى صاروا لا يفهمون للوجود معنى بِدُونها، ولنا الأمل فى أن أولادنا الذين يشبون على الحرية التامة يجنون جميع ثمراتها النفيسة التى من أهمها تهيئة نفوسهم للعمل . عند ذلك يعرفون جيدا أن الحريّة هى أساس كل عمران .

(١٥) كتب المرحوم الشيخ حمــزة فتح الله[١]

الى بعض الأفاضل يطلب ودّه :

كَمَا أَنَّ شَغَفَ[٢] الجَنَانِ[٣] ، بِالحُسْنِ وَالإِحْسَان ، تكون دَاعِيَتُهُ المُشَاهَدَةَ وتَسْرِيحَ الأَنْظَارِ فِى مُحَيَّا[٤] الكَمَالِ، ومُجْتَلَى[٥] الجَمَـال . فَتَرَى العَيْنُ مِن تِلْكَ الغُرَّةِ[٦] مَا يَمْلَؤُهَا قُرَّةً[٧] . فَكَذَلِكَ السَّمَاعُ يَسْتَدْعِى هَـذَا الشَّغَفَ فَيَتَأَثَّرُ الفُؤَادُ بِمَـا يُشَنِّفُ[٨] الأُذُنَ مِمَّـا تَهْدِيهِ إِلَيْهِ طَرَائِفُ[٩] الأَخْبَارِ حَتَّى كَأَنَّ حَاسَّتَى السَّمْعِ والبَصَرِ فى ذَلِكَ صِنْوَانِ[١٠]، بل أَخَوَان، فى هَيكل هذا الجُثْمَانِ[١١] .

* * *

أَلَا وَإِنَّ مَحَاسِنَ السَّيِّدِ الأَجَلِّ لَمَّـا سَارَتْ بِهَا الرُّكْبَانُ، وَأَثْنَى عَلَيْهَا كُلُّ لِسَان ، مَا بَيْنَ أَخْلَاقٍ أَبْهَى مِن الرَّوْضِ النَّضِـير[١٢]، وأَعْرَاقٍ[١٣] أَشْهَى من عُذَيْبِ النَّمِير[١٤] . قَد احْتَلَّتْ من فُؤَادِى لَا أَقُول مَنْزِلًا رَحِيباً، وَلَا وَادِياً خصِيباً . بَلْ مَنْزِلَةً شَمَّاء[١٥]، ودَارَةً[١٦]

(١) ولد بالأسكندرية ودرس بالأزهر وأجاد اللغة ونحوها واشتغل بالصحافة فى تونس ومصر . ثم مدرّسا ومفتشا بالمعارف وقد توفى سنة ١٩١٨ م . (٢) الشغف : شدّة الحب .
(٣) الجنان بالفتح : القلب . (٤) المحيا بضم الميم وتشديد الياء : الوجه .
(٥) مجتلاه : منظره . (٦) الغرة : الوجه .
(٧) قرت العين : جف دمعها و بردت من السرور . والاسم منه القرة بضم القاف .
(٨) يشنف الأذن : يطربها وأصله من لبس الشنف وهو القرط .
(٩) الطرائف : الأحاديث المستملحة . (١٠) الصنوان : الاخوان الشقيقان .
(١١) الجثمان بضم الجيم : الجسم . (١٢) النضير : الحسن .
(١٣) الأعراق هنا : بمعنى الطباع والصفات . (١٤) النمير : الكثير من الماء .
(١٥) شماء : عالية . (١٦) الدارة : الدار ، ويريد بها المكانة .

عَلْيَاء . وَأَوْجًا[1] بطَوَالِعِها السعيدَة يَسْعَد، وَيَلُوحُ بِهَا مِن ذِكْرَاه كُلَّ حِينٍ فَرْقَد[2] .

فَلَمْ أنشبْ[3] أَنْ قَدَّمْتُ كِتَابِي هٰذَا لِمَوْلَايَ بَيْنَ يَدَي اللِّقَاءِ عَلَّهُ أَنْ يَسْمَحَ بِهِ الزَّمَانُ وَتُسْفِرَ[4] عَنْهُ اللَّيَالِي والأَيَّام، لِيُتَاحَ[5] لِي رِيّ الفُؤَادِ بِمَا أَرْوِيهِ مِن حَدِيثِ زَيْدِ الخَيْلِ الَّذِي سَمَّاهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْدَ الخَيْرِ، وَقَالَ لَهُ : مَا وُصِفَ لِي أَحَدٌ فَرَأَيْتُهُ إِلَّا وَجَدْتُهُ دُونَ مَا وُصِفَ لِي سِوَاكَ، وإِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ (الحِلْمُ وَالأَنَاةُ[6]) مُقْتَدِيًا بِالإِمَامِ مَحْمُودِ جَارِ اللهِ[7] فِي تَقْدِيمِ هٰذَا الحَدِيثِ الشَّرِيفِ عَلَى مَا أَنْشَدَهُ إِيَّاهُ الشَّرِيفُ ابْنُ الشَّجَرِيّ أَوَّلَ مَا لَقِيَهُ وَكَانَا قَدْ تَحَابَا بِالسَّمَاعِ :

كَانَتْ مُسَاءَلَةُ الرُّكْبَانِ تُخْبِرُنَا ... عَنْ جَابِرِ بْنِ رَبَاحٍ أَطْيَبَ الخَبَرِ

حَتَّى اجْتَمَعْنَا فَلَا وَاللهِ مَا سَمِعَتْ ... أُذْنِي بِأَحْسَنَ مِمَّا قَدْ رَأَى بَصَرِي

(١٦) وكتب حفنى بك ناصف يعزى كبيرا (ولعله الشيخ على يوسف) رحمه الله فى ولده :

خَفَّفَ اللهُ لَوْعَتَكَ[8]، وَأَرْقَأَ[9] دَمْعَتَكَ . وَجَنَّبَكَ الجَزَعَ ، وَوَقَاكَ الهَلَعَ . وَأَلْهَمَكَ الصَّبْرَ، وَأَجْزَلَ لَكَ الأَجْرَ. وَرَزَقَكَ مِن البَنِينَ ، فِي مُسْتَقْبَلِ السِّنِينَ ، مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنَاكَ[10] . وَيَقْوَى بِهِ عَنَاكَ[11] . وَأَنْتَ وَالحَمْدُ للهِ فِي قُوَّةٍ ، وَبَقِيَّةٍ مِن الفُتُوَّة، تُمَكِّنُكَ

---

(١) الأوج : العلو . (٢) الفرقد : نجم قريب من القطب الشمالى، وهما فرقدان .

(٣) لم أنشب : لم ألبث . (٤) تسفر : تكشف . (٥) يتاح لى : يتهيأ لى .

(٦) الأناة : الوقار والحلم . (٧) هو الامام الزمخشرى العالم المفسر المشهور .

(٨) اللوعة : حرقة الحزن . (٩) أرقأ دمعته : جففها .

(١٠) قرت عيناه : بردت سرورا . (١١) العنا بفتح العين : الجانب .

مِن الأُبُوَّةِ، لخيرِ البُنُوَّةِ، عَلَى أَنَّ لَكَ فى عَالَمِ السِّيَاسَةِ، وَضُرُوبِ الكِيَاسَةِ[1] . فى هٰذِهِ البِلَادِ . أَلْوَانًا مِن الأَوْلَادِ، وَآثَارًا كُبْرَى، تَضْمَنُ لَكَ الذِّكْرَى . وَتَجْعَلُ لَكَ عَلَى مَدَى السِّنِينَ، لسَان صِدْقٍ فى الآخرِين . والسَّلَام عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ .

(١٧) كتب السيد مصطفى لطفى المنفلوطى[2]

" الشـاعر "

إِنَّمَا يَشْقَى فى هَـذَا العَالَمِ أَحَدُ ثَلَاثَةٍ : حَاسِدٍ يَتَأَلَّمُ لِمَنْظَرِ النِّعَمِ الَّتِى يُسْبِغُهَا اللهُ عَلَى عِبَادِهِ، وَنِعَمُ اللهِ لَاتَنْفَدُ وَلَا تَفْنَى ، وَطَامِعٍ لَا يَسْتَرِيحُ إِلَى غَايَةٍ مِنَ الغَايَاتِ حَتَّى تَنْبَعِثَ نَفْسُهُ وَرَاءَ غَايَةٍ غَيْرِهَا، فَلَا تَفْنَى مَطَامِعُـهُ، وَلَا تَنْتَهِى مَتَاعِبُهُ ، وَمُقْتَرِفِ جَرِيمَةٍ مِنْ جَرَائِمِ العِرْضِ وَالشَّرَفِ لَا يُفَارِقُهُ خَيَالُهَا حَيْثُمَا حَلَّ وأَيْنَمَا سَارَ. وَمَا أَنْتَ يَا سَيِّدِى بِوَاحِدٍ مِنْ هٰؤُلَاءِ، فَمِنْ أَىِّ بَابٍ مِنَ الأَبْوَابِ يَتَسَرَّبُ الشَّقَاءُ إِلى قَلْبِكَ ؟

أَنْتَ شَاعِرٌ يَامَوْلَاىَ، وَقَلْبُ الشَّاعِرِ مِرْآةٌ تَتَرَاءَى فِيهَا صُوَرُ الكَائِنَاتِ صَغِيرِهَا وكَبِيرِهَا، دَقِيقِهَا وَجَلِيلِهَا، فَإِن أَعْوَزَتْكَ[3] السَّعَادَةُ فَفَتِّشْ عَنْهَا فى أَعْمَاقِ قَلْبِكَ، فَقَلْبُكَ الصُّورَةُ الصُّغْرَى لِلْعَالَمِ الأَكْبَرِ وَمَا فِيهِ .

---

(١) الكياسة : الفطنة وصحة الرأى .

(٢) نشأ بمنفلوط وتعلم بالأزهر وتوفر على إرسال المقالات الأدبية فى جريدة المؤيد . ثم اتصل بالمرحوم سعد باشا زغلول بفضله محررا بالمعارف ثم الحقانية ، وكان كاتبا يجيد تصوير الشعور المتصل بالفواجع والأحزان وله شعر قليل ، توفى سنة ١٣٤٣ هـ . وآثاره مشهورة .

(٣) أعوزتك : احتجت اليها .

السَّمَاءُ جَمِيلَةٌ ، وَالشَّاعِرُ هُوَ الَّذِى يَسْتَطِيعُ أَنْ يُدْرِكَ سِرَّ جَمَالِهَا ، وَيَخْتَرِقَ بِنَظَرَاتِهِ أَدِيمَهَا[1] الأَزْرَقَ الصَّافِى ، فَيَرَى فِى ذَلِكَ العَالَمِ العُلْوِىِّ النَّائِى مَا لَا تَرَاهُ عَيْنٌ ، وَلَا يَمْتَدُّ إِلَيْــهِ نَظَرٌ .

وَالْبَحْرُ عَظِيمٌ ، وَالشَّاعِرُ هُوَ الَّذِى يَشْعُرُ بِعَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ ، وَيَرَى فِى صَفْحَتِهِ الرَّجْرَاجَةِ[2] المُتَرَجْرِجَةِ[3] صُوَرَ الأُمَمِ الَّتِى طَوَاهَا ، وَالمُدُنِ الَّتِى مَحَاهَا ، وَالدُّوَلِ الَّتِى أَبَادَهَا ، وَهُوَ بَاقٍ عَلَى صُورَتِهِ لَا يَتَغَيَّرُ وَلَا يَتَبَدَّلُ ، وَلَا يَبْلَى عَلَى العُصُورِ وَالأَيَّامِ .

وَاللَّيْلُ مُوحِشٌ وَالشَّاعِرُ هُوَ الَّذِى يَسْـمَعُ فِى سُكُونِهِ وهُدُوئِهِ أَنِينَ البَاكِينَ ، وزَفَرَاتِ[4] المُتَأَلِّمِينَ ، وأَصْــوَاتَ الدُّعَاءِ ، المُتَصَاعِدَةَ إِلَى آفَاقِ السَّمَاءِ ، ويَرَى صُــوَرَ الأَحْلَامِ الطَّائِفَةِ[5] بِمَضَاجِـعِ النَّائِمِينَ ، وَخَيَالَاتِ السَّعَادَةِ أَوِ الشَّقَاءِ الهَائِمَةِ فِى رُءُوسِ المَجْدُودِينَ[6] والمَحْدُودِينَ[7] .

الشَّاعِرُ يَرَى الجَمَالَ فِى كُلِّ شَىْءٍ يَتَنَاوَلُهُ سَمْعُهُ وبَصَرُهُ ، حَتَّى فِى الزَّهْرَةِ النَّابِلَةِ ، والنَّبْتَةِ الحَائِلَةِ[8] ، والنَّحْلَةِ الطَّائِرَةِ ، والفَرَاشَةِ الحَائِمَةِ[9] ، وفِى مَدَارِجِ[10] النِّمَـالِ ، وأَفَاحِيصِ[11]

(١) الأديم : الجلد ، وأديم الأرض والسماء ما ظهر منها .

(٢) الرجراجة بفتح الراء : المتحركة . (٣) المترجحة : المهتزة المضطربة .

(٤) زفر الرجل : أخرج نفسه مع مدّه إياه ، ولا يكون ذلك إلا من ضيق وحزن . والاسم منه زفرة وجمعها زفرات . (٥) يريد بالهائمة : الطائفة .

(٦) المجدودون : جمع مجدود وهو ذو الحظ . (٧) المحدودون : جمع محدود وهو ضد المجدود .

(٨) الحائلة : المتغيرة أى التى ذبلت . (٩) الحائمة : الدائرة لأنها لا تفتأ تدور حول النار .

(١٠) المدارج : جمع مدرج بفتح الميم والراء موضع الدروج وهو المشى .

(١١) الأفاحيص : جمع أفحوص بضم الهمزة وهو الموضع الذى تفحص القطاة التراب عنه لتبيض فيه .

القَطَا[١]، والنُّؤيِ[٢] المُتَهدِّم ، والحَدَثِ البَالِي، والشَّبَحِ المُخِيفِ ، والخَيَالِ الرَّائِع ، وفى الضِّفْدِعَةِ المُلْقَاةِ عَلَى شَاطِئِ البَحْرِ، والدُّودَةِ المُمْتَدَّةِ فى بَاطِنِ الصَّخْرِ، فَهُو من خَيالِهِ الوَاسِعِ فى نِعْمَةٍ دَائِمَةٍ لَا تَنْفَدُ وَلَا تَبْلَى .

أنْتَ كَالطَّائِرِ السجينِ فى قَفَصِهِ، فَمَزِّقْ عَنْ نَفْسِكَ هَذَا السِّجْنَ الَّذى يُحِيطُ بِكَ، وَطِرْ بِجَنَاحَيْكَ فى أجْوَاءِ هَـذَا العَالَمِ المُنْبَسِطِ الفَسِيحِ ، وَتَنَقَّلْ مَاشِئْتَ فى جَنَبَاتِهِ وأكْنَافِهِ، وَاهْتِفْ[٣] بِأغَارِيدِكَ[٤] الجَمِيلَةِ فَوْقَ قِمَمِ جِبَالِهِ[٥] ، وَرُؤُوسِ أشْجَارِهِ ، وَضِفَافِ[٦] أنْهَارِهِ، فَأنْتَ لَمْ تُخْلَقْ للسِّجْنِ والقَيْدِ، بَلْ لِلْهُتَافِ والتَّغْرِيدِ .

(١٨) ومن رسالة للدكتور يعقوب صروف[٧] أنشأها لتلقى فى أساتذة فلسطين

إذا راجعتُ ما أتذكره من سِيَرِ الذين علّمونى والذين علمتهم منذ كنت أتعلم مبادئ القراءة الى أن تركت التعليم من نحو أربعين سنة فإنى أستنتج منه النتائج التالية :

(الأولى) أن تهذيب الأخلاق أهم جدا من تثقيف العقول ، وهـذا التهذيب يقتضى أن يكون المعلم على خلق عال لا يكذب ولا يرائى ولا يداهن، مترفعا عن الدنايا ،

(١) القطا : جمع قطاة وهى طائر فى حجم الحمام . (٢) النؤى : الحفر التى تحفر حول الخيام لينحاز اليها السيل . (٣) اهتف : مدّ صوتك .

(٤) الأغاريد : جمع أغرودة بضم الهمزة : غناء الطائر . (٥) قمم الجبال : أعاليها واحدتها قمة بكسر القاف. (٦) الضفاف بكسر الضاد : جمع ضفة وضفتا النهر جانباه .

(٧) ولد الدكتور يعقوب صروف سنة ١٨٧٢ بلبنان ودرس هناك دراسة علمية عالية واشتغل بعد ذلك مدرّسا عدّة سنين ثم أنشأ المقتطف مع زميله الدكتور فارس نمر . ويعدّ الدكتور يعقوب صروف من رجال النهضة الفكرية فى هذا العصر، وقد توفى سنة ١٩٢٧ م .

يستعمل الشدّة فى محلها واللين فى محله . فإذا كان كذلك سهل عليه أن يهذّب أخلاق تلاميذه لأنهم يصيرون يقتدون به ويهابونه ويحبونه ، واذا كانت أخلاقهم فاسدةً لا تصلُح فإخراجهم من المدرسة ينفع غيرهم ولا يزيدهم ضررا ، ومدرسة العالم تصلحهم أو تحطهم ، وأسمى الأخلاق الفاضلة الصدق والشمم والشهامة .

(الثانية) أن إكرام النفس فى المنزلة الثانية بعد تهذيب الأخلاق ، كل ولد إذا فسح له فى الأجل صار عُضوا عاملا فى الأمة لنفعها أو لضرها ، فعلى المعلم أن ينظر اليه هذا النظر ، وهو من هذا القبيل كالبستانى الذى يرى نبتة صغيرة من التُّفاح أو البرتقال فلا يحتقرها لِصغَرها ، بل ينظر الى ما تصير اليـه فيربيها ويهذبهـا ويتعهدها بكل ما ينميها حتى تأتى بثمر جيد غزير ، وأضر شىء بالتلميذ أن تظهر احتقارك له ، فإذا عمل عملا يستحق الاحتقار فأَظهر احتقارك للعمل لا للعامل ، واجتهد حتى تجعله ينظر اليه كذلك ويأنف منه ، وإذا عمل عملا مجيدا فامدحه له أو امدحه عليه .

(الثالثة) أنه يُطلب من المعلم تقوية أبدان التلاميذ وحفظ صحتهم بالحث على الرياضة البدنية ، ومنعهم عن كل ما يضعف الجسم أو أحد أعضائه ولا سيما العينين . ولا مانع من أن يشاركهم فى بعض الألعاب الرياضية إذا كان يحسنها ، ولكن لا يليق به أن يتبذّل أو يظهر أنه أضعف من تلاميذه لئلا تقل هيبته فى نفوسهم .

(الرابعة) أن تثقيف العقل يأتى بعد كل ما تقدّم ولو كان المفهوم أن تثقيف العقل هو الغرض الأوّل المقصود بالذات من التعليم ، لأن من ينال الثـلاثة الأولى أى تهذيبَ الأخلاق وإكرامَ النفس وقوةَ البدن يصير عضوا عاملا مفيدا فى المجتمَع

الانسانى ولو كان أميا، ولكن أكبر العلماء والفلاسفة لا يستفيد ولا يفيد إذا كان فاسد الأخلاق صغير النفس عليل الجسم .

(١٩) من خطبة لسعد باشا زغلول[1] فى حفلة تكريم أقيمت لبعض المصريين :

" ... يَقُولُونَ : إنَّمَا تُكَرَّمُ المَبَادئ ! قَولٌ خَطَأ، فإنَّ المَبادئَ لا وُجُودَ لَهَا إلَّا فى الأشْخَاص . وَإذَا كَرَّمْنَا إنْسَانًا فَإنَّمَا نُكَرِّمُهُ لأنَّ هٰذَا الانْسانَ تَقَلَّدَ ذَلكَ المَبْدَأَ، كَمَا أنَّنَا إذَا ذَمَمْنَا شَخْصًا فَإنَّمَا نَذُمُّهُ لأنَّهُ اعْتَنَقَ مَبْدَأً رَذِيلًا . هٰكَذَا جَرَى النَّاسُ من القِدَم، وَجَاءَتْ به الأدْيَانُ، فَإنَّمَا يُعَذَّبُ الشَّخْصُ لأنَّهُ ضَلَّ، ويُثَابُ لأنَّهُ أطَاعَ رَبَّهُ وَلَمْ يَعْصِه. فَلَمْ تُخْلَق الجَنَّةُ لِمَثُوبَة المَبْدَإ، وَلَمْ تُخْلَق النَّارُ لتَعْذيب المَبْدَإ! وَلَوْ أنَّ المَبَادئَ هِىَ الَّتى تُكَرَّمُ وَهِىَ الَّتى تُعَذَّبُ لَرَأيْنَا جَهَنَّمَ مَمْلُوءَةً بالمَبَادئ، وَلَرَأيْنَا الجَنَّةَ مَمْلُوءَةً بالمَبَادئ كَذَلكَ ! وَلَمَا كُنَّا نُقيم مَأْتَمًا لرَاحل كَريم، فَالشَّخْصُ يَفْنَى وَالمَبْدَأُ بَاق .

لِمَاذَا نَبْكى وَنَنُوحُ عَلَى مَوت الْكِرَام وَالْكَرَمُ بَاق من بَعْدهمْ ؟! ذٰلكَ لأنَّنَا نُكَرِّمُ الأشْخَاصَ الْكِرَام، وَلَا مَعْنَى لتَكْرِيم المَعَانِى المُجَرَّدَة عَن الأشْخَاص ... " .

ومن خطبة له فى حفلة تكريم أخرى خطبها وهو رئيس للوزارة :

" ... أنَا لَسْتُ رَئِيسَ حِزْب . وَلَكنِّى وَكِيلُ أُمَّة . قُلْتُ ذَلكَ مرَارًا، وَكَرَّرْتُهُ تَكْرَارًا . قُلْتُهُ عَقبَ خُرُوجى من مَنْفَاى، وَقُلْتُهُ بَعْدَ عَوْدَتِى منْهُ . وَسَأقُولُهُ دَائمًا

(١) يعدّ سعد باشا زغلول زعيم الخطابة العربية فى هذا العصر الذى نحن بصدد الكلام فيه فلقد درس فى الأزهر وغيره دراسة استقلالية، أعدّته ليكون كاتبا خطيبا من رجال المحاماة والقانون، وأخيرا رأس الحركة الوطنية المصرية الحديثة وكذا الحكومة الدستورية ومواقفه فى السياسة معروفة، توفى سنة ١٣٢٧ هـ .

وأَعْمَلُ به . فَلا أُحَابِي شَخْصًا لِمَبْدَئِه السِّيَاسِيِّ ، وَلَا أَتَعَرَّضُ لآخَرَ لآرَائِه السِّيَاسِيَّة ؛ وَلكنِّي أُحسنُ لِمَنْ يَعْمَلُ لمَصْلَحَة الْوَطَنِ ، وأُنَكِّلُ بمَنْ يُسِيءُ إليْه . فَمَنْ عَمِلَ صَالحًا فَلِنَفْسه وَللأُمَّة ، وَمَنْ عَمِلَ بِضِدِّ ذَلكَ فَعَلَيْه إِثْمُ مَا عَمِلَ . وَلَوْ أَجْرَمَ ابنُ سَعْدٍ لحقَّتْ عَلَيْه كَلِمَةُ الْعِقَاب ... » .

(٢٠) من وصف قصر الجيزة والاشادة بسلطان إسماعيل لمحمد بك المويلحي[1]

من كتاب حديث عيسى بن هشام :

قال عيسى بن هشام — وَوَصَلْنَا إلى قَصْرِ الجِيزَةِ وَمَتْحَفِ الآثَار . ومُلْتَقَى السَّيَّارَةِ[2] من سَائِرِ الأَقْطار . فَدَخَلْنَا رَوْضَةً تَجْرِي الأَنْهَارُ من بَيْنِها . كأنها الجَنَّة بِعيْنِها . ولما رأى الباشا[3] مَسَالِكَ الرَّوْضِ مُنَضَّدَةً . وطُرُقَهُ مُرَصَّعَةً مُزَرَّدَة . حَسِبَها أرْضًا مَفْرُوشَةً . بِبُسُطٍ مَنْقُوشَة . وأَشْكَلَ الأَمْرُ عليه . فَهَمَّ بِخَلْعِ نَعْلَيْه . فَقُلْتُ طَرِيقٌ مُعَبَّد[4] . لا فرشٌ منجّد . وحَصْبَاءُ وَمَرْو[5] . لا بِساطٌ وفَرْو . ثم شَاهَدْنَا قَصْرًا يَكِلُّ عَنْهُ الطَّرف . وَيقْصُرُ دُونَهُ الوَصْف . فَسِرْنا نَرْتَادُ خِلَالَه . ونَتَفَيَّأُ ظِلَالَه . فاذَا

(١) هو ابن ابراهيم بك المويلحي ، وقد أخذ الأدب عن أبيه واتصل بجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وانتفع بهما وكان أديبا يعرف لغات أجنبية ويحرر في جريدة مصباح الشرق الأسبوعية وله «حديث عيسى ابن هشام» توفى سنة ١٩٣٠ م .

(٢) السيارة : القافلة . وأصلها القوم يسيرون .

(٣) الباشا : هو الذي تخيله صاحب هذا الحديث قد هب من قبره ، وجعل يرود به مشاهد البلاد ومعاهدها .

(٤) الطريق : المعبد بتشديد الباء المفتوحة . المسوى : المذلل .

(٥) المرو : حجارة بيض رقاق براقة .

الأسودُ مَقصوراتٌ في المَقاصير . والأساوِدُ(١) مَكفوفاتٌ في القَوارير(٢) . ورأينا النمور في الخُدور(٣) ، والرِّئال(٤) في الحِجال(٥) ، والذِّئاب في القِباب ، والظِّباء في الخباء . فقال الباشا لِمَن هذه الجنان . وكيف يسكنها الحيوان . وما علمت من قبل أن الليوث الضَّواري(٦) ، تسكن مغانيَ(٧) الجواري . وأنّ أوابد(٨) البِيد(٩) ، تحتجب في خدور الغيد . فقلت له سبحان القادر العظيم ، هذا بيت إسماعيل بن إبراهيم . طالما كانت حجراته مطالع للأقمار . ودرجاته منازل للأقدار . كان إذا نادى صاحبه فيه «يا غلام» ، شقيت أقوام وسعدت أقوام . ولبى نداءه البؤس والندى . بأسرع من رجع الصدى .

وكان من احتمى بظل هذا الجدار . تحامته(١٠) غوائل الأزمان والأدهار . — هنا كان يفصل الأمر ويحكم . وينقض الحكم ويبرم — هنا كانت تنفرط فرائد القلائد ، من أجياد الخرائد(١١) . فتختلط بمنثور أزهاره . وترصع لجين(١٢) أنهاره — هنا كانت تتناثر الحلي من قدود الحسان . فتشتبه بأثمار الأغصان — هنا كانت

---

(١) الأساود : جمع أسود وهو العظيم من الحيات . (٢) القوارير : الزجاج . ومكفوفات : محبوسات . (٣) الخدور : جمع خدر بكسر الخاء وهو ما يفرد من البيت لسكن المرأة .

(٤) الرئال : جمع رأل وهو ولد النعام . (٥) الحجال : جمع حجلة بفتح الحاء والجيم ، وهى الموضع الذى يزين فى البيت للعروس . (٦) الضوارى : الفواتك .

(٧) المغانى : جمع مغنى بفتح الميم والنون المنزل . (٨) الأوابد : جمع آبدة وهى الوحش .

(٩) البيد : جمع بيداء وهى الفلاة . (١٠) تحامته : تحاشته .

(١١) الخرائد : جمع خريدة ، وهى الفتاة البكر .

(١٢) اللجين : بضم اللام الفضة .

تَصْدَحُ القِيَانُ(١) على المَزَاهِرِ(٢) والأَعْوادِ. فتُجيبُها ذَواتُ الأَطْوَاقِ(٣) فَوقَ الأَفْنَانِ(٤) والأَعْوَادِ(٥). فأَصْبَحَ اليَوْمَ حَدِيقَةً مُبْتَذَلَةً عَامَّة . ومَوْطِئًا لأَقْدَام الخَاصَّةِ والعَامَّة .

وله رحمه الله من (حديث عيسى بن هشام) فى وصف حديقة الأزبكية :

وَلَمَّا جَاوَزْنَا البَابَ أَعْجَبَ البَاشَا(٦) حُسْنُ المَنْظَرِ وَازْدَهَاهُ(٧) . وَرَاقَهُ بهاءُ المَكَانِ وَاسْتَهْوَاه . وتَمَلَّكَهُ الابْتِهَاجُ وتَوَلَّاهُ . فَقَالَ : مَا شَاءَ اللهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ : لِمَنْ هٰذِهِ الجَنَّةُ مِن كُبَرَاءِ البَلَدِ؟ قُلْتُ هِيَ مِلْكٌ كُلِّ وَاحِدٍ ولَيْسَتْ بِمِلْكِ أَحَدٍ . أَنْشَأَتْهَا الحُكُومَةُ مِن « المَنَافِعِ العَامَّةِ » ، لِنُزْهَةِ الخَاصَّةِ والعَامَّةِ . ثُمَّ سِرْنَا نَطُوفُ فى أَنْحَاءِ الحَدِيقَةِ . بَيْنَ أَشْجَارِهَا الوَرِيقَةِ(٨) . وَأَغْصَانِهَا الرَّشِيقَةِ(٩) . وأَزْهَارِها الأَنِيقَةِ(١٠) . والبَاشَا يَهْتَزُّ طَرَبًا . ويَمِيلُ عَجَبًا . لِحُسْنِ هٰذَا المَنْظَرِ العَجِيبِ . والمَنْبِتِ الخَصِيبِ . ثُمَّ وَقَفَ بِنَا وَقْفَـةً بَيْنَ بَرْدِ الظِّلَالِ وخَرِيرِ(١١) المَـاءِ . وَرَفَعَ بِبَصَرِهِ يُقَـدِّسُ بَاسِطَ الأَرْضِ وَرَافِـعَ السَّماءِ . ثُمَّ رَأَيْتُـهُ يَنْحَنِي لِلرُّكُوعِ انْحِنَاءَ القَوْسِ . بَعْـدَ أَنْ أَنْشَدَ قَوْلَ حَبِيبِ بنِ أَوْسٍ(١٢) :

أَرْضٌ إِذَا جَرَّدْتَ فى حُسْنِهَا ... فِكْرَكَ دَلَّتْكَ عَلَى الصَّانِعِ

---

(١) القيان بكسر القاف : جمع قينة بفتحها المغنية . (٢) المزاهر : جمع مزهر بكسر الميم وهو العود . (٣) ذوات الأطواق : الحمائم .
(٤) الأفنان : جمع فنن بفتحتين وهو الغصن المستقيم . (٥) الأعواد : الأغصان .
(٦) الباشا : هو الشخص الذى تمثله الكاتب منبعثا من قبره ليطيف به الحديث .
(٧) ازدهاه : أعجبه وأطربه . (٨) شجرة وريقة : كثيرة الورق خضراء حسنة .
(٩) الرشيقة : حسنة القد اللطيفة . (١٠) الأنيقة : الحسنة المعجبة .
(١١) خرير الماء : صوته . (١٢) حبيب بن أوس : هو أبو تمام الطائى الشاعر المعروف .

وَسَمِعْتُهُ يَتْلُو فى الرُّكُوعِ والسُّجُودِ ، قَوْلَ صَانِعِ الوُجُودِ : ﴿ وَلِلّٰهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ﴾ . وقَوْلَهُ أَيْضًا عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمٰوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ .

(مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣١/١٠١٩/٥٠٠٠)

وكان تمام طبع هذا الجزء بمطبعة دار الكتب المصرية فى يوم الأحد ١٣ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٠ (٢٥ أكتوبر سنة ١٩٣١) م

محمد نديم
ملاحظ المطبعة بدار الكتب المصرية

